

المكتبة الأهلية - بمصر

هَذَا نَبِيُّ الْعَرَبِ

في الجاهلية والأسلام

« بينا أهل أوربا تلهون في يدهاء
الجهالة - إذ سطع نور قوى من جانب
الامة الاسلامية من علوم وأدب وفلسفة
وصناعات وأعمال يد... وكانت مدينة بغداد
والبصرة وسمرقند ودمشق والقير وان
ومصر وتونس وغرناطة وقرطبة مراكز
عظيمة لدائرة المعارف ، ومنها انتشر
في الامم واغتنم منها أهل أوربا في القرون
الوسطى مكتسفات وصناعات وفنون عليية .
وأقاموا أساس ممالكهم على شرائع
الاسلام » (دروي وزير معارف فرنسا)

تأليف

محمد رشدي - الخبير أمام محكمة قنا

نبذة التاريخ

في الجاهلية والاسلام

هو

كتاب تاريخي أدى أحلاق سياسي يدل على ما للعرب من الفصل
على الأمم في العلوم والعون والصانع والسياسة المدنية

تأليف



الخير امام محكمة ما

المقدمة

(وفيها فصلان)

الفصل الاول

لبث العرب أربعة قرون متواليه مستودع المعرفة وملجأ الحكمة فكانت دولتهم
عروة وصل بين علم المتقدمين وعلم المتأخرين ولولاهم لاندثر ذلك العقد وعفا كثير من معالم
العلم والعرفان

فان معظم ما تناولته الافرنج من علم الاقدمين قبل فتح القسطنطينية انما كان عن
العرب وقد نبغ فيهم علماء في كل فن استجلاوا الحقائق العلمية وأبقوا الخلف من مبتكراتهم
وتوسعاتهم مباحثوا كنسافانوا اطلع عليها عالم من علماء العصر الحاضر في الشرق لقال
انها علوم خرافات وقد عنت بالشرق خصوصاً ان علماء أوروبا لم يرواوا يحشون في كل علم
وضعت العرب ويستنبطون منه ما يوافق حالهم وينطبق على عقول الانتم حتى اذا
وصلوا الى نتيجة حسنة ونظريته مستحسنه أظهرها كنشوفه بسهولة باسم غير الاسم الذي
وضع له بمعرفة السلف فخذ لك مثلاً علم التنويم المغناطيسى ومناجاة الارواح المذنبين شاع
ذكرهما بيننا وبرعت فيهما علماء أوروبا ولم نظفر لنا من علماء الشرق من يكشف لنا سر
هذين العالدين فانك تجد العرب قد سبقتهما فيهما برهنا على دقتهم وقوتهم الفكرية
وكاوا يسمون ذلك علم العرايم وله الوفاء فيقولون كما كثر ذكره في غيره من
العلوم التي سماها كبارها في اليونان والارباب في العرب في الكيمياء
غير انهم لا تهم الا اوروبا في ذلك فالتقدم في حقيقته على ما كان في العرب في الحقيقة
قول افلاطون ما من علم مستحق للاعجاب الا ان

تخمينية أوروبا وما نرى في من ينسب له من ذلك فالتقدم في حقيقته على ما كان في العرب في الحقيقة
ما كانوا مقيمين بل لا نرى في ذلك فالتقدم في حقيقته على ما كان في العرب في الحقيقة
الموجودة بدور الكتب بل في رجال من علماء العرب في حقيقته على ما كان في العرب في الحقيقة
ترجمة الكتب ونقلها الى لغاتهم وجعلوها في حقيقته على ما كان في العرب في الحقيقة
غافلون حتى وصلنا الى درجة متناهية في التقدم في حقيقته على ما كان في العرب في الحقيقة

وقد طلب أحد رجال الجمعية الأخيرة من مصر كتاباً اسمه جوامع علم النجوم والخرافات
 السماوية لابن كثير الفهراني أحد تلاميذ المأمون فاطلعت عليه فوجدت فيه مع صغر حجمه
 براهين عن تكوّن الأرض ودورانها حول محورها وتقسيمها إلى مناطق وبروج مما
 أدهشني وقد تكلم فيه مؤلفه على سبب الخسوف والكسوف وغيباب الشمس عن القطب
 مدة من الزمان وعلى الجو وطبيعة الكواكب وابعادها وسيرها الشيء الذي اتخذته علماء
 أوروبا ودوّنوه في مؤلفاتهم وساروا على غطه في علمهم وعلمهم
 فإذا قرأنا أحد العلماء الشرقيين ما في هذا الكتاب على مالءاء أوروبا وبمن المؤلفات
 فإنه لا يجد بين المؤلف العربي القديم والمؤلف الغربي الحديث اختلافاً بل يجد أن قوة
 العربي في البرهنة على معتقده ومثانة التأليف تفوق برهنة العلماء الغربيين بكثير واستعمل
 العرب أيضاً الساعة الشمسية في حسابهم واعتبروا مبدأ اليوم من نصف نهاره وهو الحساب
 الأفرنجي الآن وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الألمانية وطبع الأصل مع الترجمة العربية
 ومن كتبهم أيضاً التي أصبحت لأصل لها في بلادنا كتاب الصور السبائية لعبد الرحمن بن عمر
 ابن محمد بن سهل الصوفي ويسمى بأبي الحسن ويعرف بكتاب صور الكواكب الثابتة
 وقد ترجم أيضاً إلى اللغة الفرنسية ونقل إلى لغات أخرى
 فمن هنا يظهر للمطلع اهتمام أوروبا بكتب العرب وعالومهم ويتضح للثمن الفصل الآتي
 أنواع العلوم التي اشتغل بها أولئك القوم مع بيانها

❦ الفصل الثاني ❦

(في عدد العلوم وبيان أصولها وأقسامها)

اختلف المؤرخون في عدد العلوم المدوّنة في الكتب فقد روى عن الشافعي رحمه
 الله تعالى أنه عد في مجلس هارون الرشيد ثلاثاً وستين نوعاً من علوم القرآن وقال بعضهم
 العلوم المستخرجة من القرآن ثمانون عاماً ودوّن فيها كتب كثيرة والبعض الآخر قال إن
 العلوم المدوّنة ثلاثاً وستون عاماً وقد زاد بعضهم كثيراً حتى أنهم عدوها بالآلاف وقد اطلعت
 على ثلاثة كتب مدوّنة بها موضوعات العلوم وتعاريفها أحدها مفتاح السعادة

مائة وستة وخمسين علما من علومهم واليك بيانها مقسمة على حسب ما في الكتاب الى
ثلاثة أقسام علمية وعملية وشرعية

القسم الاول

﴿ العلوم العلمية ﴾

(في بيان فضيلة العلم والتعليم)

في شرائط المتعلم - في وظائف المعلم وآدابه - بيان النسبة بين طريق النظر
وطريق التصفية - الارشاد الى كيفية النظر وفيه دوحات

الدوحة الأولى في العلوم - الخطبة وفيها مقدمة وشعبتان

الشعبة الأولى في كيفية العلوم المتعلقة بالصناعة الخطية - علم أدوات الخط - علم
قوانين الكتابة - علم تحسين الحروف - علم كيفية تولد الخطوط عن أصولها - علم
ترتيب حروف التهجى - علم الاملاء - علم تركيب اشكال بسائط الحروف - علم املاء
الخط العربى - علم خط المصحف - علم خط العروض

الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ وفيها مقدمة وشعب - المقدمة

الشعبة الأولى فيما يتعلق بالمفردات - علم مخارج الحروف - علم اللغة - علم الوضع
علم الاشتقاق - علم الصرف

الشعبة الثانية فيما يتعلق بالمركبات - علم النحو - علم المعانى والبيانات والبديع
علم العروض - علم القوافى - علم قرض الشعر - علم مبادئ الشعر - علم الانشاء
علم مبادئ الانشاء - علم المحاضرات - علم الدواوين - علم التواريخ

الشعبة الثالثة في فروع العلوم العربية - علم الامثال - علم وقائع الأمم ورسومهم
علم استعمال الالفاظ في المعانى التشبيهية والكسائية - علم الترسل - علم الشروط
والسجلات - علم الاحاجى والاغلاط - علم الانغاز - علم المعنى - علم التصحيح - علم
المقابوب - علم الجناس - علم سامرة الماوك - علم حكايات الصالحين - علم المغازى والسبر

فن الجمعيات المستشرقة جمعية بالمانيا وجمعية بانكرا وجمعية بايطاليا وجمعية بفرنسا
وقد طلب أحد رجال الجمعية الاخيرة من مصر كتابا اسمه جوامع علم النجوم والحركات
السموية لابن كثير القرغاني أحد مجيى المأمون فاطلعت عليه فوجدت فيه مع صغر حجمه
براهين عن تكوّن الارض ودورانها حول محورها وتقسيمها الى مناطق وروج مما
أدهشنى وقد تكلم فيه مؤلفه على سبب الخسوف والكسوف وغياب الشمس عن القطب
مدة من الزمان وعلى الجو وطبيعة الكواكب وابعادها وسيرها الشئ الذى اتخذته علماء
أوروبا ودونوه فى مؤلفاتهم وساروا على غطه فى علمهم وعلمهم
فاذا قرأنا أحد العلماء الشرقيين ما فى هذا الكتاب على ما لعلماء أوروبا من المؤلفات
فانه لا يجدين المؤلف العربى القديم والمؤلف العربى الحديث اختلافا بل يجد ان قوة
العربى فى البرهنة على معتقده ومثانة التأليف تفوق برهنة العلماء الغربيين بكثير واستعمل
العرب أيضا الساعة الشمسية فى حسابهم واعتبروا مبدأ اليوم من نصف نهاره وهو الحساب
الافرنجى الآن وقد ترجم هذا الكتاب الى اللغة الالمانية وطبع الاصل مع الترجمة العربية
ومن كتبهم أيضا التى أصبحت لأصل لها فى بلادنا كتاب الصور السائية لعبد الرحمن بن عمر
ابن محمد بن سهل الصوفى ويسمى بأبى الحسن ويعرف بكتاب صور الكواكب الثابتة
وقد ترجم أيضا الى اللغة الفرنساوية ونقل الى لغات أخرى
فن هنا نظهر للمطلع اهتمام أوروبا بكتب العرب وعالومهم ويتضح للثمن الفصل الآتى
أنواع العلوم التى اشتغل بها أولئك القوم مع بيانها

❦ الفصل الثانى ❦

(فى عدد العلوم وبيان أصولها وأسمائها)

اختلف المؤرخون فى عدد العلوم المدونة فى الكتب فقد روى عن الشافعى رحمه
الله تعالى انه عد فى مجلس هارون الرشيد ثلاثة وستين نوعا من علوم القرآن وقال بعضهم
العلوم المستخرجة من القرآن ثمانون علما ودون فيها كتب كثيرة والبعض الآخر قال ان
العلوم المدونة ثلاثمائة وستون علما وقد زاد بعضهم كثيرا حتى اتهم عدوها بالالوف وقد اطلعت
على ثلاثة كتب مدونة بهام موضوعات العلوم وتعاريفها أحدها مفتاح السعادة

لطاش كوبرزاده الغير مطبوع ويعرف بموضوعات العلوم فانه احتوى على أصول
مائة وستة وخمسين علما من علومهم واليك بيانها مقسمة على حسب ما في الكتاب الى
ثلاثة أقسام علمية وعملية وشرعية

القسم الاول

﴿ العلوم العلمية ﴾

(في بيان فضيلة العلم والتعليم)

في شرائط المتعلم - في وظائف المعلم وآدابه - بيان النسبة بين طريق النظر
وطريق التصفية - الارشاد الى كيفية النظر وفيه دوحات
الدوحة الأولى في العلوم - الخطبة وفيها مقدمة وشعبتان

الشعبة الأولى في كيفية العلوم المتعلقة بالصناعة الخطية - علم أدوات الخط - علم
قوانين الكتابة - علم تحسين الحروف - علم كيفية تولد الخطوط عن أصولها - علم
ترتيب حروف التهجى - علم الاملاء - علم تركيب اشكال بسائط الحروف - علم املاء
الخط العربى - علم خط المصحف - علم خط العروض

الدوحة الثانية في علوم تتعلق بالألفاظ وفيها مقدمة وشعب - المقدمة
الشعبة الأولى في ما يتعلق بالمفردات - علم مخارج الحروف - علم اللغة - علم الوضع
علم الاشتقاق - علم الصرف

الشعبة الثانية في ما يتعلق بالمركبات - علم النحو - علم المعاني والبيان والبديع
علم العروض - علم القوافى - علم قرض الشعر - علم مبادئ الشعر - علم الانشاء
علم مبادئ الانشاء - علم المحاضرات - علم الدواوين - علم التواريخ

الشعبة الثالثة في فروع العلوم العربية - علم الامثال - علم وقائع الأمم ورسومهم
علم استعمال الالفاظ في المعاني التشبيهية والكنائية - علم الترسل - علم الشروط
والسجلات - علم الاحاجى والاغلاط - علم الالغاز - علم المعنى - علم التصحيف - علم
المقالب - علم الجناس - علم سامرة الماوك - علم حكايات الصالحين - علم الغازى والسير

علم تاريخ الخلفاء - علم طبقات القراء - علم طبقات المفسرين - علم طبقات المحسنين
علم سير الصحابة والتابعين - علم طبقات الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة - علم
طبقات النحاة - علم طبقات الحكماء

الدوحة الثالثة في علوم باحة عما في الازهان وفيها مقدمة وشعبتان - المقدمة وفيها
مبحث يتعلق بالزرد والشطرنج

الشعبة الاولى في العلوم الآلية العاصمة عن الخطأ في الفكر والنظر - علم المنطق

والميزان

الشعبة الثانية في العلوم العاصمة عن الخطأ في المناظرة والدرس - علم أدب الدرس

علم النظر - علم الجدل - علم الخلاف

الدوحة الرابعة في العلم المتعلق بالاعيان وفيه مقدمة وعدة شعب

المقدمة في التوطئة

الشعبة الاولى في العلم الالهي

الشعبة الثانية في فروع العلم الالهي - علم معرفة النفوس الانسانية - علم معرفة

الملائكة - علم معرفة الميعاد - علم امامة النبوات - علم مقالات الفرق - علم تقاسيم
العلوم

الشعبة الثالثة في العلم الطبيعي - علم الطب - علم البيطرة - علم البزرة - علم

البزدره - علم النبات - علم الحيوان - علم الفلاحة - علم المعادن وهي ٧٩٠ معدنا

علم الجواهر - علم الكون والفساد - علم قوس قزح - علم القراصة - علم تعبير الرؤيا

علم احكام النجوم - علم السحر - علم الطلسمات - علم السيميا - علم الكيميا - علم

طبقات الارض

الشعبة الرابعة في فروع العلم الطبيعي - علم التشريح - علم الكحالة - علم الاطعمة

علم الصيدلة - علم طبع الاسربة - علم قلع الآثار - علم تركيب أنواع المواد - علم الجراحة

علم الفصد - علم الحجامة - علم المقادير والاوزان الطبية - علم السمات واختيلان - علم

الاسارير - علم الاكتفاء - علم قيافة البشر - علم الاحتذاء في البراري

والقفار - علم ازيافة - علم استنباط المعادن - علم نزول التمث - علم العرافة - علم

الاختلاج - علم الاختبار - علم الرمل - علم الفأل - علم القرعة - علم الطيرة والزجر

علم الكهانة - علم التبرنجات - علم الخواص - علم الرقي - علم العزائم - علم الاستحضار

علم دعوة الكواكب - علم الفلكيات - علم الاخفاء - علم الحيل الساسانية - علم كشف الدلء - علم الشعبنة - علم تعلق القلب - علم الاستعانة بخواص الادوية
الشعبة الخامسة في العلوم الرياضية - علم الهندسة - علم الهيئة - علم العود
علم الارثماطيق - علم الموسيقى

الشعبة السادسة في فروع علم الهندسة - علم عقود الابنية - علم المناظر - علم المرأة المحركة - علم مراكر الانتقال - علم حركات الانتقال ورفعها - علم التعديل - علم البنكلمات (أى علم الآلات المقدرة للزمان) - علم الملاحة - علم السباحة - فن العمارة
علم المساحة - علم استنباط المياه ومعرفة موقعها في باطن الارض وصلاحتها للاستعمال
علم الآلات الحربية - علم الرمي - علم الميكانيكا - علم الآلات المبنية

الشعبة السابعة في فروع علم الهيئة - علم الزيجات والتقويم - علم كتابة التقويم
علم حساب النجوم - علم كيفية الارصاد - علم الآلات الرصدية - علم المواقيت - علم الآلات الظلية - علم الاكر المتحرك - علم تسطيح الكرة - علم صور الكواكب - علم مقادير العلويات - علم منازل القمر - علم الجغرافيا - علم مسالك البلدان - علم معرفة البرور ومسافاتها - علم ضواحي الافاليم - علم خواص الافاليم - علم الادوار والاكووار
علم الثمرانات - علم الملاحم - علم وائم السنه - علم مواقيت الفسلة - علم وضع الاسطرلاب - علم عمل الاسطرلاب - علم ربع الدائرة وصنع وعملها إعلان - علم آلات الساعة

الشعبة الثامنة في فروع علم الحساب - حساب التحت والميل - علم الجبر والمقابل
علم حساب الخطائين - علم الدور في النوصية - علم حساب الدرهم والدينار - علم حساب الفرائض - علم حساب الهواء - علم حساب العقود - علم أدا، الوفق - علم خواص الاعداد - علم التعابي والعدد في الحروب

الشعبة التاسعة في فروع علم الموسيقى - علم الآلات العجيبة - علم الرقص

العلوم العملية

(وتسمى بالحكمة العملية وفيها عدة شعب)

الشعبة الاولى - علم الاخلاق - الشعبة الثانية - علم تدبير المنزل - الشعبة الثالثة
علم السياسة وتدبير الممالك - الشعبة الرابعة - علم آداب الملوك - الشعبة الخامسة - علم
آداب الوزارة - الشعبة السادسة - علم الاحتساب - الشعبة السابعة - علم قواد
العساكر والخيوش

﴿ العلوم الشرعية ﴾

(فيما مقسمة ومطالب)

المقدمة في التوطئة - المطلب الاول في العلوم الشرعية - علوم القرآن - علم
رواية الحديث - علم تفسير القرآن - علم دراية الحديث - علم أصول الدين يعني الكلام
- علم أصول الفقه - علم الفقه وفيه فوائد في مناقب الأئمة
فروع علم الفقه - فروع علم القرآن - علم معرفة الشواذ - علم مخارج الحروف
علم مخارج الالفاظ - علم الوقوف - علم القراآت - علم رسم كتابة القرآن في المصاحف
علم آداب كتابة المصحف - علم كيفية الكتابة
المطلب الثاني في علم الحديث وفروعه - المطلب الثالث في علم التفسير وفروعه
المطلب الرابع في بيان معنى التفسير والتأويل - المطلب الخامس في فروع علم الحديث
المطلب السادس في فروع علم أصول الدين وأصول الفقه - المطلب السابع في فروع علم
الفقه - علم الفرائض - علم شروط السجلات - علم القضايا - علم معرفة حكم الشرائع
علم الفتاوى

﴿ العلوم المتعلقة بالتصنيفية ﴾

(وهي عمدة العلم بالعمل وفيها أربعة شعب)

الشعبة الاولى - وهي العادات والعبادات والمهلكات والمنجيات وفيها فصول
وأبواب وكها في الآداب والمعاملة الدينية والدنيوية
الشعبة الثانية - الاصل الاول من العادات وهي عشرة أصول - أدب الأكل

وفيه أربعة مطالب - الأول في أحوال المنفرد - الثاني في آداب الجماعة والأكل - الثالث في تقديم آداب الطعام - الرابع في آداب الضيافة

الأصل الثاني في آداب النكاح وفيه مطالب ستة - الأول في الترغيب فيه - الثاني في فوائد النكاح - الثالث في أوقات النكاح - الرابع في شروط العقد - الخامس في أحكام المنكوحه - السادس في آداب المأثمة

الأصل الثالث في آداب الكسب والمعاش وفيه مطالب خمسة - الأول فضل الكسب - الثاني في بيان أحوال العقود الأربعة - الثالث في العدد والمعاملة - الرابع في الاحسان في المعاملة - الخامس في ثقة التاجر على دينه

الأصل الرابع في الحلال والحرام وفيه مطالب ثمانية - الأول في فضيلة الحلال الثاني في درجات الحلال - الثالث في مراتب الشبهات - الرابع في البحث والسؤال الخامس في كيفية خروج التائب عن المظالم المالية - السادس في واردات السلاطين السابع في حكم مخالفة السلاطين - الثامن في تفريق المال على الفقراء

الأصل الخامس في آداب - في خمسة مطالب وفيه إحدى عشرة مطلباً

الأصل - - - - -

الصلب - - - - -

الأصل - - - - -

الصلب - - - - -

الأصل - - - - -

الأصل - - - - -

الأصل - - - - -

الأصل - - - - -

الأصل - - - - -

الأصل - - - - -

الأصل - - - - -

الأصل - - - - -

الاصل التاسع في ذم الكبر والعجب وفيه سبعة مطالب

الاصل العاشر في ذم الغرور وفيه ستة مطالب

الشعبة الرابعة في المتجانب وفيها عشرة أصول

الاصل الاول في التوبة وفيه عشرة مطالب

الاصل الثاني في الصبر والشكر وفيه إحدى عشر مطلباً

الاصل الثالث في الرجاء والخوف وفيه خمسة مطالب

الاصل الرابع في الفقر والزهد وفيه سبعة مطالب

الاصل الخامس في التوكل وفيه ستة مطالب

الاصل السادس في المحبة والشوق والأنس والرضا وفيه سبعة مطالب

الاصل السابع في النية والاخلاص والصدق وفيه أربعة مطالب

الاصل الثامن في المحاسبة والمراقبة

الاصل التاسع في الفكر وفيه مطلبان

الاصل العاشر في ذكر الموت والبعث والنشور وفيه ثلاث مطالب

هذه هي أصول العلوم عند العرب في الاسلام والكل واحد منها فروع تنفرع منه ومن أراد التوسع فعليه بمطالعة مؤلفاتهم للوقوف على آرائهم وأفكارهم فيها أما ثاني هذه الكتب فهو كتاب مدينة العلوم وثالثها كتاب جوامع العلوم لابن فرعين تلميذ أبي زيد بن سهل الباني وهو أحسن الكل وأفيدها أني به الأستاذ أحمد ذكي بك من الأستاذة العلية فيسهل لطلعه عليه أن يقف على العلوم وفروعها والمباحثة في كل علم يريد المناظرة فيه شعر

احرص على كل علم تبلغ الأملا	ولا تمنون بعلم واحد كسلا
التعل لما رعت من كل ها كته	أبدت لاجوهرين الشمع والعسلا
فالشمع في الليل ضوء يستضاء به	والشهد يرى لنا الاسقام والعلا



المقالة الاولى

﴿ وفيها ثلاثة فصول ﴾

الفصل الاول

في

(جغرافية بلاد العرب وتقسيمها)

هذه البلاد واقعة في الجنوب الغربي من آسيا وتصل بها من الشمال وبحدها شمالا بلاد فلسطين وبادية الشام وادى الفرات وجنوبا المحيط الهندي وبوغاز باب المنديب ومن الشرق خليج فارس والغرب البحر الأحمر وقال السويدي وهي محصورة بين الدرجة ١٢ والدقيقة ٤٥ والدرجة ٣٠ والدقيقة ٢٥ من العرض الشمالي وبين الدرجة ٣٢ والدقيقة ٢٠ والدرجة ٦٠ من الطول الشرقي الجزيرة جرانوئيش ببلاد الانكليز ومساحة هذه الجزيرة مضمومة اليها شبه جزيرة طور سيناء ١٥٨ و ١٥٦ و ٣ كيلومترا مر بها وذلك خمسة أضعاف مملكة فرنسا

وتنقسم بلاد العرب الى ثلاثة أقسام عربية بطرانية الى مدينة بطرا السكائنة في وادي موسى وهي التي كانت عاصمة مملكة ادوم وعربية السادية في الشمال والعربية السعيدة أي المخصصة في الجنوب وهي بلاد النين أمامين حيث العوائد والأخلاق والتهديب واللغة والمعارف فتقسم الى ثلاثة أقسام وهم البدو والبدو المقحضون والخصر

أما البدو فهم أقوام رحالة يسكنون في بيوت من الشعر ويقيمون في كل واد ويعولون في معيشتهم على ماشيتهم التي يندونها بماتنتية الارض من كلال الطبيعة ويتغذون بلحومها وألبانها ويتخذون مازاد منها ومن صوفها وشعرها ووبرها لصد مادي من احتياجهم من مطعم وملبس ومسكن واكتساب درهم وأكتر ما يسكنون السهول والجبال

من صحيفة واحد الى صحيفة ٥٨ وهذا الكتاب طبع سنة ١٨٦٩ في مدينة غوتنبرج من أعمال المانيا ولم يوجد من يطبعه من أبناء العرب مع أن مؤلفه عربي وكذلك كتاب سبائك الذهب في أنساب قبائل العرب

الفصل الثاني

﴿ في فضل العرب على الغرب ﴾

(في المدنية والحضارة والعلوم والمعارف)

رب ميت قد صار بالعلم حيا وميت قد مات جهلا وغيا
فاقنوا العلم كي تنالوا خلودا لاتعدوا البقاء في الجهل شيئا

ابن رضوان

قال ارسطاطاليس ليس طئى العلم لا لباع باصيته ولا استيلاء على غنمه ولكن التماس الاسعى جهله ولا يحسن العاقل خلافة فادالم يكن للاخطاة سبيل ولا لعامة وصول فيجب على الطالب أن يختار من لعل أرفع ويستعمل من العلم أنفعه - وقال حكيم آخر في تعليم العلم ارغاما للعدى وخروج من طلبة الجهل الى نور الهدى

ان للعرب فضلا على الغرب في المدنية والحضارة فبه المدين وضعوا لاساس ووطدوا الاركان فبنى رجال الغرب المدنية لمشاكلة لأن تسيه وتبعوا آثاره فاشاقى لعلمو والمعارى وأتوا بمخترعات كثيرة رزوها بها من علمهم وفضلهم لأحس من رجل العرب وعلمه أثم فيها

فلو فقيين على حقائق التاريخ يعرفون حق الأمر من الأمة العربية لمستقيمة أخرى اعتنت مثلها بالعلوم والسياسة بغيرها مستقيمة لأخرج ومنها كسوفونه راجع الى الاساس الموضوعه في كتب مصر فقد غفل محمود باشا عن خصه انماها بالجمعية الجغرافية المصرية - ان جميع معصلات المستشرقين لا ترقى لقياس باحثين وغل ألبانهم ناقشها علماء الاسلام من قبل وانضرب لكم مثلا بهب دروين فقد وقف عليه مفسروا القرآن وأفاضوا القول فيه ودروين وأباد دروين ضهير في الغيب مستتر ولمن

والعرفة والقيافة والعيافة والزجر والتفاؤل والتطير وعلم الفراسة التي ليس لغرب العرب فيها علم وهي أيضا للخاص منهم الفطن والمتدرب فما هو موجود من هذه العلوم عند الأورب وبولين فانه موروثة عن العرب مأخوذة عنهم في سالف الدهر لما كانوا متفرقين في بلادهم ومجاورين لهم في بلاد الأندلس

الفصل الثالث

﴿ في علم الكهانة والنفس ﴾

الكهانة هي علم معرفة لعالم النفس حديثها والاخبار بها قبل وقوعها قال المسعودي ان الكهانة علم قديم من في عهد الروم كانت حكاية اليونان بدعون العلوم من العيزب وقد دعى قردس في ان شره في صفتهم متعلقة على أسرار الطبيعة وعلى ما يريد أن يكون من رسمه في روح الفردوسي الخ يحبرهم وقسم من الصاري قال ان المسيح اعلم ان العالم من زرع ويخرج من لحياء قبل كونه لانه كانت فيه نفس عالمه العيب ولي كانت تلك النفس في جحش الناطقين لكان يعلم العيب ولا أمة خلت إلا كان فيها الكهانة وذهب كثير حتى تقدم ان علة ذلك علل بمسبة وان النفس اذا قويت وراد قهرها صبيغة ناحت للإنسان كل سر الطبيعة وحبرته بكل معنى شريف وغاصت بلها في كائنات المعاني العبيدة فأنتهت وأثرتها على الكمال وكشفت هذه الطائفة وجه اعتلالها فبادرنا

فالإنسان ينسب الى قسمين هم النفس الجسد فالجسد هو الناحية التي لا حركة له ولا حس إلا بالنفس وكان الموت لا يعلم شيئا ولا يورثه فوجب أن يكون العلم للنفس والنفوس طبقات منها الصافي وهي النفس الناطقة ومنها الكسور وهي النفس الحسدية والنفس الزايعية والنفس المختلة ومنها ما قوته أريدي في دسان من قوت الجسم ومنها ما قوته الجسم أريدي منه فلما كانت النسبة النورية في الإنسان الى النفس كانت تهدي الإنسان الى استخراج الغائب وعلم الآتي وكانت فطنته ووطنه أثق وأعلم فادا كانت النفس في غاية البروز

ونهاية الخلوص كانت تامة الا وركالة الشعاع كان توجهها الى دراية الغائبات بحسب ما عليه نفوس الكهنة ولهذا وجد الكهان على هذا السبيل من نقصان الاجسام وتشويه الخلق كما الحال في شق وسطيح الذين أخبر بالرسالة وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم قبل مجيئه بزمن

﴿ رؤيا ربيعة وتأويل شق وسطيح لها ﴾

يحكى أن ربيعة بن نصر اللخمي رأى رؤيا هائلة فبعث الى أهل مملكته يسأل عن تفسيرها فقالوا لبيعت الملائك لسطح وشق فلا يجد أعلم منه ماها فبعث اليها فقدم فقال الملائك لسطح رأيت رؤيا هائلة فإخبرني بها فان أصبتها أصبت تأويلها - فقال سطح رأيت طمطمه خرجت من ظممه بأرضي نعمه فأكلت منها ذات ججمه فقال الملائك ما أخطأب منها شيئا فأتاؤها فقال له بطن بأرضكم الحبش وليلكن ما بين آيين ونجران فقال الملائك يا سطح ان هذا نعاظ أخبرني متى هو كائن أي زماني أم بعده فقال بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين ثمضي من السنين ثم يفتلون بها أجهين أو يخرجون منها كارهين قال الملائك ومن الذي يملك قباهم قال ردي زين يخرج عليهم من عدن فلا يترك أحدا بئس من قس ليس أيدوم بل ذلك ثم يتقنع قريلا ينقطع ذن ومن يقطع قال نى دى كريم عظيم بأبيه ارحم من قبل لعل نال النبوة عند النبي قال رجل من ولد الغالب ابن فهر بن نسي بن نصر يكره ليس نومه من حرارة ذن وهل للدهر من آخر قل نعم وم يجمع قريلا ومن ز آخرون ترين در في المحسبون وينشقي فيه المسميون ذل أحق ما تحب في قريلا وسفوف وانقمر ذن نسي نأبائل يخلق فمافرع من حديثه دعابشق وحطبه بئس مخطوب به خطب حركتم جواب سطح لينظر أيتقان أم يتخلفان فاتقيا في المقاتل

ومن الكهان سلقه وزوبعة وسديف وعران وحارية وجهينة وكهنة بأهله وأشباههم ونظرة فاهما كانت أسهر كهان عصرها وهي لى أندرن عمر بن عامر أحد ملوك اليمن زوال ملكه وأخيرته بحر أب سسأرب وتيان سبيل العرم وأفساده الجنين وزبر الكهنة واطمه بنت مر ختمه صالحة لمل المسهور (قد كان ذلك مرة هاليوم لا) فانه كان لكزها وقع في غوهم وكانت كاهنة بمكة ويحك عنها أمور عجبية في باب السكينة قال الميذنى أول من قل ذلك لمل وطمه وكانت قد قرأت الكتب فأقبل عبد المطلب ومعه ابنه عبد الله يريد أن يزوجه أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن

كلاب فر على فاطمة وهي بمكة فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت له من أنت يا نبي
قال أنا عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم فقالت هل لك أن تقع عليّ وأعطيك مائة من
الابل فقال

أما الحرام فالحات دونه والحل لالح فاستبينه
فكيف بالأمر التي تنوينه

ومضى مع أبيه فترجعه آمنه وظل عندها يومه وليلته فاحققت بالنبي صلى الله عليه وسلم
ثم انصرفت وقد دعته نفسه الى الابل فأناها فلم يمنها حرصا فقال لها هل لك فيما قلت لي فقالت
قد كان ذلك حمرا فاليوم لا فأرسلها مثل يضرب في الدم والابانة بعد الاحترام ثم قالت له أي
شيء صنعت بعدى قال زوجني أي آمنه بنت وهب فكتبت عندها فقالت رأيت في وجهك
نور النبوة فأردت أن يكون ذلك في فأبى الله سبحانه وتعالى إلا أن يضعه حيث أحب وقد
أورد الامام الماوردي هذه القصة في كتاب اعلام النبوية مع بعض الزيادة

﴿ أصل الكهانة ﴾

فالكهانة أصلها نفس لانها لطيفة باقية وهي في العرب على الأكثر وفي غيرهم على
الأندلس وهي شيء يتولد على حسب صفاء المزاج الطبيعي وقوة مادة نور النفس وإذا اعتبر
الانسان أقطابا وجدته متعلقة بعفة لنفس وقع تفرها وكثرة الوحدة وإدمان التفرّد
وشدة الوحشة من الناس وقلة الأُنس بهم وذلك لان النفس إذا انفسدت تفكرت وإذا
تفكرت تعدت وإذا تعدت طالت عليها سحابة العلم النفسى وحظت بالنظر الثاقب ومضت
على الشريعة المستوية فأخبرت عن الأشياء على ما هي عليه وما فوقها فويت النفس في
الانسان فأشرفت على دراية الغائبات قبل ورودها

فالنفس إذا زادت كانت أكبر جزء في الانسان واهتمت الى استخراج البدائع
والأخبار والمستترات واستندلوا على ذلك بالانسان بما قوى فكره وزادت مواد
نفسه وخطره ففكر في الطاري قبل وروده وكذلك اذا النفس تهذبت كانت الرؤيا في
في النوم صادقة والزمان موجودة وقد قال فريقدان النوم هو اشتغال النفس عن
الأمور الظاهرة بملاقات حوادث باطنه

وممنهم من رأى أن النفس تدرك صور الأشياء على ضربين أحدهما حس والآخر
فكرها للصورة المحسوسة لا تدركها الا في هيئتها فاذا اخلص علمها عندها كان إدراكها

منفردا من طينها فيكون فكر الانسان مالم يتم تابعه للحس حتى إذا نام عدت النفس
الحواس كلها وبقيت تلك الصورة التي أخذتها من أعيان الأشياء قائمة كأنها محسوسة لأن
الحس لها في أعيانها كان قبل استيلائها بالفكر ضعيفا فلما ارتفع الحس قوى الفكر
فصار تصور الأشياء في النفس كأنها محسوسة بخطر على بال النائم منها كما يخطر على باله إذا
كان يقطنا الشيء الذي قد كان وليس لذلك نظام

أما ما يراه النائم من الأشياء التي تدل على ما يريده فان ذلك لان النفس عالمة بالصورة
فإذا خلصت في المنام من شوائب الاجسام أشرقت على ما تريد

وقال فريق آخر إذا بطل استعمال قواها فتعقل في الاماكن وت شاهد الانخفاض
بالقوة الروحانية التي ليست بجسم ولا بقوة الجسمانية الغليظة وذلك ان القوة الجسمانية
لا تدرك الأشياء إلا بعلامتها أما بارتباطها بالانفصال والروح تدرك المتصل والمنفصل
جميعها لا يشاركها الجسد

ومنهم من رأى ان النوم هو اجتماع الدم وحدارته الى السكبد ومنهم من رأى ان ذلك
هو سكوت النفس وهو الروح ومنهم من زعم ان ما يجده الانسان في نومه من الحواس وانما
هو من عمل الأطعمة والأغذية والطبائع ومنهم من قال ان الروح يامن الملك وبعضهم من
الشیطان

﴿ الانسان الحساس ﴾

ومنهم من ذهب الى أن الانسان (١) الحساس هو غير هذا الجسم المرقق وانه يخرج من
البدن في حال النوم فيشاهد العالم ويرى الملكوت على حسب صفاته وذهب المتطهين الى
أن الأحلام من الأخلاط ويرى بقدر مزاج كل واحد منها وقوته وقد قال أفلاطون ان
النفس جوهر محرك للبدن وحده وما حده صاحب المطلق ان النفس كمال الجسم الطبيعي
وحدها من وجه آخر ايه حتى بالقوة فالفرق بين النفس والروح لان الفرق بينهما ان
الروح جسم والنفس لا جسم وان الروح يحويه البدن وان النفس لا يحويها البدن وان

(١) راجع كتاب سر الحياة للمسعودي في النفس والانسان وكتاب النهي والكمال
وكتاب طب النفوس وكتاب النفس الساطقة وتقسيمها الى نفوس فاضلة ونفوس أعجاب
القراءة والقيادة والأثر وغير ذلك والكلام على نشر بحها وثمرته ورسالة ابن العربي في
النفس البشرية

الروح اذا فارق البدن بطل والنفس تبطل أفعالها من البدن ولا تبطل هي في ذاتها والنفس تحرّك البدن وتتيّله الحس وقد ذكر أفلاطون في السياسة المدنية ما يلحق الانسان من صفات النفس الداخلة على النفس الناطقة وقد تنازع أهل الاسلام في ماهية الانسان الحساس الدارك المأمور المنهى

علم العرافة ❦

هو من العلوم التي اشتغل بها العرب قديماً ونبغ فيه رجال اشتهروا في الأفطار وحازوا ثقة أهل زمانهم كرياض بن عجلة عراقي الجيامة الذي يقول فيه الشاعر
فقلت لعراقي الجيامة داوئي فانك ان أبريتي لطبيب
وأما العراف في هو ودون السكاهن وقد كانت العرب تستدل به على الخبائات وتستنتج منه الحوادث التالية بتطبيقها على الحوادث الماضية وتعريفه - هو الاستدلال ببعض الحوادث الحالية على بعض الحوادث التالية بمناسة حقيقة بينهما أمالا كونها معلول أمر واحد أو لكون ما في الحال علّة ما في الاستقبال أو لارتباط خفي لا يطلع عليه أحد إلا بعض الافراد إما بكثرة التجارب أو بحالة مودوعة في نفوسهم عنده الفطرة
حكى ان الاسكندر ترك بعض البلاد فدخل هيكلا فوجد فيه امرأة تنسج ثوبا فقالت أيتها الملك أعطيت ملكا ذا طول وعرض ثم دخل عليها إلى بلد ها فقالت له ان الاسكندر سيعزلك فغضب فقالت لا تغضب ان النفوس تعلم أموراً بعلامات وان الاسكندر لما دخل كنت أدبر طول الثوب وعرضه وأنت لما دخلت فرغت منه وأردب قطعه فكان الأمر كما قالت

وقد انتشر هذا العلم بين العرب في زمن الاسلام فمن اشتهر به في زمن هارون الرشيد رجل فاقد البصر كان يستدل على المسؤل عنه بكلام صدر عن الحاضر بن عقب السؤال فمروى يومان خزانه هارون الرشيد بعض من الأشياء فطلب الرجل وأمر أن لا يتكلم أحد بعد السؤال أصلا ففعلوا كما أمر والأعشى ألقى سمعه ولم يسمع شيئا غير يديه على البساط فوجدوا أنه قال ان المسؤل عنه دروز يرجو يا قوت وسقط فقال الرشيد ان هو فقال في يدي فوجدوه كما قال الأعشى فقصر الرشيد فيه فسأله عن سبب معرفته فقال وجدت نوى تمر وقد طلع النخل أبيض وهو كالدرّة ثم يكون بمرأوه وأخضر وهو لون الزمرد ثم يكون رطباً وهو أحمر وهو لون الياقوت ثم لما سألت عن مكان المسروق سمعت صوت دلو

فعرفت أنه في بئرها تستحسن الرشيد فراسته واعطاهم الأجر. ولا ومثل هذه النوادر كثيرة في كتب العرب نصرب عنها صفا

علم العزائم *

ان هذا العلم وعلم الاستحضار هما أصلا علم التنويم المغناطيسى وعلم مناجاة الأرواح اللذان شاع انتشارهما في أوروبا وأخيرا وافتخرت بهما وحسبتهما من ضمن مدينتها ورفها في العلوم وهما معروفان عند العرب قديما كغيرهما وقد ذكرهما في كتبهم ووضعوا لها هذان التعريفان

علم العزائم - هو علم يعرف منه كيفية تسخير الأرواح واستخدامها في مقاصد الانسان علم الاستحضار - هو استئزال الأرواح في قوالب الاشباح وتسخيرها واستخدامها في المقاصد ومن هذا القبيل توجيه الوهم نحو شيء بعد تجريد النفس من السواحل البدنية ليترب على ذلك التوجيه آثار تبلغ صاحبها الى مقاصده ولاغرابة في ذلك لان النفوس القوية الخيرة والشريرة لها تأثير في النفوس الضعيفة (انظر كتاب السرايم المكنوم)

انتشرت هذه العلوم في القرون الأولى قبل الاسلام انتشارا كبيرا في الجاهلية حتى صار لها شأن عظيم ولما جاء الاسلام نظرت في هذه العلوم وفي غيرها مما شاكلها كالسحر والغال والتطير فظهر لعامة انها علوم لا يصح الاشتغال بها فنبى عنها وصونا للأمة وحفظا لها من وقوعها في الملاحى

ظهرت آثار العلوم في الاسلام بدرجة لا مثيل لها فترجوا (١) كتب كثيرة من كتب اليونان وغيرهم من الأمم البائدة كلمة الكلدان والأمة النبطية واكتشفوا علومها جديدة واخترعوا اختراعات لم تكن موجودة من قبل ولاجل أن ثبتت قوة رجال الأمة العربية في العلوم والتأليف ندكر في المقدمة الآتية مقتطفات من علم الطب والجغرافيا والموسيقى للاستدلال بها على قوتهم في العلوم الأخرى

(١) راجع فهرس كتب العلوم القديمة لأبى الفرج محمد بن اسحاق الورثاني المعروف بابن أبي يعقوب النديم البغدادي الغير مطبوع وموجود بالمدينة المنورة

المقالة الثانية

في

﴿ العلوم والقنون والصنائع ﴾

(وفيها أربعة عشر باباً)

.....

الفصل الاول

﴿ في علم الطب ﴾

﴿ تمهيد ﴾

اشتغلت العرب بعلم الطب وبقائه في زمانهم من عبقريين عظماء برعوا فيه
ونبغ منهم أطباء اشتهروا بعلومهم ووفرائهم من سحرهم وخصب سبلهم بجمع
أيضاً أطباء من النساء كزينة بن قيس طيبة بن قيس بن كنانة بن عبد
الرجال واختصت بطب النعرون وورثها من بعدهم
أخترى طبيب المسون رزق بن حارث بن عوف بن
وقد كان رجال الامم العربية كالكثرة
عدم توفر المادة في زمانهم بقرينة توالي
وسهولة المواصلات وغير ذلك من سبل
وحال الامم العربية في القرون الماضية
الحقيق ساقطة في المدنية ووجدت أئمة
فلا الطبيب يكون طبيباً بشهادة
واتبع قانون حرفه وظهر بظهور العالم العال والاساطع وخبرهم واستمدت
العلوم المدنية ما هي الا سبل يتدرج عليه حتى يصل درجة بعد درجة لم يهتد لها شرس

سبباً يحجم الأمة عن الاشتغال غير حب التواني والكسل والملاهي والمذات والانتهاش في الشهوات والاشتغال بسفاسف الأمور

فالطبيب والعالم في الزمن الأول كانا أطباء وعلماء بمعنى الكلمة يشهد لهم التاريخ ويقتصر بهم وبأسماهم المدونة في بطون مجلداته

فقد دون العرب كتباً كثيرة وترجموا أيضاً كتب الأمم الماضية ونقلوها إلى لغاتهم كما تشهد بفضلهم كتبهم الموجودة بدور الكتب بأوربا التي نظرتها ورأيت علماء ثلاث البلاد منسكين على درسا وترجمتها إلى لغاتهم لأجل الاستفادة منها ونحن عنها ساهون لاهون

فمن الذين ألفوا في الطب برعوا فيه أبو زكريا الرازي طبيب المسلمين فإنه اشتهر في الطب والمنطق والهندسة وغيره من العلوم الفلسفية وكان يضرب بالعود ودور مارستان الري ومارستان بغداد وتوفي سنة ٣٢٠ وقد أحسن صناعة الكيمياء وبلغ عدد مؤلفاته في الطب وغيره ١١٦ مؤلفاً

ومن المؤلفين أيضاً ابن النفيس وهو علي بن أبي حزم علاء الدين الطبيب المصري صاحب التماييف الفائقة في الطب - منها الموجز وشرح كليات القانون وكتاب الشامل الذي لو تم لكان ٣٠٠ جزء - أتم منه ثمانون مجلد اوقيل أنه كان في العلاج أعظم من ابن سينا

﴿ أول من تكلم بالطب ﴾

كان أول من تكلم بالطب اسقليبيوس وكان يونانياً ثم أتى بعده بقراط وهو أول من دون الطب في بطون الدفاتر وكان فيلسوفاً وأستاذ الطبيعيين يعالج المرضى احتساباً بطوافاً في البلاد ولما خاف أن يفنى الطب بعده علم الغرباء وجعلهم بمنزلة أولاده وهو القائل - ان الجود ياتخير يجب أن يكون على كل أحد يستحقه قريباً كان أو بعيداً - وقال أبو الحسن علي ابن رضوان الطبيب كانت صناعة الطب قبل بقراط كنزاً وذخيرة يكتنزها الآباء للبناء ونظر أيضاً في الديوان أطباء أتوا بعد بقراط فصرّب عن ذكرهم صفحاً لأن بحثنا مختص بالعرب

﴿ أساس العلوم عند العرب ﴾

فد جعلت العرب علم الطبيعة أساس علومها لاسيما علم الطب وقد عرفته بهذا التعريف هو علم يبحث فيه عن أحوال الاجسام الطبيعية بأنواعها وموضوعه الجسم من حيث كونه

متغيرا ومنفعة معرفة أحوال الاجسام البسيطة من الافلاك والعناصر والمركبة ككلواليد
الثلاثة وكائنات الجو وغير ذلك من الحوادث العجيبة وغرائب الامزجة والاحجار
والنبات والحيوان وقد قسم العرب هذا العلم الى سبعة فروع وبعضهم الى عشرة وهي - علم
الطب - البيطرة - الصيدلة - النبات وخواصه - الكيمياء - الفلاحة - الفلك -
الفراسه - خواص الاحجار والمعادن وقد زاد بعضهم عليه علم الموسيقى

﴿ اكتشافاتهم ﴾

ان العرب هم أول من بحث في الحيات النقطية كالجدي والخصبة والحجى القمرية
وحسبنا من ذلك رسالة الرازى وهم الذين لطفوا المسهلات وحسنوا صناعة التقطير
والتمخير وتشكيل الاوانى الكيماوية بأشكال يسهل بها تناول واستخراج الكثير من
الاملاح المعدنية وكانت لهم اليد الاولى في فن تركيب العقاقير فوضعوا أسسها وطردوا
أركانها وهم أول من اخترع السواغات لادابة الاصول الفعالة للدوية النباتية والمعدنية
والحيوانية واخترعوا الانبيق ووضعوا الاسماء التى لا تزال مستعملة عند الافرنج
كالكحول والشراب واستعملوا التراكيب الحديدية والكبريتية والنفاس والزرنينج
وحضه والزئبق وجنوا من اشتغالهم بالكيمياء الفوائد الجمة واستعملوا طب الخيل وهي
البيطرة والزرقة وهي طب الطيور

﴿ أطباؤهم ﴾

ان أطباء العرب كانت على جانب عظيم من العلم والعمل الحق بينا يكون الطبيب طبيا
فأنك تراه في آن واحد أديبا فاضلا أخلاقيا كريما فيلسوفا حاذقا وتنقسم الاطباء ثلاثة
أقسام أطباء وجدوا في العصر بن عصر النصرانية وعصر الاسلام وأطباء مسلمون
وأطباء موسويون

فن الاطباء الذين اشتهروا في العصر بن الحرث بن كثة كان من الطائفة وسافر
البلاد وتعلم الطب ببلاد فارس وتمرن هناك وعرف الداء والدواء وكان يضرب على العود
وتعابه بفارس واليمن وبقي أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وعثمان وعلي بن أبي طالب
ومعاوية رضى الله عنهم وكان طبيب العرب وله معرفة تامة بما كانت تعتاده العرب وتحتاج
اليه من المداواة وله كلام مستحسن فيما يتعلق بالطب وغيره

[illegible]

وأرقه أمره وأعد به أشباهه ولا تشربه صر فاقورئك صداعا ويشرب عليك من الادواء أنواعا
قال فأى اللحم أفضل قال الضأن الفتي والقديد المالح ثم اللحم اللاك كل واجتنب لحم البقرة قال
فما تقول فى الفواكه قال كلها فى اقبالها وحين أوانها واتركها اذا أدبرت وولت وانقضى
زمانها قال اخبرنى عن أصل الانسان ما هو قال أصله من حيث شرب الماء يعنى رأسه قال فما
هو هذا النور الذى فى العينين قال مر كب من ثلاثة أشياء فالبياض شحم والسواد ماء
والناظر ريج قال فعلى كم جبل وطبع هذا البدن قال على أربع طبائع المرة السوداء وهى
باردة يابسة والمرة الصفراء وهى حارة يابسة والدم وهو حار رطب والبلم وهو بارد رطب
قال فلم يكن من طبع واحد قال لو خلق من طبع واحد لم يأكل ولم يشرب ولم يمرض ولم
يهلك قال فمن طبيعتين لو كان اقتصر عليهما قال لم يجز لانهما ضدان يقتتلان قال فمن ثلاثة
قال لم يصلح موافقان ومخالف فالاربعة هو الاعتدال والقيام فأعجب كسرى بكلامه وأمر
بتدوينه وأعطاه صليبه وله نصائح كثيرة تقتصر على ذكرها وله من الكتب كتاب الحاورة
فى الطب بينه وبين كسرى أنوشىروان

ومن الالطباء المشهورين أيضا أمين الدولة ابن التلميد فانه كان أحد زمانه فى صناعة
الطب وبما تراه أعمالها وله تصانيف مشهورة وكان يعرف المريانية والفارسية متبحرا
فى اللغة العربية وله شعر مستطرف حسن المعاني

فمن نوادره فى الطب انه أحضرت اليه امرأة محمولة لا يعرف أهلها فى الحياة هى أم فى
المان وكان الزمان شتاء فأمر بتجريد ما وصب الماء عليها صبا متاعا كثيرا ثم أمر بنقلها الى
مجلس دقى وقد بنجر بالعود والندود ثرب بأصناف الفراء ساعة فعمطت وتحركت وقعدت
وخرجت ماشية مع أهلها الى منزلها - ودخل عليه أيضا رجل منزف يعرق دما فى زمن
الصيف فسأل تلاميذه وكانوا أحسن نفسا فلم يعرفوا المرض فأمر أن يأكل خبز شعير مع
بازنجان مشوى ففعل ذلك ثلاثة أيام فبرأ فأله أسحابه عن العلة فقال انه دم قد رقى ومساه
قد انفتحت وهذا الغذاء من شأنه تغليظ الدم وتكثيف المسام وقد نوقى فى بغداد سنة ٥٦٠
وخلف كتب كثيرة لا نظير لها فورث جميع ذلك ولده وبقى منه ثم خنق ولده فى دهلج داره
ونقلت كتبه على اثني عشر رجلا الى دار الجند ابن صاحب وكان أمين الدولة أسلم قبل موته
وقدامتهحه السيد النقيب الفاضل ابن الشريه بقصيدة طويلة منها

أرى الاشواق تحول فى فؤادى كمثل النار فى حجر الزناد
مضى ولعب به ذكرا كاذب حجر الجوى تلفظنى بسلامدى

﴿ ومنها ﴾

إذا واليت فانظر من توالى وان عادت فانظر من تعادى
فان أحبت تعرف ما التناهى من الأشياء فانظر في المبادئ
﴿ وقد أشد أمين الدولة نفسه ﴾

لولا حجاب امام الناس بمنعها عن الحقيقة فيما كان في الازل
لأدرت كل شيء عز مطلبه حتى الحقيقة في المعاول والعلل

﴿ وله في الغزل ﴾

لا تحببن سواد الخلال عن خلل من الطبيعة أو احداه غلطا
وانما قل التصريح جري بنون حاجبه في خده نقطا

وله من كتبه المشهورة كتاب الأفراديين في الأدوية المفردة والمركبة وكتاب في
الأمرض الباطنية وقد بلغ عدد مؤلفاته نحو المائة مجلد غير الذي افتناه من كتب الغير
رشيد الدين أبو خليفة - كان أوحذ زمانه في صناعة الطب والعلوم الحكيمه متفطنا
في العلوم والآداب حسن المعالجة لطيف المداواة ورؤوفا بل مرضى مواطن باللائمور الشرعية
وكان مولده سنة ٥٩١ هـ وأقام بالديار المصرية ومن نوادره انه جاء اليه امرأة من الريف
ومعها ولدها وهو شاب قد غلب عليه التحول والمرض فشكت اليه حال ولدها وانها قد أعيت
فيه من المداواة وهو لا يزاد الا انحولا وأسقاما وكانت قد جاءت اليه بالفداة قبل ركوبه وكان
الوقت باردا فنظر اليه واستقرأ حاله وجس نبضه فينهاهو بجس نبضه قال لعلامة ادخل
ناولني الفرجية حتى أجعلها على فتغير نبض ذلك الشاب عند قوله تعبرا كثيرا وتغير لونه
أيضا فحس أن يكون عاشقا ثم جس نبضه بعد ذلك فتساكن وعند ما أخرج الغلام وقال له
هذه الفرجية جس نبضه فوجده أيضا قد تغير فقال لو الدنه ابنك هذه عاشق فقالت أي
يامولاي والله يجب واحدة اسمها فرجية

وله نوادر كثيرة في أعمال صناعة الطب وحكايات كثيرة يفتيز بها على غيره من جماعة
الأطباء وكان شاعرا أديبا ومن شعره

خيل لي اني قد بقيت مسهدا الحب من مأسور الفؤاد مقيدا
بحب فتاة ينجل البدر وجهها ولا سبيا في ليل شعر اذا بدا
ضلت بها وهي الهلال ملاحه فوا عجا منه أضل وما هدى

لها مبسم كالدر أخفى منظما ونطق كمثل الدر أعمى مبددا
ومن مصنفاته مقالة في الصحة - كتاب الأدوية المفردة سماه المختار في الأنف عقار
كتاب في الأمراض وأسبابها وعلامتها ومداؤها بالأدوية المفردة والمركبة ومقالته في
ضرورة الموت وكسر من التعليل في هذه المقالة أن الإنسان لم يزل يتحلل من بدنه بالحرارة
التي في داخله وبحرارة الهواء الذي من الخارج كانت نهايته إلى الفناء يهذب السبين
ومقالته في أن الملاذ الروحية ألذ من الملاذ الجسدية إذا روجانية كماله وأدراك السمالات
والجسدية انما هي دفع آلام خاصة وإن زادت أو قُصت في آلام آخر
الطيبب علي بن رضوان بن علي بن جعفر أبو الحسن المصري - هو من كبار الفلاسفة
في الاسلام والأطباء وكان أبوه فرانا اشتغل بهذا الطيبب بالعلوم عند ما بلغ من العمر ستة
سنوات وابتدأ في تعلم الطب وهو في سن الخمسة والعشرين وظل منكسب على التعلم إلى أن
بلغ الثانية والثلاثين من عمره وكان يسكن داره التي أقامها بمصر القديمة في خط قصر
الشعبة واشتهرت باسمه مدة من الزمان وهي مهدمة الآن (هذه الجملة موجودة
بمصر القديمة ومعروفة بهذا الاسم لغاية اليوم) وكان فيه سعة خلق عند بحثه كثيرا رد على
أرباب حرقته (انظر كتاب الجوامع الزاهرة في ملوك القاهرة)

بحث هذا الطيبب في حالة مصر الصعبة كلبحت في الشرب من ماء النيل والآبار وماء
الصهاريج التي كانت مستعملة في مصر قديما وفي الأمراض الوافدة عليها والعلل الدائمة بها

﴿ ماء النيل والآبار ﴾

قد وضع هذا الطيبب كتابا سماه دفع مضار الأبدان بأرض مصر ووصف فيه أرضها
وصفة اختلاف هوائها وما يتولد فيها والأسباب السيئة المحيطة بالصحة والمرض بأرض مصر
وفصول السنة وفي الوقوف على أسباب الوباء وسائر الأمراض الوافدة وحفظ الصحة
والأمراض وفيما ينبغي الطيبب أن يفعله وفي صفة تدبير الأبدان وفيما يصلح الهواء والماء
والغذاء وما فيها بدفع به ضرر الأمراض الوافدة عليها وقسمه إلى خمسة عشر فصلا كتب
في الفصل العاشر عن ماء النيل والآبار ما يأتي

(عمان النيل يمر بأهم كثير من السودان ثم يصير إلى مصر وقد غسل ما في بلاد
السودان من العفونات والأوساخ وديشق مارا بأرض مصر في وسطها من الجنوب إلى
الشمال إلى أن يصب في بحر الروم ومبدأ زيادة هذا النهر في فصل الصيف ومنتهى زيادته في فصل

الخريف ويرتقى منه في الجو في أوقات زيادته رطوبات كثيرة بالتصلب الخفيف فيرطب لذلك
يسبب الصيف والخريف واذ اذ هذا النهر فاض على أرض مصر فغسل ما فيها من الاساخ
نحو الخيف الحيوانية وأزبالها وفضول الآجام والنبات ومياه القايح (يشير الطبيب بذلك
الى البرك والمستنقعات) أخذ جميع ذلك معه وقد خالطه من تراب هذه الارض وطبها ، فمدار
كثير من أجل سخافها (أي رقتها) وباض فيه السمك الذي تربى في المستنقعات ومن قبل
ذلك نراه في أول زيادته يخضر كثيرا لكثرة ما يتخالطه من مياه البرك والقايح التي قد
اجتمع بها العرمض والطعلب واخصر لونهما من نفعها ثم يتعكر حتى يصير آخر أمره بمنزلة
الحماة واذ اضفى اجتمع في الاناء طين كثير ورطوبة لزجة لها سهوكة ورائحة مسكرة وهذا من
أوكد الاشياء في رداءة هذا الماء وعفنه وبين أبقراط وجالينوس انه أسرع المياه الى التعفن
ماء لطفة الشمس كماء الامطار ومن شأن هذا الماء أن يصل الى أرض مصر وهو في غاية
من اللطافة من شدة حرارة بلاد السودان فاذا اختلط بعقوناب أرض مصر زاد ذلك في
استحالة ولذلك يتولد فيه من أنواع السمك شيء كثير جدا فان فضول الحيوان والنبات
وعفونه هذا الماء وبيض السمك تصير جميعها مواد في تكون هذه الاسماك كما قال ذلك
ارسطوطاليس في كتاب الحيوان وذلك أيضا شئ ظاهر للحس فان كل شئ يتعفن يتولد
من عفونه الحيوان ولهذا صار ما يتولد من الفار والدود والثعابين والعقارب وغيرهما من
الهوام كثيرا بأرض مصر - وقد استبان ان المزاج الغالب على أرض مصر الحرارة
والرطوبة وأنه ذو أجزاء كثيرة وان هواءها وماءها رديان وأردأ ما يكون النيل بمصر عند
فيضانه وعند وقوف حركته وعلى ذلك فينبغي أن يغلى الماء ويالغ في تصفيته بقلوب نوى
المشمش وسائر ما يصلح لزوجه وأجود ما يكون من مائه في طوبه عند تسكامل البرد ولهذا
عرف المصريون بالبحر بة أن ماء طوبه أحوذ المياه حتى صار كثير منهم يحزنه في الصحاري
ولكن على أي حاله كان شأن الماء المنحزول لا بد أن يتغير

فرداءة ماء النيل الناتجة من وقوف حركته في زمن الصيف ومن حركته زيادته لانه يجلب معه
الاقدار والعقونان ولذلك ينبغي أن يسقى ماء النيل من المواضع التي فيها جريانه أشد
والعفونتها أقل مثاله بالفسطاط محاذاة الموضع المعروف بالكوم الأحمر مما يلي
الجيزة ويصفي

أما الابار فان ماءها لا يصلح للشرب منه لقرب مياه القاهرة وضواجهما من وجه الارض
مع سخافتها بوجوب ضرورة أن يصل اليها بالرشح من عفونة المراحيض شئ ما ولأن بطامخ

الأرض تتحلى متى صار النيل في أيام فيضانه

وقد فضل أيضا السكني بأرض مصر وإن كانت تفعل في الابدان رداءة في الفصل الخامس عشر بقوله - أما أرض مصر فينبغي أن تؤثر السكني فيها لأمير بن علي هذا النوع (أي ماسبق ذكره في الكتاب) وقد قلنا إن الأمراض التي تعرض للابدان بمصر منها ما يمكن زوالها وظاهر أيضا أن أخلاق النفس يمكن مصاداتها كما قيل في كتب الاخلاق وعلى ان شرور أنفس المصريين سريرة القبول للعلاج لان شرورهم ضعيفة غير مستعجة فيا يكره اذن من أجله السكني بمصر سهل الزوال وأيضا فلان مصر كثيرة العمارة والناس والمواضع التي هي حالها وهي أكثر تمدنا والانسان مدنى بالطبع فسكنه اذا في المواضع التي تلاه أوفق والافضل لكثرة ما يجد فيها من الأشياء التي يضطر اليها في قوام حياته وأيضا فأرض قليلة الفتن والحرب لسكون أنفس أهلها الى من تسوسهم وضعفهم عن الجهاد فالسكني بمصر ينبغي أن تؤثر وإن كانت أسعارها مرتفعة فالمكسب كثيرة

ومن كلامه في الحكم اذا دعى الطبيب الى مريض يجب عليه ان يعطيه ما لا يضره الى ان يعرف علته فيعالجها عند ذلك ومعنى معرفة المرض هو ان يعرف من أى خلط حدث أولا ثم يعرف بعد ذلك في أى عضو هو ثم يعالجه

ومن تأليف - كتاب الاصول في الطب ورسالة في علاج الجذام - كتاب النافع في كيفية صناعة الطب - رسالة في علاج داء القيل - رسالة في الجليات ورسالة في ضيق النفس ومقالة في ان الوجود نقط وخطوط طبيعية ومقالة في أن كل واحد من الاعضاء يتغذى من الخلط المشاكل له وهو القائل ان تحصيل العلوم من الكتب أوفق من المعلم

العنترى - هو أبو المؤيد محمد بن المجلى بن الصائغ كان طبيبا مشهورا حسن المعالجة جيد التدبير وافر الفضل فليسوا أديبا وله شعر كثير في الحكمة وغيره او من كلامه في الحكمة قال بنى ان الحكمة العقلية تربك العالم بقادون بأزمة الجهل الى الخطأ والصواب وقال الجاهل سكران لا يفيق الا بالمعرفة - الحكمة غذاء النفس وجالها والمال غذاء الجسد وجالها فحقا اجتمع المراءى زال نقصه وتم كماله ونعم بالله وقد قال حين ترك الخمر وناب عنه

نار الجيا ونار الفكر مذنها جسمي تركت الجيا خشية العار
والكاس بالطبع تصدى عقل شاربا والسكر يسلب منه حكمة البار
وله من الكتب اقربا زين في الطب ورسالة في حركة العالم ورسالة في الفرق ما بين
الدهر والزمان والكفر والايمان ومن شعره في الغزل

وسرب غيد بشاطى دجلة خرجوا
عن الثياب والقوا سائر الكف
كانهم وسط لج الماء أجمعهم
درتجرد في بحر عن الصدق

(جبرائيل بن يحيى بن جويريس) كان مشهوراً بالفضل جيد التصرف في
المداواة سعيد الجدل حذياً عند الخلفاء قال فتون الترجان انه لما مرض جعفر بن يحيى بن
خالد بن برمك تقدم الرشيد الى يحيى بن جعفر بن يحيى بن
الايم قال له جعفر اريد ان تختار لي طبيباً ماهراً اكرمه واحسن اليه قال له ان ابني جبرائيل
أمر مرنى وليس في الاطباء من يشا كله فقال أحضره ولما حضر عالجته في ثلاثة أيام وبرىء
فأحبه جعفر وكان لا يصبر عنه ساعة ومعه يأكل ويشرب وفي تلك الايام طعت حظية الرشيد
ورفعت يدها فبقيت منسطة لا يمكنها ردها والاطباء يعالجونها بالتمرغ والادهان ولا ينفع
ذلك فقال الرشيد لجعفر قد بقيت هذه الصيبة بعنتها قال جعفر لي طبيب ماهر وهو ابن
يحيى بن جعفر يدعوه ويخاطبه في هذا المرض فلعل عنده حيلة في علاجها فأمره باحضاره ولما
حضر قال الرشيد ما اسألك قال جبرائيل قال أى شئ تعرف من الطب فقال أبرد الحار وأضخن
البارد وأرطب اليابس وأيبس الرطب الخارج عن الطبع فضحك الخليفة وقال هذا غاية
ما يحتاج اليه في صناعة الطب ثم شرح اليه حال الصيبة فقال جبرائيل ان لم يسخط على
مولاي فلها عندي حيلة فقال له وما هي قال تخرج الجارية الى هنا بحضرة الجميع حتى أعمل
ما أريد به وتمهل علي ولا تعجل بالمسخط فأمر الرشيد باحضار الجارية فخرجت وحدين رآها
عدا اليها ونكس رأسه وأمسك ذيلها كأنه يريد أن يكشفها فانزجت الجارية ومن شدة
الحياء والازعاج استرسلت أعضاؤها وبسطت يدها الى أسفل وأمسكت ذيلها فقال جبرائيل
قد برئت يا أمير المؤمنين فقال الرشيد للجارية أبسطي يدك عنقويسرة ففعلت ذلك فمجب
الرشيد وكل من كان بين يديه وأمر له بصلته وأحبه مثل نفسه وجعله رئيساً على جميع الاطباء
ولما سئل عن السبب قال هذه الجارية أنصب الى اعضائها وقت الجماعه فخط رقيق الحركة
واتشاد الحرارة ولاجل ان يكون حركة الجماع تكون بقعة جددت الفضلة في بطون جميع
الاعضاء وما كان محلها الا الحركة مثلها فاهتلت حتى انبسطت حرارتها وتعلت الفضلة وله
نوادير كثيرة أحبه بسببها الرشيد وقد قال علي بن اسحق الرهاوي في كتاب أدب الطبيب عن
عيسى بن ماسه ان يوحنا بن ماسو به أخبره ان الرشيد قال لجبرائيل وهو حاج بمكة يا جبرائيل
علمت من تبتك عندي قال يا سيدي وكيف لأعلم قال له دعوت الله في الموقف دعاء كثيراً ثم
التفت الى بني هاشم فقال عسى أنكرتم قولي فقالوا انه ذمى فقال نعم ولكن صلاح بدنى

وقوامه به صلاح المسامين في صلاحهم بصلاحه بقائه فقالوا صدقت يا أمير المؤمنين
سلامه ابن رحون هومن أطباء مصر وفضلها وكان يهوديا وله أعمال حسنة في
صناعة الطب وله من الكتب كتاب نظام الموجودات - مقاله في السبب الموجب لقلة
الامطار في مصر - مقاله في العلم الالهى - مقاله في خصب أيدان النساء بمصر

✽ المداواة بالوهم ✽

قد استعمل أطباء العرب المداواة بالوهم كما استعملوا المداواة بفن الموسيقى وآلات
الطرب فن نوادرهم في ذلك ان مريضاً بغداد كان عرض له علة المالىخوليا وكان يعتقد ان
على رأسه دناؤه لا يفارقاً بدأ فكان كلما شئ يصايد المواضع التى سقوفها قصيرة ويمشى
برفق ولا يترك أحدا يدنونه حتى لا يميل الدن أو يقع من على رأسه وبقى هذا المرض مدة
وهو في شدة منه وعالجته جماعة من الاطباء ولم يحصل بعلاجهم تأثير وانتهى أمره الى أوحد
الزمان أبى البركات هبة الله بن ملكا البغدادى وكان يهوديا وأسلم بعد ذلك وكان بارعاً في فن
الطب وله تصانيف في غاية الجودة وكان اهتمامه بالغ في العلوم فأمر باحضاره لديه وفكر انه
ما بقى شئ يمكن أن يبرأ به الا بالامور الوهمية فقال لاهله اذا كنت في الدار فأثوني به ثم أمر
أحد غلمانه بأن ذلك المريض اذا دخل اليه وشرع في الكلام معه وأشار الى الغلام بعلامة
بينهما أن يسارع بخشبة كبيرة فيضرب بها فوق رأس المريض على بعد منه كأنه يريد
كسر الدن الذى يزعم انه على رأسه وأوصى غلاماً آخر وكان قد أعد معه دنان في أعلى السطح
انه متى رأى ذلك الغلام قد ضرب بها فوق رأس صاحب المالىخوليا انه يرمى الدن الذى عنده
بسرعة الى الارض وشرع في الكلام معه وأنكر عليه حمل الدن وأشار للغلام الذى عنده
العصا من غير علم المريض فأقبل اليه وقال له والله لا بدنى أن أكسر هذا الدن وأرى يحل منه ثم
أدار الخشبة وضرب بها فوق رأسه بنحو ذراع وعند ذلك رمى الغلام بالدن من على السطح
فكانت له رجة عظيمة فتكسر فله اعين المريض ما فعل ورأى الدن المنكسر تأوه
لكسره ثم اياه ولم يشك انه هو الذى كان على رأسه وأثر فيه الوهم تأثيراً برى به من علمه وهذا
باب عظيم في الدواء وقد جرى أمثال ذلك لجماعة من الاطباء مثل جالينوس في مداواتهم
بالامور الوهمية وله من الكتب كتاب ظهور الكواكب ليلاً واختفاؤها نهاراً واختصار
التشريح ورسالة في العقل وماهيته

﴿ ما يحتاج اليه الطبيب من العلوم ﴾

ذكر الشيرازي في كتاب الحاجة الى الطب وآداب الأطباء وصاياهم القبر مطبوع مالمخصه - ان الطبيب يحب أن يكون عارفاً بمجلة علوم أحدها وهو المهم الذي لا بد منه أن يكون عنده من المنطق معرفة السكيات الجنس لاحتياجه اليها من الوجهتين الاولى أنه يحتاج الى معرفة حدود الامراض وحدود أنواعها ورسومها من الجنس والفصل والوسم من الجنس والخاصة - والثاني أنه لا بد في تشخيص المرض أن يعرف المرض ماهو ثم يقسمه الى قسمين بسيط ومركب - أما البسيط فهو ينقسم الى ثلاثة أقسام سوء مزاج وسوء تركيب وتصرف اتصال أما سوء المزاج فينقسم الى قسمين مادي وساذج أما المادي فينقسم الى صفراوي وغير صفراوي وأما الصفراوي فقد يكون حسي وقد يكون غيرهما العلم الثاني من العلوم التي يحتاج اليها الطبيب علم الطبيعة فان الطب فرع من فروع - العلم الثالث الهندسة حاجة الطبيب اليها قليلة جداً وقد قيل ان الطبيب يحتاج الى علم الهندسة ليعرف منه أشكال الجراحات لان الجراحة الممورة عمرة البروء والجراحة المثلية والمربعة وغيرها سهلة البروء اذا كانت لها زوايا فانه ينبت منها نبات اللحم - العلم الرابع الهيئة وحالة الطبيب اليه من كل وجهين أحدهما أن يعرف وقت شدة الحر وشدة البرد فيعرف أن الوقت الصالح لسقي دواء المسهل أى الاوقات وثانيهما أن يعرف أحوال البلدان وعروضها ومسافات الكواكب فيعرف طبائع الاهوية والاغذية والمياه بحسب كل بلد - العلم الخامس علم النجوم وأحكامها وحاجة الطبيب اليه من وجوه - الاول أن يستعمل الدواء المختار في الوقت المناسب الذي يكون فيه القمر مجازاً للسعد من شكل موافق - الثاني أن يعرف ان نقصان القمر وزيادته تأثيراً في زيادة الرطوبة ونقصانها ومن العلوم أيضاً علم الموسيقى والالخان وعلم النبات وخواصه والاحجار وخواصها والمعادن وخواصها والحيوانات وخواصها وعلم الفراسة والاشربة وأمزجها

﴿ وصايا الأطباء ﴾

ان ما يحتاج اليه الطبيب من الوصايا عشرة - اولاً يحب أن يكون الطبيب عارفاً بالله خاتماً منه معتقداً لأمر المعاد والثواب والعقاب فعلاً لا تخيراً هيا عن مواقع الضرر فان الطبيب متصرف في الارواح فان لم يكن كذلك لم يجز الاعتماد عليه ثانياً يحب أن يحمدوا

معلمهم ويشكرهم على ما فادوهم من العلوم ويكثر واربهم كما يكثرون برأبائهم فكما ان
الابوين كانا يحبونه فكذلك معلمهم كانوا يحبونهم ونباهته - ثالثا يجب أن لا
يضاخوا على من يريد أن يتعلم هذه الصناعة من المستحقين لها ولا يطلبون منهم أجرا على التعليم
رابعا يجب أن يجتهد الطبيب في مداواة المرضى وحسن تدبيرهم بالأغذية والأشربة ولا
يكون غرضه من مداوتهم طلب المال وعزائهم غفوة وعشية أن كان المرض حادا سريع
التغير من حال إلى حال - خامسا لا يعطى لاحد دواء قتالا ولا يصفه ولا يدل عليه ولا ينطق به
ولا يدفع إلى النساء دواء لاسقاط الحمل ولا تذكرة لاحد - سادسا لا ينبغي للطبيب ان يقضى
سر المريض ولا يطلع عليه غيره لا قريبا ولا بعيدا - سابعا يجب على الطبيب ان يكون
لطيف الكلام طلق لوجهه يصال على المداواة وان لا يتكبر على الفقير ولا يمتنع من استماع
كلامه ولا يفرق في المداواة بين الفقير والغني والعدو والحبيب - ثامنا لا ينبغي للطبيب
ان يكون مشتغلا بالتدذذ والتنعم وذكر النساء وأن لا يكثر من شرب النبيذ فان ذلك مما
يضر بالدماغ ويملؤه فضولا ويفسد الذهن - ناسعا يجب أن يكون ملازما لمواضع المرضى كثير المداولة
لأمورهم وأحوالهم مع الاساتذة والخذاق من الأطباء كثير التقدر لا حواهم منذ كراما
قراءه - عاشرا يجب ان لا يأمن من المشورة وأخذ رأي من هو أفضل منه وإذا دخل على
مريض عدة من الأطباء فان أشار غير ما في الحق أفر وان أشار إلى ما ليس بحق لم يجزله بل
يمهله عذرا وذلك ان يقول الذي أدكره قول بعض الناس ولكي أؤثر ان العلاج يكون
كذا وكذا وعرف موضع الخطأ برفق

وقد ذكر في هذا الكتاب ما يجب على الأطباء أن يبحثوا فيه ويقفوا عليه وقد ضم
إليه كتاب علل الأطفال ومداواتها وآداب المرضعة وتدبيرها

✽ الطب الكبريات ✽

ان طريقة العلاج بالطب الكبريات ليست حديثه النساء بل هي قديمة لعهد فقد
اشتغلت بها العرب وغيرهم من حقبهم من الأمم وكانوا يستعملون المداواة المرضي بالكبريات
السكك الكبريات المسمى عند العامة بالرعاش أو الرعاد وذلك لعدم توفر الآلات المولدة
للكبريات في العصور القديمة وتحسين آلتها كما هي الآن فالفضل راجع إلى من سبق من
الأمم ويجب الشكر لمن أبرز هذه الطريقة من العلم إلى الوجود وانتفاع بني الإنسان بها

استعمل ابن سينا السمك الكهر باثي في مداواة الصرع والالام العصبية بواسطة وضع السمك في الماء لبقائه حيا وتوصيل شريطين من الصلب له يتناولها المريض فتحصل له رعدة عظيمة فكان لا يقوى على امساكهما من ناحيتي يلقيهما على الأرض وكان يستعمل ذلك للمريض أيام امتوالية فشفى بسبب ذلك من المرضى كثيرين وقد وصف بعض الأطباء أكل السمك الرعاد وقالوا بثبوت نفعه في شفاء الامراض

وقد روى أن نساء غربي أفريقية كن يلقين بمن اعتل من أولادهن في برك فيهما من نوع هذا السمك

وذكر أن اسكربيونيوس وغوش أحد اطباء المعروفين في زمن القيصر طباريوس الروماني كانا يصفان هذه الاسماك لشفاء النقرس وذكر بلينيوس المؤرخ أمور من هذا القبيل

واستعمل الاقدمون المغناطيس الطبيعي لمعالجة الامراض العصبية وجربه بارسلينوس الألماني في أوائل القرن السادس عشر وقد جرب بعد ذلك المغناطيس الصناعي فتصح

وأطباء الهند يستعملون السمك الكهر باثي في الامراض الشديدة الحرارة وإذا ماتت السمكة بطلت خاصيتها

ومن اسم هذا السمك قد اشتق اسم المدمرات الحربية البحرية المسماة توربيداليونان يسمون أسعة السمك الرعاد الكهر باثية ناركي واللاتين توربيدو والفرنساويون توربيل والانكليز توربيدو وكرامبش

فالجهاز الكهر باثي الذي سميت به الطائفة الرعادة من الاسماك هو كئلتان واحدة على كل من جانبي الجمجمة مكونتان من عدة عمد عمودية غروبة أو منشورية ستة اطلاق وزوايا بينها فواصل غشائية فيها سائل يتوارد اليها دم كاف وخيوط عصبية كثيرة وهو نحو عشرين نوعا قسمت الى سبعة أجناس توجد في جميع بحار الدنيا وجهاز الكهر باثي هذه الاسماك يشابه جهاز كلفاني المصنوع الآن

وقد ذكر دولة لامير محمد علي باشا في رحلته اليابانية المطبوعة حديثا انه شاهد في بحار تلك الجهات الامعاك الكهر باثية التي تسمى الصر في الظلام ودكر الدميري في كتابه حياة الحيوان شيئا عن هذه الاسماك وكذلك كتاب عجائب البر والبحر والحيوان للمجاهد وكتاب عجائب الخواص للقرظي

ويقال لهذا النوع من السمك حيوان في البحر يقال له الشيخ اليهودي ذكره القزويني في كتابه المذكور أنه حيوان وجهه كوجه الانسان وله حية بيضاء وبدنه كبدين الضفدع وشعره كشعر البقر وهو في حجم العجل يخرج من البحر ليلة السبت فيستمر حتى تغيب الشمس ليلة الاحد فيثب كما يثب الضفدع ويدخل في الماء فلا تلحقه السفن ومن خواصه أن جلده اذا وضع منه على النقرس أزال وجعه في الحال

﴿ علم الصيدلة ﴾

قد اشتغلت العرب بعلم الصيدلة كما اشتغلوا بغيره فن الذين اشتهروا فيه عيسى المعروف بأبي قريش وكان صيدلياً في معسكر المهدي حينما توجه الى الري لمحاربه سنقار وحمل المهدي الخيزران وهي حامل موسى وخرج طيفور الطيب معها ولم تكن الخيزران عانت بما رزقت من الحمل فما تبينت ارتفاع العلة بعثت بما فيها مع عجوز من معها وقالت لها عرضي هذا الماء على جميع الاطباء الموجودين في معسكر المهدي وجميع من ينظر في ذلك ففعلت العجوز واجتازت في منصرفها بخيمة عيسى فراءت جماعة من غلمان أهل المعسكر وقواها يعرضون عليه قوارير الماء فكرهت أن تجوز به قبل أن ينظر الى الماء فقال لها عند نظره الى الماء هذا ماء امرأة حامل بعلام فتقلت العجوز الخبير للخيزران فسجدت شكراً لله تعالى وأعتقت عدة بماليك وسارت الى المهدي فأخبرته بما قالت العجوز فأظهر من السرور بذلك أكثر من سرورهما وأمر باحضار عيسى وسأله عما قالت العجوز فأعلمه أن الأمر على ما ذكر فأعطاه ما لا جزيلاً وأمره بلوازم خدمته وترك خيمته وما فيها من متاع الصيدلة

وللعرب فضل كبير على فن الصيدلة فهم الذين هدبوه ووضعوا اسمه كما ذكر في الفصل السابق وقد عرفوه بهذا التعريف - علم باحث عن الخيزر بين النباتات المشابهة في الشكل ومعرفتها بصينة أو هندية أو رومية ومعرفتها بماهاياها صفة أو خريشة أو شوية ومعرفه جيدها من رديتها ومعرفه خواصها الى غير ذلك وغرضه وفائدته ظاهران والفرق بين علم الصيدلة وعلم النبات الاول بالعمل أشبه والثاني بالعلم أشبه وكل منهما مشترك في الآخر

﴿ علم تدبير الصحة ﴾

يظن الكثيرون من لا معرفة لهم بتاريخ العرب في أيام حضارتهم أنهم كانوا كعرب

البادية أو الرجل الذين لا يعرفون للصحة معنى ولا علم لهم بتدبير البدن والحال ان الأمر بالعكس فان القوم كانوا يعتنون بالأمور الصحية ويكفي دليل على ذلك كتاب معالج الأبدان والأنفس لأبي زيد البلخي الموجودة منه نسخة بمشق الشام فان المطلع عليه يظن انه كتب في هذه الايام ولا يحسبه انه مكتوب منذ قرون مضت فقد رتب مؤلفه على هذا النمط باب الحاجة الى تعهد الأجسام - باب تدبير الأهوية والبلدان - باب تدبير الاكثان والملابس - باب تدبير المظم - باب صفة الطعام - أوقات الأكل - تقدير الطعام - ترتيب ألوان الطعام - صفات الأكل - ولند كر لك من هذا الكتاب أقصر الابواب وهو باب ترتيب ألوان الطعام - قال المؤلف يجعل الأخف قبل الأثقل ولا يتبدى باليسومة فتقر الشهوة وتطبخ المعدة بل يقدم الحامض بالخل فانه يحلل أجزاء الاكاد فيقتل الشهوة ويمكن لمساواه ولا يفتنم الشيء الحلو فان الطبيعة ليلها اليه تستولى عليه فتقطع به عساواه ولا يتبدى بالشواء فان القوة الهاضمة اذا تعلقبت به فترها فاقصرت عليه فلم يمكن الاستكثار من شيء يبدد، كانت معدته باردة - ويجب أن يستعمل الفاكهة بعد الطعام بساعة واحدة ليالحق خفته الثقيل المنهضم قبله

ومن كتبهم أيضا دفع المضار الكلية للأبدان الانسانية وكتاب الاغذية والاشربة للأشحاء لجيب الدين السمرقندي المقتول بمدينة هراة لما دخلها التتر

فهل لاطباء الشرق أن يفيقوا من سباتهم العميق ويواصلوا البحث في طب العرب القديم حتى يشيدوا فوق ما تركه لهم أجدادهم من الاساس علوما جديدة تلائم الحالة الحاضرة كما يفعل أطباء أوروبا وعلمائها فان وصولهم الى التطبيب بالكهرباء في الايام الاخيرة ومناجاة الارواح والتنويم المغناطيسي ماهو الا نتيجة بحثهم ومطالعهم في كتب السلف من كل فن

فدني اسمك أجدادكم من المجيد والسود دصر وحاشا تختر كوالكم في داخلها آثارا ثمينة وزينوا أركلتها برياش نفيسة فهدمقوها بمعول التواني والكسل ويعتم رياشا بدرهم الملاهي والفشل فاستولى عليها غيركم فسكان لهم منها محاسن طاع وعز باذخ حتى حازو قصب السبق علينا وارتقوا فسقطنا حتى صرنا نقبس منهم علومنا بعد ان كانوا يقبسونها منا قبل لكم بأنباء الامة أن تجدوا وبناء هذا الصرح وتعيدوا هذا المجد المسلوب حتى تحلوا ذكركم كما تحلذو كغيركم فنجد وجد ومن تواني هلك وما ذلك على المجد بعز

الفصل الثانى

في

(علم الجغرافيا)

هذا العلم عرفه العرب كما عرفوا غيره من العلوم فكان أول عملهم فيه ان ترجعوا كتاب بطليموس من اليونانية الى العربية وأول الاعمال العلمية التى تمت على يدهم واستدلوا بها على كروية الارض وعرفوا محيطها وهو ما قام به محمد بن موسى بن شاكر وأخوه بهتقيق طول خط نصف النهار لمعرفة محيط الكرة الارضية بالضبط فقاموا أحد خطوط الطول في سهل سنجار ثم أعادوا المقياس ثانيا في وطائن الكوفة فثبت لهم كروية الارض ومعرفة المحيط وهم الذين حققوا الدرجة الارضية وأثبتوا ان كل درجة من درجات الفلك يقابلها من سطح الارض ستة وستون ميلا وثلاثين

والتب فيه كثيرون فوضع ابن حوقل كتابا باسماء المسالك في الممالك والمفاوز والممالك في أواخر القرن الرابع من الهجرة

وأول كرة أرضية عرفت هي التى صنعها الادريسي وكانت صناعتها من الفضة ووزنها ١٤٤ اقدسم فيها جميع انحاء الارض في زمانه رسمها دقيقا عمليا - وقد عمل في زمن المأمون خريطة صور فيها العالم بأفلاكه ونجومه وبره وبحره وعاصمه وعاصمه ومساكن الأمم والمدن وغير ذلك وهى أحسن مما تقدمها من جغرافية اليونان

ولقد كان علماء الحديث من أشد الناس عناية بالجغرافيا لتمييز النسب الى البلدان والفرق بين الرجال ومساقط رؤوسهم وهذا هو السبب الذى دعا أرباب التأليف أن يذكروا الامصار والقسرى ومن راجع باب العشر والخارج في مطولات الفقه علم ما بين الفقه والجغرافيا من الاتصال

وفي البعثات التى سيرها الخلفاء الى القاصية كبعثة الواثق العباس لاكتشاف سواحل بحر الخزر وبعثة المنتصر بالله عام سنة ٣٠٩ الى البلقار الدعوة الاسلامية والجملة التى وصلت الى بكين بعد فتح كاشغر سنة ٩٦ هجرية دعوة الصين للإسلام في كل ذلك أكبر دليل على تقدير العرب علم رسم الارض أو الجغرافيا

وأجمع تعريف للجغرافيا يستدل به من على موقعها من نفوسهم واتصالها بعالم
 الشريعة القراء والحديث والطب الى غير ذلك من العلوم المتعلقة بالانسان ما قاله ياقوت في
 معجم البلدان - ومن ذا الذي يستغنى من أولى البصائر عن معرفة أسماء الأماكن
 ونصيحها وضبط أصقاعها وتفتحها والناس في الافتقار الى علمها سواسية وسر دوراتها
 على الألسن في المحافل علانية لأن من هذه الأماكن ما هي مواقيت للحججاج والزائر
 ومعلم للصحابه والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ومشاهد للآلئاء والمأخذه
 ومواطن غزوان ومراسيد المرسلين وفروع الأئمة من الخلفاء الراشدين وقد فتحت هذه
 الأماكن صلحا وعنوة وأمانا وقوة ولكل من ذلك حكم في الشريعة في قصة النبي
 وأخذ الجزية وتناول الخراج واجتياز المقاطعات والمصالحات وإنالة التسمية بفات
 والاقطاعات لا يسع الفقهاء جهلها ولا تعدد الأئمة والأمراء اذا فاتهم في طريق العلم حزنها
 وسهلها لانهم لو ازم فنيا الدين وضوابط قواعد الاسلام والمسلمين فأما أهل البر والابرار
 والحديث والتواريخ والآثار فحاجتهم الى معرفتها أمس من حاجة الرضا الى القطار غب
 اخلاف الانواء والمشي الى العاقبة بعد بأس من الشقاء لاهم معتقد علمهم الذي قل أن تخلو
 منه صفحة بل وجهه بل سطر من كتبهم وأما أهل الحكمة والتفهم والتطبيب والتنجيم
 فلا تقتصر حاجتهم الى معرفته عن قسماها لأطباء لمعرفة أمراض البلدان وأهوائها والمهم
 للاطلاع على مطالع النجوم وأوتائها إذ كانوا لا يحكمون على البلاد إلا بطولها ولا
 يقضون لها وعليها بدون معرفة أقاليمها ومواضعها ومن كمال المتطبيب أن يتطلع الى معرفة
 مزاجها وهوائها وصحة أو سقم منبتها ومائها فصار حاجتهم الى ضبطها ضرورية وكشفهم
 عن حقائقها فلسفة ولذلك صنف كثير من القدماء كتبها جغرافيا ومعناها صورة
 الارض - وألف آخرون كتبها في أمراض البلدان وهوائها وغيرهما وأما أهل الأدب
 فحاجتهم الى الجاهل بالانسان ضوابط اللغوي ولوازمه وشواهد الكوي ودعائمه ومعتمد
 الشاعر في تحلية جيد شعره بذكرها وتزبين عقود لآلئ نظمهم بشعرها فان الشعر لا يروق
 ونفس السامع لا تشوق حتى يذكر حاجز وزرود والدهناء وهيود ويتعن الى رمال
 رضوى فيلزمه تصحيح الاسم وأين صقعه وما استقامت زهرته وفقره وحزنه وسهولته فانه ان
 زعم انه واد وكان جبلا أو جبل وكان صحراء أو صحراء وكان نهرا أو نهرا وكان قرية أو قرية
 وكان شعبا أو شعب وكان حزنا أو حزن وكان روضة أو روضة وكان صفصفا أو صفصفا وكان
 مستنقعا أو مستنقع وكان جلدا أو جلدا وكان سبخة أو سبخة وكان وحررة أو حررة وكان سهلا أو

سهل وكان وعرا أو يجعله شرفيا وكان غريباً وجنوبيا وكان شاليا أسفل قدره ووزركره
وأضض حكة وبرى انه ضحكة وجعل هزأة وبرى انه هزأة واستخف وزنه واستغل
واستغل فضله واستجمل اه

انقطع هذا العلم وقيل الاشتغال به من القرن العاشر للهجرة وزهد فيه المسلمون
كرهدهم في كل علم ولعلبة الجهل عليهم وفقدان ملكة التأليف منهم والاختراع قد صاروا
نقله عاديين لا يهمهم غير حب الترف والامراف في الشهوات والمملدات التي هي آفة انحطاط
الأم واستعبادهم

الفصل الثالث

في

(علم الموسيقى)

هذا العلم كان موجودا في زمن الجاهلية قبل ظهور الاسلام وكان له شأن كبير في
زمن اليونان ثم لما ظهر الاسلام كان موجودا أيضا وكان الاشتغال به بالعاخذ النهاية ولكنه
أخذ في الاضمحلال قليلا لانصراف أفكار الامة الاسلامية الى الفتوحات ونشر تعاليم
الدين وآداب الشريعة الغراء حتى تمسكت عراها في جميع الاقطار

ثم عاد الى النمو والانتشار في زمن هارون الرشيد وبلغ شأوا بعيدا أكرم مما كان عليه
في الزمن الاول فن يتصفح مؤلفات الاوائل كابن نصر الفارابي وابن سينا ووصفي الدين
وعبد المؤمن وابن قرة وأبي الحسن محمد بن الحسين المعروف بابن الطحان الموسيق وغيرهم
من فطاحل المؤلفين الذين قد اندرب مؤلفاتهم وغابت عن انظار رجال العصر الحاضر
وقد شابهت كتابا لعبد الرحمن الانطاكي من سوما فيه النوبة الموسيقية بعلامات وحروف
عربية وجعل لها مفتاحا حرف (م)

وكان أمراء العرب ومولوك الاسلام يغفلون سماع آلاب الطرب وهم جالسون على
موائد الطعام ولا يبالون الا على سماعه نذو حديث مستحسن وهذا هو عين الطريقة المتبعة
لدى ملوك أوروبا الآن

وقد يتبع استماع الموسيقى وآلات الطرب المسرة في النفوس وإنباه القلوب كانتقاضها
عند حالي الحزن والبأس

﴿ الطرب والاسباب ﴾

(الباعثة اليه)

الطرب ما استقر الانسان من الفرح والحزن وليس يختص بالغنى وحده ولا بالملاهي
بل يستقر الانسان للشعر والحديث ولذكري الجود للواضيع الحسنة ولكل منظر رائق
وحديثه مؤنقة ومنه ما يعرض عند الخوف وذكري الموت والفجعة والنبي والفراق
والصلة السنية ولقاء المحبوب

فأما الطرب للفناء فيطرب كل انسان على ما يوافق وما ياتي على ما في نفسه وكما علت
معرفة الانسان بالفناء قل طر به لقله ما يعجب واطلاعه على الخلل والزلل والنقص والتبديل
ولان العالم بالفناء لا يعجبه الاحسن التأليف وجودة النظام وفصاحة الكلام وحلاوة
موضع الحلق ونقاة الصوت وأحكام القوافل وحد المقاطع والتوفيق لكل ما يقال
فأما التقسيم فخره ما يميز الجبال من الطرب لسماع الاوتار والخلق كاصوات المزمار
والطبول وسائر آلات الطرب فانه يطرب الحيوان الصامت أيضا قال الجاحظ كل حيوان
ناطق أو صامت يطرب بالالتيس وتأليف حر كانت الموسيقى تتألف الحركات النفسانية
فبيح الطرب ويبعث المسرة لان أصوات الاوتار ارسام الطبيعة والنفس وقد يحدث أيضا
الصوت الحسن ما تحببه الآلات

زعم أهل الطب ان الصوت الحسن يمرى في الجسم ويجرى في المروق فيصغوه
الدم ويرتاح له القلب وتغوله النفس وتهتزله الجوارح وتخف الحركات من ذلك كرهوا
للطفل أن ينوم على أثر البكاء حتى يرقص ويطرب وقالت ليلى الاخيلية للججاج حين سألها
عن ولدها وأعجب ما رأى من شابه انى والله ما حلت سها (١) ولا وضعت بنتا (٢) ولا
أرضعت غيلا (٣) ولا أتممتها (٤)

وزعمت الفلاسفة ان النعم فضل بقى من المنطق لم يقدر اللسان على استخراجه
فستخرجه الطبيعة بالاحسان على الترجيع لاعلى التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحن اليه
(١) أى ما حلت في بقايا الحيض ويقال حلت المرأة وضعا وضعا اذا حلت في استقبال
الحيض (٢) يعنى منكسا (٣) يعنى لبنا طمدا (٤) يعنى لم أتومه مستوحشا كيا

الروح ولذلك قال أفسلاطون لا ينبغي أن تمتنع النفس من معاشقة بعضها بعضا ألا ترى أن أهل الصناعات كلها إذا خافوا الملاة والفطور على أبدانهم نزعوا بالآخان فاستراحت لها أنفسهم وليس من أحد كان ما كان الا وهو يطرب من صوت نفسه ويعجبه طنين رأسه ولولم يكن من فضل الصوت الا انه ليس في الارض لذة تنكسب من مأكل او ملبس أو مشرب أو نكاح أو صيد الا وفيه معاناة على البدن وتعب على الجوارح وقد يتوصل بالآخان الحسان الى خير الدنيا والآخرة فن ذلك انها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف وصلة الرحم والذب الاعراض والتجاوز عن السيئات وقد يبكي الرجل بها على خطيئته ويرفق قلبه من قسوته ويتذكر نعيم الملكوت ويمثله في ضميره وكان أبو يوسف القاضي كلما حضر مجلس الرشيد وفيه الفنى فيجعل مكان السرور به بكاء كأنه يتذكر به نعيم الآخرة

وينقسم المباح الى ثلاثة أقسام - منه ما هو حرام محظور وهو الأكثر عند الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهواتهم ولذاتهم ونسكرت بوطنهم وأحبوا دنياهم وفسدت مقاصدهم فلا يحرل منهم الا ما هو الغالب عليهم وعلى قلوبهم من الصفات المذمومة لاسيافى زماننا هذا لسوء الاخلاق وفساد الاداب - القسم الثانى منه مباح وهو لمن لاحظ له الا التلذذ بالصوت الحسن لاتعاش الروح وراححة البدن أو ليتذكر به غائبا أو لتسلية نفسه من حزن فيستريح بما يسمعه - القسم الثالث منه مندوب اليه وهو لمن غلب عليه حب الله تعالى والشوق اليه فلا يحرل المباح منه الا الصفات المحمودة وقد حضر صلى الله عليه وسلم بعض مجالس الفنى وسبغ الدفوف كما هو مشهور عنه وقد اشتهر بالفنى كثير فى الجاهلية والاسلام رجالا ونساء نأى على بعض منهم انعاما للفائدة

﴿ أول من غنى فى الجاهلية من الرجال ﴾

انتقلت الروايات على أن أول من غنى فى الجاهلية عاقدة الفحل وجزيمة بن سعد وهو المصطلق وريبعة بن حزام والفحل وزمام بن خنجر والنصر بن الحرث من بني كلدانة وغنى بدمهم المخضرمون وهم الذين لحقوا الاسلام فغنم رباح وأبو لهب وابن أبي الدنيا كل والجمعى وأبو بوبه

﴿ أول من غنى من النساء فى الجاهلية ﴾

ان أول من غنى من النساء فى الجاهلية بعباد وتماد وها امرأتين كانتا فى الجاهلية فى زمان

عاد الكبري وخبر مامعروف فن غناهما

يا أم عثمان نوليننا قدنق النائل الطفيف

وبعد ماعنجهو ورو بعد مافيتنا حذيفة بن بدر وقينة الحرث بن زهير وبعدهما وهرام
قينة خالد بن قيس وهند ثم قيننا حجير بن الحرث وبعده ذلك قيان عبد المسح بنجران وقيان
يزيد بن عبد الملك وقينة عبد عم ابن بشر وكانت بالمدينة قينة يقال لها أم عمرو وفيها يقول
الشاعر

صدت الكاش عن أم عمرو وكان الكاش مجراها المينا

ومن القيان قيننا عبد الله بن جدعان وهما طيبة والرباب وقيننا الخضرى سرين
وصاحبنا وهوة وأسماء قيان عبد الله بن قيس بن عدى وقيان جبلة بن الأيهم لحقن
الاسلام ومن غناهن شعر حسان بن ثابت

بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول

وقينة الأسود بن عبد المطلب وسارة قينة عمرو بن هشام وقينة الأنصار وقيننا عبد الله
ابن السائب المخزومى وقينة الأوسيين وجوارى عبد الله بن سلام وأكثهن لحقن الاسلام
وصرن مخضرمات فهذا جلة ما وجدناه ويمكن أن يكون غيرهن كثيرات وقد ذكر ابن
الزعرانى أسماء قيان أخر لم يذكر أجاهليات أم إسلاميات ومنهن من أسامة جارية علقمة
وسعدة جارية حسان ومهدة قينة عمرو بن مسعدة وقينة مساهم ودعد أم قدامة بن صلح
وظلامة قينة عمار بن مناهب

أول من غنى في الاسلام من الرجال

ان أول من غنى في الاسلام طويس وأول من ضرب على الغناء العربى بسط وقيل
بل سائب خاثر وبعدهما ابن السمح وابن سريج والغريص وبعده فقد غنى أول دولة بنى أمية
وأدرك دولة بنى العباس وهو ممن تعلموا على النساء ومن غناهن هذين البيت
منع الحياة عن الرجال ونفعها حديق تغلبا النساء مراض
وكان أفندة الرجال اذا رأوا حديق النساء لثيلها أغراض
ثم مالئ بن أبى السمح وابن عائشة والهندى الأكبر والهندى الأصغر أخوه وأبو
طنبورة ومدح ونافع وكرام بن معبد وابن أبى عتيق وهؤلاء أصول الغناء وقد أتى بعدهم كثير
اشتهر وابهور فواصناعته وأدخلوا عليه تحسينات جعلت لهم الفضل الأول فيه

فمن اشتهر بهذا الفن في زمن هارون الرشيد أبو الحسن علي بن نافع الملقب بزرياب
فانه كان تلميذا لأبي اسحاق الموصلي تعلم عليه وفاته وارحل من بغداد الى الأندلس بعد ان
زاد على العود نورا خامسا اختراعاه و كان لم يزل العود ذا أربعة أوتار على الصفة القديمة
التي قوبلت بها الطبائع الأربع حتى زاد عليها هذا الوتر الخامس ووضعه متوسطا بينها
فاكتسب به عوده اللطيف معنى

ومنهم ابراهيم الموصلي واسماعيل بن جامع وفلج بن العواد وهم الذين اختاروا المائة
صوت المشهورة في كتاب الأغاني لأمر المؤمنين هارون الرشيد

أما ابراهيم الموصلي فانه كان في أوائل أيامه بلدا وكان يضرب ويعذب ولا تعلم شيئا
فهرب الى الموصل وهناك تعلم الغناء وبرع فيه ثم سار الى الري وتعلم بها أيضا ومهر ومن
نوادره ان جمع من قدماء قال أخبرني أبو العناء قال خرج الفضل بن الربيع وقال ان
أمر المؤمنين بأمر كل من حضر من يقول الشعر أن يميز هذه الأبيات فلم يوجد من يميزها
فأمر ابراهيم ففني فيها الحنا من خفيف ثقيل فقال

أهدى الحبيب مع الجنوب سلامة فأردد اليه مع الشمال سلاما
واعرف بقلبك ما نضمن قلبه وتداولوا بهواكما الأياما
واذا بكيت له فأيقن أنه سيجود أدمعه عليك وهاما
فاحبس دموعك رجعة لدموعه ان كنت تحفظ أو تعوط ذماما

وقد اجتمع ابراهيم الموصلي يوم مع زلز و برصوما بين يدي الرشيد فضرب زلز وزمر
برصوما وغنى ابراهيم

صحا قلبي وراغ الى عقلي وأقصر باطلا ونسيت جهلي
رأيت الغانيات ركن خزرا الى صرمني وقطعن حيلي

فطرب هارون الرشيد حتى وثب على رجليه وصاح يا أدم لو رأيت من يحضرني من
ولذلك اليوم لسرك ثم جلس واستغفر الله فالشعر لأبي الغتاهية والغناء لابراهيم وقد غنى
ابراهيم بينا كان بالرقعة مع الرشيد لما ذهب الى خارج هناك يشرب عنده فأزل له دنا في باطية
فرأى لون الخمر حسنا صافيا فاندفع يعني

اسقني صهبا صرفا لم تدنس بمزاج
اسقني والليل داج قبل أصوات البجاج
يا أبا وهب خلي لي كلهم لا تفزع

حين نومت بقلبي في أعاصير الفجاج

وقد غنى يوما في مجلس هارون الرشيد هذه الأبيات

يا واحد الحب ما لي منك إذ كلفت نفسي بحبك إلا ألم والحزن
لم ينسينك سرور لا ولا حزن وكيف لا كيف ينمى وجهك الحسن
ولا خلا منك قلبي لا ولا جسدي كلني بكك مشغول ومرتهن
نور تولد من نهس ومن فسر حتى تكامل منه الروح والبدن

﴿ أول من غنى من النساء في الاسلام ﴾

عزة الميلا وكان يألفها الاشراف وغيرهم من أهل المروءة وجيلة مولاة بني سليم قد
أخذ عنها معبد وابن عائشة وحجابه وسلامة وعقيلة العقيقة والشهاسيتان خليدة وريضة
ومن خبرها ان معبد ومالك بن أبي المصمح ذهبا اليها فأذنت لهما بالدخول فدخلا فأخرجت
الهمارقة فيها أبيات فقالت لمعبد بعث بهذه الرقعة الى فلان لا غنى بها فقال معبد ابتدئي
فأبتأت جيلة فقالت

أما الذلفاء هي	فليدعني من يلوم	
أحسن الناس جيعا	حين تمشي وتقوم	معبد
حب الذلفاء عندي	منطق منها رخي	جيلة
أصل الحب لترضى	وهي للحبل صروم	معبد
حبا في القلب داء	مستكن لا يريم	جيلة

ومن نوادرها انها جلست يوما وليست برنسا طويلا وألبست من كان عندها برنسا
دون ذلك وكان في القوم ابن سريج وكان قبيح الصلح قد اتعن وفرة شعره يضعها على رأسه
وأحب جيلة أن ترى صلته فلما بلغ البرنس الى ابن سريج قال دبرت على ورب الكعبة
وكشف صلته ووضع القلنسبة على رأسه وضحك القوم من قبح صلته ثم قامت جيلة
ورقصت وضربت بالعود وعلى رأسها البرنس الطويل وعلى عاتقها بردة غامية وعلى القوم
أمثالها وقام ابن سريج رقصا ومعبد وابن عائشة ومالك والقريظ وفي يد كل واحد منهم
عود يضرب به على ضرب جيلة ورقصها فغنت وغنى القوم معها

ذهب الشباب وليته لم يذهب وعلا المفارق وقع شيب مضرب
والعانيات بردن غبرك صاحبا ويمدئك المجران بعد تقرب

انى أقول مقالة بتجارب حقا ولم يضربك مثل محروب
صافى الكريم وكن لمرضك صائنا وعن اللثيم ومثله فتسكب
خليلة ولها من الفنى فى مجلس جميلة

ألا يلن يلوم على التصاى أفاق شيا لتسمع من جوابى
بكرت تلومنى فى الحب جهلا وما فى حب مثلى من معاب
أليس من السعادة غير شك هوى متواصلين على اقتراب
كريم نال ودا فى عفاف وستر من منعمة كعاب
ومن الذين اشتهروا بالفنى سلامة النفس وجارية عبد الله بن جعفر وريأخت سلامة
وقينة الاخطل وشا جن جارية المعتض بالله واضعة اللحن الذى يجمع النغم العشرة وليس
جارية عبد الله بن طاهر وصيقة الذى قال فيها بن رامين

صيقة أنت واحدة القيان خالك مشبه فيهن نانى
فضلت على القيان بفضل حنق هفت على المدى قصب الرهان
سجدت لك القيان مكفرا كما سجد الجوس لمزبلان
ولا سجا اذا غنيت صوتا وحركت الثالث والمثانى
شربت الخمر حتى خلت أنى أوقابوس أو عبد المدهانى
فأعمال اليسار على الملاوى ومن يملك ترجمة البيان

﴿ أول من دون الفنى ﴾

أول من دون الفنى يونس الكاتب وغنى أصواب المتقدمين وكانت ستة آلاف دور
وثلاثمائة صوتا وقد حصرها يونس ورتبها على حروف المعجم ودكر ملحنتها وأدباء
طرائقها وأواعها ودكر الشعراء من كتابه ألفا إبراهيم كتاب الاغانى ومن سماع أخذ أبو
الفرج الاصبهانى وعن حماد وابنه يسند جيه

الفصل الرابع

في

(اختراعات العرب واكتشافاتهم)

ما زالت العلوم والحكمة تتداول من عصر الى عصر ومن قطر الى قطر ومن بلد لبلد الى أن ظهرت الامة العربية بمظهر لم يسبقها فيه أحد وقد بنوا معارفهم على التجارب والمشاهدات فقد قال عنهم ديلاهير في تاريخ علم الهيئة اذا عدت في اليونانيين اثنين أو ثلاثة من الراصدين أمكنك ان تعلم من العرب عددا كثيرا غير محصور اتسعت دائرة الفنون والصنائع في عصر الدولة العباسية وانتشرت في سائر الاقطار ولولا هذا الانتشار الذي ساعد أوروبا على خروجهما من ظلمة الجهل الحالكا الى نور العلم الساطع لاسقرت على بربريتها وتوحشت الى وقتنا هذا

قال العلامة سيد بو في تاريخه ان العرب استعملوا الاسطرلابات لقياس ابعاد الكواكب والفواقي زمن المأمون ارسادا وازياجا فلكية وحسبوا الكسوف والخسوف وذوات الاذناب وغيرها ولم يخطئهم فيها أحد ورسدوا نقطتي الاعتدال الربيعي والخريفي وقدر وامليل منطقة فلك البروج وقاسوا الدرجة الارضية وأنشأوا المراصد العديدة كمرصد بغداد الذي أنشأه نصر الدين الطوسي ومرصد جبل المقطم الذي أنشأه بمصر العلامة بن يونس الفيلسفي وهو أول من اخترع البندول أي رقاص الساعة وقد أنشأ المسلمون غير العرب مرصد كثيرة كمرصد مصر قند الذي أنشأه تيمورلنك ومرصد دمشق الذي أنشأه الوغ بك مرزا حفيد تيمورلنك واشتغل العرب بالعلوم الرياضية فطبقوا الجبر على الهندسة وبرعوا في علم الضوء والميكانيكا وظهرت همهم وقدرتهم في المناظرات العامة

ذكر درابر في تاريخه انهم هم الذين عرفوا حدود قوانين سقوط الأجسام وماهية الجذب فيها وكانوا على علم تام بعلم حركات الافلاك واكتشفوا قوانين الثقل النوعي للأجسام الصلبة والسائلة والغازية واخترعوا بيت الابرة وهم أول من استعمل الساعة الدقيقة لمعرفة الزمن كالساعة التي أهداها هارون الرشيد الى شارلمان أمير طور فرانسافي

وفته فقد كانت دقيقة الصنع فاذا حانت الساعة واحدة خرج منها فارس فدى ناقوسها مرة
واذا حانت الثانية خرج فارسان فحقاه دقيقتين وهكذا حتى اذا حانت الرابعة والعشرون
خرج أربعة وعشرون فارسا فحقوا الناقوس أربعة وعشرين مرة
وحققوا حركة أوج الشمس وان مدارها ليس دائرة منظمة وضبطوا مدة السنة
واخترعوا المزاويل الفلكية وحرروا كتاب بطليموس الفلكى المعروف بالمجسطى وقياس
الدرجة من خط نصف النهار

ويعزى أيضا اليهم اتصال الخطوط المماسية في حساب المثلثات واستعواض الجيوب
بالأوتار وحل المعادلات التكميلية وزيادتهم في علم النبات نحو الألفين على ما في كتاب
الأعشاب تأليف سدقورد واستكشاف السالكين بين النبات حتى يتولد نبات ثالث
مغاير لها وأنشأوا البساتين المخصوصة لتفسيته وتوليدته ولهم الفضل في استعمال تقاوى
المزروعات أثر بعضها كل زمن بحسبه واختراع السواقي ذوات الطوائس والقواديس
وطواحين الهواء وصناعة الزجاج وعمل الورق فقد وجد عندهم سنة ٢٧ من الهجرة وكان
أهل بخارى يعملونه من الحرير ثم عمله في حدود المائتين يوسف بن عمر أمير مكة في أيام بني
العباس من القطن وكان أهل الأندلس يصنعونه من الكتان والتيل وطرق الحديد وسقيه
ومعرفة استقامة النظر وانعكاسه في المرآة وانكسار الضوء والمحل الظاهر للصورة في
المرآة المصنوعة وأثبتوا ان ما نشاهد في القمر من الصور والجبال ما هو إلا لثدته صقله
ومقابلته للأرض فانطبع فيه ما على وجهها فمارى انه أهول بالسكان فشأنه كشأن
المرآة التي يرى الانسان فيها نفسه (راجع رسالة التريبيس والتدوير للبحاظ) وهم أول من
نظروا في علم الأدر وستاتيك وهو فرع من علوم الطبيعة فعملوا الجداول المبينة لأنواع
الأوزان النوعية وبحثوا في نظريتي الضوء والأبصار وخالقوا اليونانيين وقالوا ان
الأبصار يحدث بمرور الأشعة من المرئ الى العين وحققوا نظريات انعكاس الأشعة
وانكسارها وقد اكتشف الحسن بن هيثم الشكل المعنى الذي يأخذه الشعاع في سيره في
الجو وأثبت بذلك اننا نرى الشمس والقمر قبل أن يظهر حقيقة في الأفق وكذلك في
الغروب تراها قليلا بعد أن يغيبا

ومما يدل على شهرتهم في العمارة وتقدمهم في الصناعة التي لم يسبق لها مثل ما ظهر في
أيامهم بمدن بغداد واليمن والأندلس من المهارات التي لا مثيل لها - ذكر أبو الفداء المؤرخ
الشهير في تاريخه انه لما قدمه لملك الروم سنة ٣٠٤ الى بغداد أقيمت الزينات في قصر

الملك وعي لهم العساكر وصفت الدار بالأسلحة وأنواع الزينة وكان من جملة الزينة شجرة من الذهب والقضة تشغل على ثمانية عشر غصنا وعلى الأغصان والقضبان الطيور والعصافير من الذهب والفضة والأغصان تتأيل بحركات مصنوعة والطيور تصفر وترقص بحركات مرئية وشاهد الرسول من العظمة ما يطول معه الشرح - ومن الأبنية قصر محمد بن ظاهر صنعاه الجين الذي بناه الملك شرجيل بن عمرو بن غالب فانه يحكم البناء بدين الصنع عظيم الارتفاع بلغت طبقاته سبع طبقات وفيه ما لا يوصف من الزخارف والصنائع البديعة وكان به غرفة شهيرة يسمونها المحارب (١)

وأول من أقام الخائيل على الأعداء في الطرقات مالك الملقب بنائير النعم أحد ملوك الجين فانه نصب عمودا من النحاس وأقام عليه تمثالا من النحاس وكتب على صدره باخط الجيري هذه الكتابة - هذا التمثال لياسر أنعم الجيري ليس وراءه من ذهب فلا يشكف أحد ذلك فيعطب - ولم يكن بنى أسية بالأندلس بأقل من العباسيين في بغداد وملوك الجين في العمارة والاتفاق فقد أتفق عبد الرحمن الداخل على إقامة جامع قرطبة وقصر هامان الف وقيل مائة وثمانين ألف دينار والجامع المذكور قائما على ستانه وخمسة وستين عمودا من المرمر والرخام الأسود وقد بنى قصر الزهراء وهو آخر الأبنية العربية وصرف على بنائه مبلغا طائلا وكان به أكثر من ألف ومائة عمودا من المرمر وكان الابواب منمنطق بالذهب والاحجار الكريمة وكان الانسان يشاهد على البركة التي في وسطه صور طيور وحيوانات تحكي الصنع بما لا يزيد عليه وكانت البركة من المرمر الخشن مملوءة بالزيت النقي الصافي عوضا عن الماء وكان فيهم من الخدم ستة آلاف من الرجال والنساء

وقد صنع أبو القاسم عباس بن فرناس الحكيم الاندلسي في بيته السماء والبعوم ومثلها بضوئها وبروقها وورودها تمثيلًا لصيل الناطر انه حقيقة وصنع الآلة التي تعرف بها الاوقات على غير رسم ومثال واستنبط صناعة الزجاج من الحجارة وهو الذي احتال في تطهير جثاته فكسافه الريش ومثله جناحين طار بهما في الجومساق بعيده ولكنه لم يحسن الاحتيال في وقوعه فتأدى في طهره لانه لم يعمل له ذنبا فيظهر من ذلك أن الرجل كان من أسبق الفائزين بالطيران من بني الانسان

(١) راجع كتاب عجائب البر والبحر في ذلك وغيره فانه ذكر عجائب الابنية وموجود
بروسيا مع انه للعرب

ومما يشهد لهم أيضاً بالفخر وعلا الهمة على من عداهم في هذا الفن مساجد الشام وبلاد
الاندلس وينفذها تعلمت أورورا بعمل القباب العالية والأعمدة المرتفعة وتناسب أجزاء
فلك وأحكامه مع الرنق والطف والتفنن في الأشكال والهيئة وامتزاج الخطوط المستقيمة
بالخطوط المنحنية في صور مختلفة خصوصاً بما دخلها من الأزهار في تمشيق الخطوط وهم
الذين أوجدوا الخط الستيني وتعليه الحيطان بالقيشاني والأرض بالفسفساً وغير ذلك من
أنواع الزينة والزخرفة

التصوير - وكانوا أحياناً يصورون الوقائع التاريخية كما تفعل الفرنجة اليوم فقد
ذكر المقرئ في الجزء الثاني من خطه في الصحيفة ٣١٨ مائه - وكان البازرؤي سيد
الوزراء قد أحضر بمجلسه القصير وابن عزيز المصورين فقال ابن عزيز أنا أصور صورة
إذا رآها الناظر ظن أنها خارجة من الحائط فقال القصير لكن أنا أصورها فإذا نظرها
الناظر ظن أنها داخله في الحائط فقالوا لهذا أعجب فأمرهما أن يصنعا فصورا صورتي
راقصتين في صورة جنيتين مدهونتين متقابلتين هذه ترى كأنها داخله في الحائط وتلك
ترى كأنها خارجة منه فصور القصير راقصة بثياب بيض في صورة جنية دهنها السود كأنها
داخله في صورة الجنية وصور ابن عزيز راقصة بثياب حجر في صورة جنية صفراء كأنها
بارزة من الجنية - فاستحسن البازرؤي ذلك وخلع عليهما ووهبما كثيراً من الذهب

وكان بدار النعمان بالقرافة من عمل السكتاني الرسام المشهور صورة يوسف عليه السلام
في الجب وهو عريان والجب كله اسود وإذا نظره الإنسان ظن أن جسمه باب من دهن لون
الجب - هذه الصورة تشبهها ما يصنعه (الأفرنج الآن) ومن أراد التوسع فعليه مراجعة
طبقات المصورين المعروف (بضوء التبراس وأنس الجلاس في أخبار المزدوقين من الناس)
خرط الملاحة - أوجدوا خرط الملاحة واستعملوها قبل غيرهم فقد وجد منها
خرطة في سنة ١٤٧١ ميلادية عند المعلم فان وخرطة عند البورق البورتقالي من رسم
شخص من أبناء العرب يقال له عمر كان يهتدي بها في سفره ببحر عمان والخليج الفارسي وهم
الذين وضعوا القنارات لاهتداء السفن في البحار واخترعوا البوصله

البارود والتاويل المالية - أوجدوا البارود واخترعوا آلات الطلاق والتاويل
المالية التي كانت تسمى عندهم بالسفجة واخترع الورق والجلود بدل البقود للعامله وقد
قال أبو تمام في ذلك

لم ينتدب عمر للابل يجعل من جلودها النقد حين عزه الذهب

واسمعوها الآلات المقرغة للهواء والرافعة للياه وجعلوا عمدتهم الصلبة
النعال الصرارة أول من لبس النعال الصرارة المرواني وكان قصيرا واتخذ النعال
الصرارة لتزيد في طوله وليسمع جواربه وحزمه عند دخوله بيته فتصلح شأنها من كانت
على غير هيئة صالحة

قص أذناب الخيل - وكانوا يقصون أذناب الخيل وقال في ذلك امرؤ القيس
على كل مقصوص الذناب معاود بريد السرى بالليل من خيل بربر
ولهم من العوائد الهدية بالزهور والرياحين وكانوا يهاون بها في أيام المواسم والاعيان
وكانوا يرفعون ما على رؤوسهم للتعظيم وشاهده قول الشاعر
ولما أنا نابتيد الكرى خضعنا له ورفعنا الهمارا (١)

تقديم ورقة الطعام - تقديم ورقة الطعام قبل الأكل كان معروفا عندهم ففي كتاب
أحباء علوم الدين أن الامام أبي حنيفة أضافه رجلا فلما حضر الطعام قدم له خريطة الطعام
فيها أسماء ما عنده من الطعام ومثله ما هو من كور في قصة عبد الأعلى بن عبد الله وذلك أن
بلال بن أبي بردة سأل أحد جلساء عبد الأعلى فقال له ما يفعل هذا الشيخ معكم إذا قدم الطعام
فقال إذا أتينا وحضر وقت الطعام دعا القائم على الطعام فيسأله عما عنده فيسمى له أنواع
الطعام واحدا فواحد اليمسك كل رجل عما يشتهي ويأخذ ما يشتهي

أما الصنائع الأخرى والمنسوجات حدث عنها ولا حرج ويشهد لهم بها ما هو موجود
بمناحف أورو بالغاية يومنا هذا فكل ما نشاهده الآن قد سبقنا فيه الأولون ولا نطيل الشرح
فن أراد التوسع فليراجع كتبهم وتأليفهم في ذلك ويتوجه لمشاهدة تلك الآثار

(١) العبارة كل ما يلبس على الرأس وفي رواية أخرى أن المقصود الرميحان



المقالة الثالثة

﴿ في اهتمام العرب بنشر العلوم والتجارة والسباحة برّاً وبحراً ﴾
(وفيها سبعة فصول)

الفصل الاول

في

(الاهتمام بنشر العلوم)

كان اهتمام العرب بنشر العلوم وتعليم الأمة وترتيبها فوق الوصف فكانوا يقومون بالاحداث ويعودونهم على الأفعال المرضية والأخلاق الحسنة بطرق تميل اليها نفوسهم وتألفها طباعهم وكانوا لا يستعملون وسائل الشدة المؤدية الى التربة إلا اذا دعت الضرورة الى ذلك مثل الضرب والتوبيخ لان استعمالهما من أول الأمر يولد في نفوسهم الجبن ويقلل من الرغبة في التعليم ويزيد في البلادة

كانوا يقابلون كل من يؤدبونه من الاحداث بما شا كلهم من التأديب ويميل اليه طبعه فقال ابن مسكويه ان أخلاق الأطفال تظهر فيهم منذ بدء نشأتهم ولا يستزونها برؤية ولا فكر كما يفعله الرجل التام الذي انتهى في نشئه وكاله الى حيث يعرف من نفسه ما يستقيم منه فيجتنبه بضر وبمن الحيل والأفعال المضادة لما في طبعه وأنت تتأمل من أخلاق الصبيان واستعدادهم لقبول الأدب أو نفورهم عنه أو ما يظهر في بعضهم من القحة وفي بعضهم من الحياء وكذلك ما ترى فيهم من الجود والبخل والرجة والقسوة والحسد وضده من الأحوال المتفاوتة ما تعرف به مراتب الانسان في قبول الأخلاق الفاضلة وتعلم معانيهم ليسوا على رتبة واحدة وان فيهم المتواني والمتنع والسهل والسلس والفظ العسر والخير والشرير والمتوسطون بين هذه الأطراف في مراتب لا تحصى كثرة واذا أهملت الطبائع ولم ترض بالتأديب والتقويم نشأ كل انسان على سوم طباعه وبقي عمره كله على الحال التي كان عليها

في الطفولية وتبع ما وافقه في الطبع اهـ

كانت طرق التعليم إجبارية لا تفضل عندهم في ذلك بل النفي والفقر متساويين فيه وقد أنشأوا لهذا الغرض المدارس العديدة في كافة أقطار المعمورة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا حتى انتشر في مدتهم العلم بدرجة لا مثيل لها الآن في بلاد المشرق فقد ذكر جيون في كتابه عن حياة المسامين للعلم في الشرق والغرب ان ولاية الأقاليم والوزراء كانوا يقلدون الخلفاء في انشاء المدارس واعلاء مقام العلم والعلماء وبسط اليد في الاتفاق عن سعة على تشييد دور العلم ومساعدة الفقراء على طلبه ففتح من ذلك ان حب العلم ووجدان اللذة في تحصيله انعرسا في نفوس الأمم المحكومة بهم والمجاورة لهم

كان سخاؤهم وكرم نفوسهم الباعثان لهم على حب الاتفاق فقد أنفق نظام الملك مائتي ألف دينار على بناء مدرسة في بغداد وجعل لها خمسة عشر ألف دينار تنفق عليها في شؤونها كل سنة وقد كان في قرطبة وحدها ثمانون مدرسة كبرى في مدة الحكم بن عبد الرحمن الناصر المتوفى سنة ٣٩٦ وفي القاهرة وحدها عشرين مدرسة كبرى أيضا وقس على ذلك بقية الأقطار وقد أنشأوا دورا للطباعة وقت الفراغ وخزائن للكتب تابعة للأمة بجوار المدارس لا لتفادعها وزيادة في نشر العلم

الفصل الثاني

في

(خزائن الكتب)

ان الكتب المصنفة في الملة الاسلامية أكثر من أن تحصى وأجل من أن تحصر فانه لم يصنع مثلها في مله من الملل ولا قامت بنظيرها أمة من الأمم وقد نشئت أغلب كتبها فآلفت التنازل كتب العرب التي كانت موجودة في بغداد بهر القرات عندما افتتحوها وجعلوها جسر ايمرون عليه

أما في اسبانيا فان الكرد بنال كسينس أصدر أمره في سنة ١٥١١ ميلاديه بأحراق كتب العرب الموجودة ببلاد اسبانيا وأبادتها عن آخرها فأحرق في ساحة غرناطة كمين

من الكتب العربية فتم ذلك في نصف قرن بغيره عمياء ولولا بقاء تلك المترجمات الى العربية واللاتينية لقضى على الحضارة العربية بجملتها التي امتدت ونفعا على اسبانيامدة ثمانية قرون فن خزائن الكتب المشهورة التي حوت كثيرا من كتب العلوم وكان ينفق عليها لسعاه وكرم حاجتي بخلاف خزائن الأهالي خزائن الأمراء فأولها خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد وكان فيها من الكتب ما لا يحصى الى ان دخلت النار بغداد وشتتوها

الثانية - خزانة الخلفاء الفاطميين بمصر وكانت من أعظم الخزائن وأكبرها جمعت من الكتب النفيسة ما لا يحصى عدده ولم نزل الى أن انقرضت دولتهم بموت العاضد آخر خلفائهم واستيلاء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب على المملكة بعدهم فاسترى القاضي الفاضل عبد الرحمن بن علي البيسان في سنة ٥٠٨ هـ أكثر هذه الكتب ووقفها بمرسته الفاضلية بدارب ماوخي بالقاهرة وذكر المقرئ في خطه انه بلغ عدد المجلدات في هذه المكتبة مائة ألف مجلد وأنه كان بها مصحف بخط الكوفي قيل انه مصحف عثمان ابن عفان رضى الله عنه بلغ منه ٣٠ ألف دينار وبقيت هذه الكتب الى ان مات صاحبها ثم استولت عليها الأيدي ولم يبق منها إلا القليل

الثالثة - خزانة خلفاء بني أمية بالأندلس وكانت من أجمل خزائن الكتب أيضا ولم نزل الى انقراض دولتهم واستيلاء ملوك الطوائف على الأندلس قد هبت كلها كل مذهب وكان بها من المجلدات نحو السبع مائة ألف مجلد وكان فهرسها أربع مائة وعشرين مجلدا وقد ثبت انه كان ببلاد الأندلس وحدها سبعون مكتبة عمومية مفتوحة للطالع

أما ضخامة تآليف العرب فيما لا يحصره الانسان ونأهيك بكتاب قيد الأوابد للامام البينجيني المتوفى سنة ٥٥٩ بهراسان فانه بلغ ٤٠٠ مجلدا وكذلك كتاب العالم لأحد بن أبان فانه بلغ المائتين جزا والأغرب من هذا كله كتاب فلك الأدب الذي تعاقب على تأليفه من علماء الأندلسيين ٦ في ١١٥ سنة آخرها سنة ٦٤٥

فان شئت أن تصرف مؤلفات العرب وأنواعها وأسماء مؤلفيها راجع كتاب كنف الطنون في أسماء الكتب والفنون وفهرس كتب غابات المانيا وانجلترا وفرنسا واسبانيا والاستاذة العلية وكتبخانة الأموي بدمشق وان أردب أن تعرف أسماء الذين ألفوا حسين كتابا فثا أكثر راجع كتاب جيل بك العظم محاسبي معارف ولاية بيرد المطبوع بها فمأذ كرنا يظهر اهتمام العرب بالعلوم في العصر الأول والثاني من الاسلام وهنالك

مسألة أخرى لا تقل أهمية عندهم عن العلوم وهي حب السياحة التي ألفوها وتعودوا عليها
لنشر تجارتهم وكان لهم فيها القدر الملمى

الفصل الثالث

في

(السياحة برا)

كان الباعث الاول للعرب على حسب السياحة استطلاع أخبار الامم ومعرفة عوائلهم
وأخلاقهم ونشر تجارتهم وتنقيتها وبشروح الدين الاسلامي وتعاليمه بين الامم الاوربية مع
عوامل الثمن في اطراف البلاد واكتنافها

فانتشار الرحلات المسلمين في مشارق الارض ومغاربها واضحة بينة بانتشار الدين
الاسلامي بين الامم المختلفة الاجناس ونخص منها الصين وماليزيا والسودان فقد ذكر أبو
القدا المؤرخ الشهير ٦٠ من اشهر الرحلات أصحاب التأليف في الاسفار وكلهم من أهل
العصور السابقة على عصره

فن كبار الرحلات ابن بطوطة الذي ساح البلاد وسافر من طنجة الى أفريقيا الشمالية
فزارها ثم رحل من مصر الى فلسطين ثم مكة ومنها الى القسطنطينية وروسيات توجه الى
الهند عن طريق تركستان ونزل في دلهي فعمله سلطان تلك المملكة مهمة الى امبراطور
الصين ورحل الى بكين بعد ان زار سيلان وصومطره وجاوه ثم السودان وتومبوكتو
واسبانيا

ومهم أيضاً أبي الحسن علي ابن أبي بكر الهروي الموصلي ذكر فيها بطريق الاختصار
انه زار مدينة حلب وأعمالها ثم الشام بأسرها وبلاد الافرنج وفلسطين والارض المقدسة
بأجبعها وديار مصر بأسرها ومعهم من أهل تونة بجزيرة تنيس بجهة دمياط بصيرة المنزلة ان
بها مشهد للنبي صلى الله عليه وسلم ومشهد العلي ابن أبي طالب رضي الله عنه وبلاد سعة بها
أيضاً قبر موسى بن شعيب ثم زار بلاد المغرب وجزائر بلاد الروم وجزيرة قبر عمر وديار
بكر والمغرب بأسرها وأطراف الهند وبلاد اليمن وبلاد العجم ثم القسطنطينية ودخاها في

عبدملكها فسطنطين وقال عنها انها مدينة عظيمة وهي أكبر من اسمها ودعا الله أن يجعلها دار مسلمين ومقر اخلافتهم فاستجاب الله دعاءه وتم قصها بعد موته بزمين على يد السلطان محمد الفاتح سلطان آل عثمان وهي الآن مقرا للخلافة الاسلامية (ودعاؤه مذكور برحلته الخطية القريم مطبوعة)

وقد ذكر الاستاذ جويرجيا كوبيان رحلة مسلما يعرف بالعدري رحل من قرطبة الى البلاد الواقعة على بحر بلطيق ولما وصل الى ميانس في وسط المانيا التقى برحالة مسلم آخر وافمن بغداد عن طريق روسيا وفي أنباء ذلك الرحلة الاندلسي ما يثبت أن أوروبا كانت اذ ذاك في هوة انحطاط لا قرار لها هذه القارة المقدسة الآن

وصل العرب في سياحتهم البرية الى الاقطار الأوروبية الشمالية وامتدت تجارهم الى السويد والدانمارك وروسيا فقد وجد كوزعديدة من النقود الاسلامية في كثير من من الاقطار الأوروبية الشمالية فأحصى الاستاذ تورنبرج سنة ١٧٥٧ المحلات التي أخرجت منها النقود العربية في بلاد السويد وحدها فبلغ عددها ١٦٩ محلا وأحصى الدكتور هانس هليدبراند سنة ١٨٧٣ قطع النقود الفضية العربية التي عثر عليها في جزيرة جوتلانده وحدها على صغرها فأر بي ما أحصاه على ١٣ ألف قطعة فكما كثرت أسفار المسلمين في البر كثرت في البحر وكان لهم من الدوتبات العظيمة في البحار ما ساعدتهم على انتشار التجارة واستكشاف الجزائر

الفصل الرابع

في

(السياحة بحرا)

كان للعرب سفن عظيمة بحرية كما كان لهم مراكز تجارية تبحر في البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي وفي الاقيانوس الاطالينتي المسمى في كتبهم ببحر الظلمات والمهادي فكانت ملاحظتهم تضرب من جزائر اليابان شرقا الى بلاد السكاب غربا وتسمى عندهم برأس الرجا، الصالح فأقوى برهان على استقرار تنقلاتهم في تلك الانحاء كثرة عهده

الذين اعتنقوا الاسلام من جزائر الفلبين التابعة لأمريكا الآن وجزائر الهند الصينية وجزيرة
مداغشقر وما حولها وهم الذين أطلقوا على بلاد الكافر هذا الاسم وقد سبقوا الاوروبيين
الى طواف محيط افريقية بحرا ووصلوا الى جزائر في المحيط الاطلساني ينطبق
وصفها على أرلند او على تيرنيفاي الارض الجديدة بأمر بكا وقد رامت بهم الاسفار في
البحر كما رامت بهم في البر بدليل وجود نفود اسلامية في جهة سيودال من أعمال ميران من
جزيرة اسلانده وفي جزيرة وينلانده على مقربة من القطب الشمالي

سبق ملاحوا العرب جميع ملاحى القرن الخامس عشر بنحو أربعائة سنة في
اكتشاف العمور من البلاد والجزائر مع قصر مدتهم ووضعوا أول علم للهدى لمن يأتي
بعدهم فكان الحظ والفخر لكرستوف كولومبو ولم يكن لواحد من أبناءهم فهم الذين
سافروا من أسبونة ببلاد الاندلس على نية السياحة واكتشاف أرض جديدة جزموا
بوجودها فاباء المحيط الاعظم ووقفهم على أناراطلانطيد القديمة فاكشفوا في طريقهم
أرخبيلين في المحيط الاطلساني وهما أرخبيل أسورة وأرخبيل ماديره وقد روى الاستاذ
ايليز بركاوس أكبر جغرافى انه اجتمع للسلمين في جزائر الفلبين مائة ألف بحار في زمن
واحد اشتهروا بالشجاعة والمهارة فيما يخص بالفنون البحرية

الفصل الخامس

في

فضائل السياحة

للسياحة فضائل عديدة لا تحصى منها انها تسهل اتحاد مساكن الارض وتوابع بين
مختلفي الاجناس وتزيد الاعتقاد فكما سار الانسان ونظر الارض وما عليها من عجاس
الطبيعة وتأمل في دقيق صنع البارى ازيد اديقينه واعلم أن الله حق لا يتغير واحدا لا تعدد
أبدى لا يزول ومنها تغية مواهب الشخص من الوجهة الاديب والعقلية والمادية فقد ذكر
الله تعالى في كتابه العزيز قل سبروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المتقين فأمر الله
بالسبر حتى لا يقع بالالة الكسل فتقطع أخبارها عن غيرها ويحل بها الفقر وتضرب في

مواطنها المثلة والمسكنة

فسياح المسلمين في العصور الماضية هم خلاف سواح هذا العصر من أبنائه فالسائح في الزمن الاول كان يخرج لاكتساب الدرهم والدينار ونشر الفضيلة والآداب ودرس الاخلاق والعوائد وتدوين الرحلات العلمية وإثبات ما يشاهده في أثناء سيره كاهو شأن الوافدين على بلادنا الآن من سياح أور وبافانه لا يمر علينا شهر أو سنة الا ونرى كل يوم رحلة جديدة عن الشرق لا حيد رجال الغرب سواء كان انجليزيا أو فرنساويا أو ألمانيا أما أغلب سواح عصرنا من المسلمين فانهم يخرجون من بلادهم للاسترسال وراء المذات والشهوات البهيمية التي هي خادعة العقول وغادرة الالباب وعسنة القبايح ومسولة القضايح وليس عطب الا وهي له سبب

فسواح الشرق يعودون الى بلادهم حاملين لثقل المعصية والعار مع احتقار أهل تلك البلاد لهم بدل تعظيمهم كما كانت تفعل أور وبافي العصور الماضية عند ما يقبل الى أوطانهم تاجرا أو سائحا عربيا فقد روى ابن فضلان ان بلغار روسيا كانوا يكرمون وفادة التجار المسلمين عليهم الى حد أنهم كانوا عند استقبالهم ينثرون الدراهم تحت أقدامهم إشارة الى التأهيل والترحيب بهم وينبجون بقدمهم إبتهاجا عظيما

الفصل السادس

في

(التجارة)

عالم سياح المسلمين التجارة فكان لتجارهم شأن عظيم في أفطار أور وباء العقلية الشمالية حركة شديدة وكان للتجار بها تأثير عظيم أعرب عن دخول كثير من أهل تلك البلاد الى الدين الاسلامي ودليل ذلك أنهم وجنوا تقودا بلغارية وألمانية ونورمادية وانكليزية سكسونية تموشاة بخطوط كوفية جميلة في تلك الجهات

فاذا تتبعنا أحوال متقدمي الاسلام ومشاهير أمرائه والحكام لم نجد أحدا منهم الا وله حرفة يتقوت منها أو صنعة لا يستغنى في معيشته عنها علمية كانت أو عملية سواء في ذلك

(٨)

الكبير والصغير والمأمور والامير فأحباب العلوم توضح الطرائق وتزيل العوائق وأرباب العمل يتبعون مرسومه وينوّه ويعملون على مقتضى ما استحسنوه فقد حث القرآن الشريف على العمل والسعي في طلب الرزق حتى كاد يعبده فرضا خصوصا وقد مدح التجارة والصناعة والسياحة فلم يبق عند العرب أو هام بالنسبة لأنواع الصناعة وشرها فلم يكن أحدهم يرى أنه أشرف من غيره ولهذا افرى وذاك مدنى ولهذا افرى وذاك غنى بل كانوا جميعا لا يرون الفضل الا لمن اتبع سبيل الرشاد

فالصنائع كانت تشرف بهم لأنهم يشرفون بها بخلاف تجارنا الآن فان شرف الرجل عندهم بقدر شرف صنعة فلهذا كانت رجال الدول الاسلامية وقادة الجيوش ورؤساء الاحكام لا يبالون بأسماء صنائعهم حيث يتيسر لهم بها في الدنيا امر معاشهم كالخطاطة والطرارة والجوهرية فكان أبو بكر رضى الله عنه برازا وعمر رضى الله عنه وعمان تجارا وكان عليا رضى الله عنه لمصر سنة ساعيا في خدمة ابن عمه صلى الله عليه وسلم

فعلى مقتضى الشريعة المحمدية يلزم كل انسان أميرا كان أو أمورا ان يقتاس من عمل يده وهكذا كان كثير من الخلفاء والصالحين والعلماء العاملين فلولادين الاسلام وعلماء العرب لضعف العلوم القديمة بأسرها اذ ليس في أحكام الديانة ما يمنع من التقدم في أى علم من العلوم النافعة دينيا ودنيا بل أن كتاب الله وأحاديث أنبيائه وسائر رسله أمرة بذلك فقد كان صلى الله عليه وسلم يبحث على البكور في طلب الرزق وغيره من حوائج الدنيا ويقول اللهم بارك لى فى بكورها وقال الشافعى رضى الله عنه أحرص على ما ينفعك ودع كلام الناس وقال حكيم من دلائل العجز كثرة الاحالة على المقادير التجارة هي كما قاله ابن خلدون في مقدمته هي محاولة الكسب بنفقة المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلا أياما كانت السلع من زرع أو حيوان أو قماش وذلك القدر الباقى يمدى ربحا لمحاولة لذلك الربح اما أن يحتزن السلعة ويتعين بها حوالة الاسواق من الرخص الى الغلا فيعظم ربحه ولذلك قال بعض الشيوخ من التجار لطالب الكشف عن حقيقة التجارة أنا أعلمها لك في كلمتين اشترى الرخيص وبيع الغالى .. كات العرب تتعرفى زمن الجاهلية مع الهدم والصين والفنقيين عن طريق الحجاز راوا اسطه القوافل ونجحت هذه التجارة بجاعظيها جدا أيام سليمان عليه السلام حتى شاع بمعرفة التجار المنتقلين خبر سليمان ومجده وحكمته وكان من أهم مواد التجارة عند العرب الاحجار الثمينة التي كانت في بعض جبال تلك الجزيرة والفر لؤلؤ الذي يستخرج من خليج عمان والطيب والبخور المأخوذ من الاعشاب الطبيعية

عندهم كالعود القافى وغيره كالاشياء المفيدة مثل العرفرة والحناء والمنسوجات الحريرية والمرجان والعقيق والمعادن الناعمة كالذهب والفضة ومنسوجات القطن والصوف والكتان وقد وصلت الحياة الى درجة عالية في زمانهم وكان لهم أسواق تقام في أيام المواسم يعرضون فيها تجارتهم ومصنوعاتهم كالمعارض التي تقام في أوروبا الآن وكانت تجتمع الامم من كافة الاقطار فيها

الفصل السابع

في

(أسواق العرب وحرب الفجار)

أسواق العرب في الجاهلية كثيرة أشهرها سوق عكاظ وسوق حجة وسوق ذي المجاز وسوق دومة الجندل ولكن سوق عكاظ هو المميز بين الاسواق بالسباق في الشعر وغيره وكان فيها سوق أسبوعية تقوم يوم الاحد للبيع والشراء وسوق سنوية تجتمع فيها قبائل العرب فيتشادون الاشعار ويذكرون ما لعشائرتهم من المجد والفخر وكان من فوائدها ان العرب يتعارفون فيها ويتعاونون ومن له أسير سعى في فدائه فن له حكومة ارتفع الى الذي يقوم بأمر الحكومة وكانت فرسان العرب اذا كانت أيام عكاظ في الشهر الحرام وأمن بعضهم بعضا يتجمعون حتى لا يعرفوا وان كانت هذه السوق تؤذن بالتعامل والاخذ والعطاء لأنها كانت في الحقيقة ونفس الامر محللا لاجتماع لحول الشعراء والفصحاء والبلغاء من أهل العربية لابتداء نتائج أفكارهم وأطهار محاسن فصاحتهم وبلاغتهم فنها يؤخذ منه كان للعرب جميعات علمية احتفالية في أسواق دروية ذاب ميادين شعرية

فلم يكن محفل عكاظ معدن المفاخر التليدة والطارقة ولم يكن وحده في جزيرة العرب بل كانت أسواق الحين أيضا مركزا للمفاخرة الظاهرية والمنافع العمومية والزينة والزخرفة فكانت بضاعتها هي النافقة وكل سوق عكاظ الذي هو مجمع المفاخرة بين العرب ربما قد تنسب عنه فن وحروب كما وقع ذلك في الفجار الأول والفجار الثاني والفجار الثالث والرابع إذ سبب حرب الفجار الأول أن بدر بن معشر التغاري كان له مجلس يجلس فيه

في سوق عكاظ و يفتر على الناس فيسقط يومارجله وقال أنا أعز العرب فخن زعم انه أعز مني
فليقطعها بالسيف فوثب عليه رجل من أشراف العرب فضر به بالسيف على ركبته فأدماها
فاقتلوا قتلا شديدا

وسب الفجار الثاني ان امرأة من بني عامر كانت جالسة بسوق عكاظ فطاف بها شاب
من قريش من بني كنانة وسألها أن تكشف وجهها فأبت فجلس خلفها وهي لا تشعر وعقد
ذيلها بسوكة فلما قامت وانحصر ذيلها من خلفها ضحك الناس عليها وقيل لها قد بخلت بكشف
وجهك فبان غيره فنادى يا آل عامر فساروا بالسلاح ونادى الشاب يا بني كنانة فجاؤا
بالسيوف والرماح فحصل الحرب بينهما بسبب ذلك ومن هذا يفهم ان النساء في الجاهلية كن
يأبين كشف وجوههن وليس كذلك اللهم إلا أن يكون هذا الحجاب كان موجودا في
أشرافهن خصوصا في الجمعيات الاحتفالية

وتم الفجار الثالث وسببه انه كان لرجل من بني عامر دين على رجل من بني كنانة فاطله
ذلك الرجل فخرت بينهما عداوة شديدة فحمل عبد الله بن جدعان ذلك الدين ودفعه من
ماله وكان ذلك سببا لانقضاء هذا الحرب

وتم الفجار الرابع وهو الذي شهدته النبي صلى الله عليه وسلم وسببه ان عروة الرحال
بتشديد الحاء المهمة وكان من قيس هو اذن أجاز العير من النعمان بن المنذر

فخن هذا كله يعلم ان سوق عكاظ كان مجمعا لما خسر العرب حربا و سلما حاجة وسماحة وانه
كان يحفل نفوس العرب الأبية على كسب المحب والشرف



المقالة الرابعة

﴿ في ان العرب أفضل الأمم وحكمتها أشرف الحكم ﴾

(وفيها ثمانية فصول)

الفصل الاول

في

(عوائد العرب التي أقرها الاسلام وحلف الفضول)

العرب أفضل الأمم وحكمتهم أشرف الحكم وصفانهم أحسن الصفات وعادتهم من أجل العادات فكان لهم من الفضائل وآداب النفوس ومكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ما يميزهم على غيرهم من الأمم

كان لهم قبل الاسلام عوائد وآداب وأخلاق وأحكام وقوانين وصلت الى عصره فنها ما أقرها وأبقاها فزادها رونقا على رونق وبهاء على بهاء وجالا على جال

فهم أول من حرم الخمر في الجاهلية فقد حرّمها الوليد بن المغيرة وقيل قيس بن عاصم ثم جاء الاسلام بتقريره وأول من حرم القمار في الجاهلية الأقرع بن حابس النخعي ثم جاء الاسلام بتقريره وأول من رجم في الزنا في الجاهلية ربيع خوان ثم جاء الاسلام بتقريره في المحسن وأول من حكم ان الولد للفراش في الجاهلية أكرم بن صبيح حكيم العرب ثم جاء الاسلام بتقريره وأول من قطع اليد في السرقة في الجاهلية المغيرة ثم جاء الاسلام بتقريره وأول من سن الذبة مائة من الابل عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه أنذر إن ولد له عشرة ذكور لينبحن العاشر فولد له عشرة وكان عاشرهم عبد الله أبو النبي صلى الله عليه وسلم فرام ذبحه فعارضه قريش في أمره وأشير عليه بأن يقرع بينه وبين الابل حتى تخرج القرعة على الابل فأقرع بينه وبين عشرة فتخرجت القرعة عليه ثم زاد عشرة بعد عشرة

وهي تقع عليه حتى بلغ المائة في الابل فوكت القرعة عليها فصرها فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول أنا ابن الذبيحين يعني اسما عيل وعبد الله ثم جاء الاسلام بتقريرها وأول من أوقف النار بالزلفة حتى يراه بالموقف فعصى بن كلاب وأول من أهدي البدن الى البيت اليباس بن مضر وأول من أظهر التوحيد بمكة قبل البعثة فس بن ساعدة وأول من خضب بالوسمة من قريش عبد المطلب وأول من نسأ النسب وسبب السواشب وجعل الوصيلة عمرو بن لحي وهو أبو خزاعة وقد حرموا نكاح الأمهات والجمع بين الأختين وكانوا يعيرون من يتزوج امرأة أبيه ويسمونه الضيزن وكانوا يحبون البيت الحرام بمكة ويعشرون ويمحرون ويطوفون ويسعون ويرمون الجار ويقفون مواقف الحج كلها وكانوا أيضا يقتسلون من الجنباة يدها وسوت على المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس والسواك والاستنجاء وتقليم الأنافر وتنف الابط وحلق العانة والختان وكانت قريش تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية وكان صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الصالح والاسم الحسن فقد جاء في الخبر أنه صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة نزل على رجل يقال له كلثوم فدعا بغلامين له بيابشار وياسالم فقال صلى الله عليه وسلم لأبي البشر فقد سلمت لنا البلد وكان كما قال صلى الله عليه وسلم

ولم غير ذلك من العوائد حلف الفضول فقد جاء عنه في كتاب خلاصة الكلام في تاريخ الجاهلية والاسلام انه كان للعرب عقود وعهود يحلفون فيها حلفا مؤكدا على أن لا يتخذوا وكانت هذه الحلفان بين القبائل لحفظ نواويسهم وبعض بعضهم بعضا والمتحالفون يسمون عند العرب بالأحلاف فن ذلك ان بنى عبد مناف لما أراد أن يأخذ مني يدي بنى عبد الدار من الحجابة والسقاية وأبى عبد الدار ذلك عقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا على أن لا يتخذوا فأخرجت عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فوضعتها للاحلافهم وهم أسد وزهرة وتيم عند الكعبة فقمسوا أيدهم فيها وتعاقبوا عبد الدار وحلفاؤهم وحلفوا أحلفا آخر مؤكدا وكانت أحلافهم قبائل عبد الدار وكعب وجع وسهل وخزوم وعدي وكان مثل هذه الحلفان للشناصير بينهم فقط للأصلحة العمومية في منصرف قريش من حرب الفجار في ذي القعدة بعد انقضاء سوق عكاظ أسس حلف الفضول وهو أشرف حلف عند العرب وأحق بالفخار جماعده وكان هذا الحلف لشرف موضوعه وجل الغرض المطلوب منه يكاد أن يكون أساسا لسياسة وطنية وتمهيدا لحوال تمدنية وأول من دعا الى هذا الحلف في شهر ذي القعدة بعد الفجار الرابع الزبير بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم

شقيق أبيه فاجتمع اليه بنوه ائسم وزهرة وبنو أسد بن عبد العزى في دار عبد الله بن جدهان التميمي المتقدم ذكره وكان بنو تميم في حياته كأهل بيت واحد بقوتهم وكان عبد الله بن جدهان ذا شرف وسن وتحالفوا على أن يردوا الفضول إلى أهلها أي على أن يردوا الحقوق التي أخذت ظلاما إلى أربابها ولا يعز ظالم على مظلوم وكان معهم في ذلك الخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شهدوه وقال صلى الله عليه وسلم ما أحب أن لي بخلف حصرت به دار بن جدهان حجر النعم وأني أغدر به أي لأحب القدر وإن أعطيت حجر النعم في ذلك وفي رواية لقد شهدت في دار عبد الله بن جدهان حلف ما أحب أن لي به حجر النعم ولو دعي به في الاسلام لأجبت أي لو نادى مظلوما آل حلف الفضول لأجيبته ونصرته لأن الاسلام يقرر رفع المظالم وسبب أن قريشا كانت تتظالم في الحرم وكان قبل ذلك قد تحالف قوم من جرهم أن لا يروا ظلاما بطن مكة إلا غيروا ودفعوه وكان قديما أهل ذلك الحلف وتنويسي أمره وصار يقع الظلم في الحرم بدون مدافع فاتفق أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص ابن وائل وكان من أهل الشرف والقدر بمكة فخبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدي بالاحلاف عبد الدار ومخزوم وجمع وسهم وعدى بن كعب فأبوا أن يعينوا على العاص وانتهروا الزبيدي فلما رأى الزبيدي الشرر في علي جبل أبي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في أئديتهم حول الكعبة قال بأعلى صوته

يا آل فهر لمظالم بضاعته بطن مكة نأى الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته يا للرجل وبين الحجر والحجر
ان الحرام لمن تمت مكارمه ولا حرام لئوب الفاجر القدر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وعبد الله بن جدهان واجتمع إليهما من تقدم من الناس قيل كان معهم العباس وأبوسفیان وتعاهدوا وتعاقدا والكون يداو حسم مع المظالم على الظالم حتى يؤدي حقه ثم يفا أو وضيعاتهم. شوا إلى العاص بن وائل فتنزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه وصاروا دائما أخن من الظالم للمظالم حقه على وفق حلف الفضول الذي كان أشرف حلف في الجاهلية كما سبق وقد بي مثل ذلك معمولا به في الاسلام من اجتماع جمعية من الناس تنصر المظالم على ظالمه وتأخذ حقه منه بقضاء عريفية يدعن إليها المتخاصمون وهذا الحلف وأمثاله من العوائد العربية الشريفة بدل على ما كان لهم من الميل للحق والمروءة القائمة بالبعد عن خسائس الأمور واغتبال الحقوق كما تشهد بذلك أخبارهم وتنطق به أشعارهم

الفصل الثانى

في

(صفات العرب)

إن صفات العرب كثيرة منها الشهامة والنجدة وحفظ العهود والمحافظة على الاعراض
والمدافعة عن الجار ولو جار والسقاء ولكرم والضيافة لل قريب والغريب وعزة النفس
وإياء الضيف والولوع بالشعار والحكم والامثال والحلم والاخذ بالثار والفصاحة والمحافظة
على الشرف والصدق في القول فبايدل على ما كان لهم من العزة والشرف والشجاعة
قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه

إذا بلغ القطام لنا وليد تحضر له أعادينا ميمودا
فمن يقصد بداهية إلينا يجردنا جبارة أسودا
ويوم البذل نعطى ماملكتنا ونملا الأرض احسانا وجودا

من أحسن من مدحوا به وأجمع له صفاتهم قول النعمان بن المنذر لكسرى أنوشروان
حين قدمت عليه الوفود وأخذ كل منهم يد كرت فخر أمته (قال النعمان) أوصح الله الملك حق
لأمة الملك منها أن يسهو فضلها ويعظم خطيئها وتعود رجتها إلا أن عندي جوابا في كل ما نطق
به الملك من غير رد عليه ولا تكذيب له فان أمتي من غضبه نطق به قال كسرى قل
فأنت آمن

قال النعمان - أما أمتك أيها الملك فليست تنازع في الفضل لموضعها الذي هي به من
عقولها وأحلامها وبسطه محلها وبجوحة عزها وما أكرمها الله به من ولاية آبائك
وولايتك وأما الأمم التي دكرت فأى أمة تفرنها بالعرب إلا فضلها قال كسرى بماذا - قال
النعمان - بعزها ومنعتها وحسن وجوها وأسمها وسخاها وحكمة ألسنتها وشدة عقولها
وأنتها وقادها الجند لم يطعم فيهم طامع ولم ينلهم نائل حصونهم ظهور خيلهم ومهادهم الأرض
وسقوفهم السماء وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر إذ غيبرها من الأمم أنما عزها الحجارة
والطين وجزائر البحور وأما حبن وجوها وألوانها فقد يعرف فضلهم في ذلك على غيرهم

من الهند المعروفة والصين المخففة والترك المشوهة والروم المقشرة وأما أنسابها وأحسابها فليست أمينة إلا وقد جهلت آباءها وأصولها وكثيرا من أولها حتى أن أحدهم ليسأل عن وراء أبيه نسباً فلا ينسبه ولا يعرفه وليس أحدهم من العرب إلا يسمى آباءه أبافاً باحاطوا بذلك أحسابهم وحفظوا به أنسابهم فلا يدخل رجل في غير قومه ولا ينسب إلى غير نسبه ولا يدعى إلى غير أبيه وأما سخاؤهم فإن أدناهم رجلاً الذي تكون عنده البكرة عليها بلاغة في جوله وشبعه ورهه فيطرقة الطارق الذي يكتفي بالفائدة ويجزى بالشربة فيعقر هاله ويرضى أن يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الاحدونة وطيب الذكر

وأما حكمة السننهم فإن الله تعالى أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم بالاشياء وضررهم بالامثال والبلاغهم في الصفات ما ليس لشي من السنن الاجناس الاخرى ثم ان خيلهم أفضل الخيل ونسأؤهم أعف النساء ولباسهم أفضل اللباس ومعادنهم الذهب والفضة وحجارة جبالهم الخرز ومطايهم الابل التي لا يبلغ مثلها على سفن ولا يقطع مثلها بالدقفر

وأما دنياها وشريعتها فانهم مفسكون به حتى يبلغ أحدهم من نسكه بدنيه أن لهم أشهراً حرماً وبدعاً محرماً وبيتاً محجوجاً ينسكون فيه مناسكهم ويدبحون فيه ذبائحهم فيلقى الرجل قاتل يمينه وأخيه وهو قادر على أخذ ثأره وأدراك رغبته فيصجزه كرمه وينمعه دينه عن تنبؤله بأدى

وأما وفاقدهم فإن أحدهم يرجع عوداً من الارض فيكون رهابدينه فلا يقلق رهنه ولا تخفر ذمته وان أحدهم ليبغله أن رجلاً استجار به وعسى أن يكون نائياً فيصاب فلا يرضى حتى يغنى تلك القبيلة التي أصابته وتغنى قبيلتهما أخفر من جواره وانه ليلجأ اليهم المجرم المحذ من غير معرفة ولا قرابة فتكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دون ماله

وأما قواك أبها الملك يثدون أولادهم فانهما يفعلونه يفعلهم بالاناث أنفهم من العار وغيره من الأزواج

وأما قواك ان أفضل طعامهم لحوم الابل على ما وصفت منها فافتركوها وادونها الا احتقاراً فعمدوا إلى أكلها وأفضلها فكانت مراكبهم وطعامهم مع أنها أكثر اليها ثم يتصور ما وطئها لحوماً وأرقها ألباناً وأقلها غائلة وأحلاها مضغة وانه لا شيء من اللحمان يعالج ما يعالج به لحما الاستبان فضلها عليه

وأما نحاسهم وأكل بعضهم بعضاً وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم فانهما يفعل

ذلك من فعله من الأمم إذا آتست من نفسها ضعفاً وتخوفت نهوض عدوها اليها بالزحف
وانه إنما يكون في المملكة العظيمة أهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم فيلقون
اليهم أمورههم وينقادون اليهم بأزمهم
وأما العرب فان ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكاً أجمعين مع أنفتهم من
أداء الخراج والوظف بالعسف

وأما اليمن التي وصفها الملك فلما أتى جد الملك اليها الذي أتاه عند غلبة الجيش له على ملك
متسقى وأمر بجمع مسلوبا طريداً مستصرخاً قد تقاصر عن إيوائه وصغر في عينه ما شيد من
بنائه ولا ما وتر به من يلبس من العرب لئلا ياتي بحال ولوجدهم من يجيد الطعان ويفض بلاحرار
من غلبة العبيد الأشرار

فعجب كسرى من كلامه وقال انك لأهل لموضعك من الرئاسة في أهل اقليمك ولما هو
أفضل - ثم كساه من كسوته وسرحه الى موضعه من الحيرة اه

ومثل ذلك كثير فغن يقرأ كلام الوفود العشرة الذين وفدت على كسرى وكلام
الوفود الذين وفدوا على سيف ابن ذي رزن علم أن العرب كلما تواروا البعثة كلما تذب
لسانهم وكلمت فصاحتهم

الفصل الثالث

في

أن المغناء والكرم من شيم العرب

ان المغناء والكرم سببتان من مجايا العرب في الجاهلية والاسلام يمتازون بهما عن
غيرهم ويبرون من بودهم لالفخر أو شهرة واذا عصبت بل لدفع مضرة واغاثة ملهوف
واكرام ضيف

فالمغناء اسم واقع على كل معنى من أنواع الفضل ولفظ جامع لمعاني المباحة والبلال
فكل خصلة من خصال الخير وخله من خلال البر وشية تغزى الى مكارم الاخلاق وسجية
تضاف الى محاسن الطباع والاعراق واقعة تحت اسم المغناء ومنه يتولد الكرم

قال ابن مسكويه أما السخاء فهو وسط بين رذيلتين احدهما السرف والتبذير والاخرى
البخل والتقتير أما التبذير فهو بذل - الا ينبغي لمن لا يستحق وأما التقتير فهو منع ما ينبغي
عن يستحق

فقد السخاء كما ذكره الماوردي هو بذل ما يحتاج اليه عند الحاجة وأن يوصل الى
مستحقه بقدر الطاقة وتدير ذلك مستصعب ولعل بعض من يحب أن ينسب الى الكرم
ينكر حد السخاء ويجعل تقدير العطية فيه نوعا من البخل وأن الجود بذل الموجود وهذا
تكليف يقضى الى الجهل بمحدود الفضائل ولو كان الجود بذل الموجود لما كان للسرف
موضعا ولا للتبذير موقعا وقد ورد الكتاب بهما وجاءت السنة بالنهي عنهما واذا
كان السخاء محدودا فن وقف على حده متى كرما وكان للحمه مستحقا ومن قصر عنه
كان بخيلا وكان للذم مستوجبا وقد قال تعالى ولا تحسبن الذين يخالون بما آتاهم الله من
فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم يسطون قون ما بخالوا به يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم
طعام الجواد دواء وطعام البخل داء

والبر نوعان صلة ومعروف فأما الصلة فهي التبرع ببذل المال من الجهات المحودة لغير
عوض مطلوب وهذا يبعث على سباحة النفس وسخاؤها ويمنع منها تشها وابطاؤها قال الله
تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون قالت الحكماء الجود حارس الاعراض
جود الرجل بحبه الى أصداده وبخله يفضله الى أولاده - خيرا الأموال ما سترق حر أو خير
الاعمال ما استحق شكرا

وقد يحدث عن البخل من الأخلاق المذمومة وان كان ذريعة الى كل منة أربعة أخلاق
وهي الحرص والشراء وسوء الظن ومنع الحقوق

أما المعروف ويتنوع الى نوعين قولاً وعملاً أما القول فهو طيب الكلام وحسن
البشر والتودد بجميل القول وهذا يبعث على حسن الخلق ورقة الطبع ويجب أن
يكون محدودا كالسخاء فإنه اذا أصرق فيه كان متعلقا منوما وان توسط واقتصد فيه كان
معروفا قال صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط
الوجوه وحسن الخلق

وأما العمل فهو بذل الجاه والاسعاد بالنفس والمعونة في النائية وليس له حد ويبعث
على حب الخير وإيثار الصلاح

قال ابن مسكويه ان الفضائل التي تحت السخاء هي الكرم والإيثار والنبل

والمواساة والمباحة والمساعدة . - أما الكرم فهو اتفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الأمور الجليلة القدر الكثيرة النفع كما ينبغي . وأما الأيثار فهو فضيلة النفس بها يكف الإنسان عن بعض حاجاته التي تحتمه حتى يبذل لمن يستحقه . وأما النبيل فهو سرور النفيس بالأفعال العظام وابتهاجها بالزوم هذه السيرة . وأما المواساة فهي معاونة الأصدقاء والمستحقين أو مشاركتهم في الأموال والأقوات . وأما المباحة فهي بذل ما لا يجب . وأما المساعدة فهي ترك بعض ما يجب والجحيع يكون بالإرادة والاختيار .
ومما بدلت على مزبد سخاء العرب أنه كان لهم نار تسمى نار القرى وهي نار الضيافة توقد لاستدلال الأضياف بها على المنزل وكانوا يوقدون لها على الأماكن المرتفعة لتكون أشبهن وربما أوقدوها بالعود ونحوه مما يتبخر به ليتهدي إليها العميان وهذه النار عندهم أجل سائر نيرانهم

فمن اشتهر بالجدود عندهم والسخاء وضرب بهم المثل في الكرم . من عرب الجاهلية والاسلام حاتم الطائي وكعب بن أمية الأيادي وهرم بن سنان وعبد الله بن حبيب الغنبري وعبد الله بن جدهان القيمي وعبد الله بن عباس بن عبد المطلب وحزرة بن عبد الله بن الزبير العوام وعمر بن عبد الله بن معمر القيمي وقيس بن سعد بن عباداة الانصاري وعبد الله بن أبي بكر مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسالم بن قحطان القائل

لا تغد لي في العطاء ويسرى لكل بعير جاء طالبه حبلا
فأني لا تبكي عليّ أهلهما إذا شبع من روض أوطانها بقلا
فلم أر مثل الأبل ما لا لقتن ولا مثل أيام الحقوق لها سبلا

وخبر هذه الآيات أن سالم بن قحطان أنه أخو امرأته فأعطا بعيرا من ابله وقال لامرأته هاتي حبلا يقرن به ما أعطيناه اني بعيره ثم أعطاه بعيرا آخر وقال هاتي حبلا ثالثا فقالت ما بقي عندي حبل فقال عليّ الحال وعليك الحبال فرمت اليه بخمارها وقالت اجعله حبلا لبعضها فأنشأ يقول لا تغد لي الآيات فأعطته امرأته

حلفت يمينا يا ابن قحطان بالذي تكفن بالارزق في النسل والجيل
نزال حبلا محصداً أعدها لها مامشي منها على خفه جيل
فأعط ولا تبخل لمن جاء طالبا فعندي له خطم وقد راحت العلل
وعمر بن الأهم حيث يقول

ذريني فإني أشتد بالأمهين لصالح أخلاق الرجال سروق

ذريني وحظي في هواي وانني على الحساب الزاكي الرفيع شفيق
ذريني فاني ذو فعال تهمني نوايب يغشي رزئها وحقوق
وكل كرم يتقي الذم بالقرى وللحق بين الصالحين طريق
لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق
عتبة بنت عفيف

وهي ام حاتم الطائي وكانت أجود أهل زمانها من النساء فتعها اخوتها عن العطاء
وجسوها في بيت سنة يطعمونها رجاها أن تكف عن عاداتها ثم أخرجوها بعد مضي السنة
وظنوا أنها قد اقتصرت ودفعوا إليها صرمة فأتتها امرأة من هوزان فساءتها فأعطتها
الصرمة وقالت لقد عضي من الجوع ما آليت معه أن لا أمتع سائل شيئا وقالت
لعمري لقدما عضي الجوع عضة فآليت أن لا أمتع الدهر جانعا
فقلوا لهذا اللامعي الآن اعفني فان أنت لم تفعل فعض الاصابع
ولا ماترون الدهر الا طيبة فكيف بتركي يابن أي الطبايعا

أعطى رجل امرأة سألته ما لأعطيها فلاموه وقالوا انها لا تعرفك وانما كان يرضيها
اليسر فقال ان كانت ترضى باليسر فاني لأرضي الابل الكثير وان كانت لا تعرفني فأنا
أعرف نفسي

قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

أرى نفسي تنوق الى أمور وبقصردون مبلعن حال
فنفسي لا تطاوعني يضل ومالي ليس يلخه فعالي
وقال أيضا

ولا أقول نعم يوما فأتبعها معنا ولو ذهبت بالمال والولد
ولا اثمنت على سر فبعت به ولا مدت الى غير الجميل يدي

بلغ ابن المقفع ان جارا له يبيع داره لدين ركه وكان يجلس في ظل داره فقلن ماقت، ناء
بعمرة ظل داره ان باعها بعد ما وبت واجدا الجميل اليه ما لا وقال لا تبع

قال رجل من بني عامر ابن صعصعة لعتبة ابن أبي سفيان والله لأن تحسنوا وقد أسأنا خير
من أن تسيؤا وقد أحسننا فان كان الاحسان منكم فأحقكم بما عامه وإن كان منافا أحقكم

قال ابن مسكويه ان من كالات الشجاعة كبر النفس - العجدة - عظم الهمة - الثبات - الصبر - الحلم - عدم الطيش - الشهامة - احتفال الكد - والفرق بين هذا الصبر والصبر الذي في العفة ان هذا يكون في الأمور الهائلة وذلك يكون في الشهوات الهائلة أما كبر النفس فهو الاستهانة بالسير والاقدار على حمل الكرامة فصاحبها يؤهل نفسه للأمر العظام مع استخفافها لها وأما العجدة فهي ثقة النفس عند المخاوف حتى لا يخامرها جزع وأما عظم الهمة فهي فضيلة للنفس تحفل به مساعدة المجد وضدها حتى الشدائد التي تكون عند الموت وأما الثبات فهو فضيلة للنفس تقوى بها على احتفال الآلام ومقاومتها في الأحوال خاصة - وأما الحلم فهو فضيلة للنفس تكسبها الطمأنينة فلا تكون شعبة ولا يحركها الغضب بسهولة وسرعة وأما السكون الذي تعنى به عدم الطيش فهو أمان عند الخصومات وأما في الخسروب التي يذب بها عن الحريم وعن الشريعة وهو قوة للنفس تقصر حركتها في هذه الأحوال لشدها وأما الشهامة فهي الحرص على الأعمال العظام توقعا للاحدونة الجميلة وأما احتفال الكد فهو قوة للنفس هانت عمل آلات البدن في الأمور الحسية بالتمرين وحسن العادة

والعرب أشجع الأمم وأشد هم بأسا كانوا يتأدون بالموت في ساحة الوغى ويتهاجون بالموت على الفران ويقولون مات فلان حتف أنفه ولامية السهول ابن عادي خبر شاهد على ذلك حيث يقول

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه	فكل رداء يرتديه جليل
وان هولم يحمل على النفس ضجها	فليس الى حسن التناء سبيل
نعيرنا أن قليل عديدها	فقلت لها ان الكرام قليل
وما قل من كانت بقلياه مثلنا	شباب تسامى للعلى وكمهول
وما ضرتنا أن قليل وجارنا	عزيز وجار الأكثرين ذليل
لنا جبل يحمله من نجيده	منيع برد الطرف وهو كليل
رسا أصله تحت الثرى وسجا به	الى الجعم فرع لا ينال طويل
هو الأبلق الفرد الذي شاع ذكره	يعز على من رامه وبطول
واتا لقوم نرى القتل سبة	إذا ما رأته عامر وساول
يقرب حب الموت آجالنا لنا	وتكرهه آجالهم فقلول
وما مات منا سيد حتف أنفه	ولا طل منا حيث كان قتيلا

نسيل على حد الظلمات نفوسنا
صفونا ولم نكدر وأخلص سرنا
علونا الى خير الظهور وحطنا
فحص كاه المزن ما في نصابنا
ونشكر ان شئنا على الناس قولنا
اذا سيد منا خلا قام سيد
وما أخذت نار لنا دون طارق
وأيماننا مشهورة في عدونا
وأسيافنا في كل شرق ومغرب
معوذة أن لا تسلم نالها
سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم
هان بنى الديان قطب لقومهم
وليس على غير الطبابت تسيل
اثاث أطابت حلنا وغفول
لوقت الى خير البطون نزول
ككهام ولا فينا بعد بخيل
ولا ينكرون القول حين نقول
قؤول لما قال الكرام فصول
ولا ذمنا في النازلين نزيل
لها غسر معلومة وحجول
بها من قراع الدارعين فلول
فتعبد حتى يستباح قيسل
فليس سواء عالم وجهول
تدور رحاهم حولهم وتجول
﴿ وقال أبو العول الطهوى ﴾

فدت نفسي وما ملكت يميني
فوارس لا يملون المنايا
ولا يجزون من حسن بسبي
ولا تبلى بسالتهم وان هم
هم منعوا حي النوقي بضرب
ولا يرعون أكتاف الهويثا
فوارس صدقت فيهم ظنوني
اذا دارت رحا الحرب الزبون
ولا يجزون من غلظ بلين
صاوا بالحرب حيناً بعيد حين
يؤلف بين أثتات المنون
اذا حلوا ولا أرضى الهدون
﴿ وقال عنتر بن شداد ﴾

وفي يوم المصانع قد تركنا
أقنا بالذوايل سوق حرب
حصاني كان دلال المايا
وسيفي كان في الهجا طيبا
ولو أرسلت رمحي مع جبان
لكن هيتي يلقى السباعا
لنا بفعلنا خيرا مشاعا
وصيرنا النفوس لها متاعا
نخاض غبارها وشرى وباعا
يدواي رأس من يشكو المداعا
﴿ وله أيضا ﴾

أعادي صرف دهر لا يمادي وأحفل القطيعة والبعدا
وأظهر نصح قوم ضيعوني وإن خانت قلوبهم الودادا
أعلل بالننى قلبا عيلا وبالصبر الجليل وإن تمادا
تعبرتي العدا بسواد جلدي وبيض خصائي يمحو السوادا
وردت الحرب والأبطال حولي تهرأ كقها السمر الصعادا
وخضت بمهجتى بحمر المنايا ونار الحرب تتقد اتقادا
وعدت مخضبا بدم الأعادي وكرب الركض قد خضب الجوادا
وسقى مرهف الحدين ماض تقه شفاره الصخر الجدادا
ورمحي ما طعنت به طعينا فعاد بعينه نظر الرشادا
ولولا صاري وسنان رمحي لما رفعت بنو عبس عمادا

﴿وله أيضا﴾

حكم سيفوك في رقاب العذل وإذا نزلت بدار ذل فارحل
وإذا الجبان نهاك يوم كرهته خوفا عليك من ازدحام الحففل
فاعصى مقالته ولا تحفل بها واقدم إذا حق اللقاء الأول
واختر لنفسك منزلا تملو به أومت كرمات تحت ذل القسطل
إن كنت في عدد العبيد فهمتي فوق الثريا والسمائك الأعزل
أو أنكرت فرسان عبس نسبتى فسنان رمحي والحسام بقرلى
وبذابلى ومهندى نلت العلى لا بالقراية والعديد الأجزل
ورميت رمحي في العجاج ففاضه والنار تقدح من شغار الأنصل
خاض العجاج محجلا حتى إذا شهد الواقعة عاد غير محجل
ولقد نكبت بنى حريقة نكبة لما طعنت صميم قلب الأخيل
وقتل فارسهم ربعة عنوة والمهينان وجابر بن مهيل
لا تسقى ماء الحياة بذلة بل فاسقنى بالعر كائن الخنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعر أطيّب منزل

﴿وقال ابن نناء الملك﴾

سواى هباب الموت أو يرهب الردى وغيرى هوى أن يعيش مخلدا

ولكننى لأرهب الدهر إن سطا ولا أحذر الموت الزؤام إذا عدا
ولو مد نحوى حادث الدهر كفه لحدثت نفسي إن أمد له يدا
توقد عزى يترك الماء جرة وحيلة حلى ترك السيف مبردا
وفرط احتقارى اللألام لاني أرى كل عار من حلى سوددى سدى
ويأبى أباقى أن يرانى قاعدا واتى أرى صكل البرية مقعدا
وأظن أن أبدي لى الماء منه ولو كان لى نهر المجرة موردا
ولو كان ادراك الهدى بتذلل رأيت الهدى أن لأميل الى الهدى
وقمنا غبرى أصبح الدهر أشيا وبى وبفضلى أصبح الدهر أمردا
وانك عىدى يا زملات واننى على الرغم منى أن أرى لك سيدا
وما أنا راض اننى واطنى الثرى ولى همه لارتضى الأفق مقعدا
ولو عانت زهر الصوم مكانى نخرت جميعا نحو وجهى سجدا
أرى الخلق دونى إذ أراى فوقهم ذكاء وعلم واعتلاء وسوددا
وبذل نوالى زاد حتى لقد غدا من القبط منه ساكن البحر مريدا
ولى قلم فى أعلى ان هزرتة لها ضرى أن لا أهز المنهدا
إذا صال فوق الطرس وقع صريره فان صليل المشرقى له صدى

﴿ المهلهل ﴾

أما بنى تغلب شم معاطسنا يبيض الوجوه اذا ما أفرع البلد
صكم قد قتلت بنى بكر بسيدنا وليس بوفى كلبا منهم أحد
كم من فتاة كفرن الشمس ناعمة تبكى سراة بنى شيان إذ فقدوا
ما كان جمعهم فى عرض سودتنا إذا قبل الجمع نحو الجمع فاحتشدا
إلا اكمل ذباب طار معترضا فى لهوة الليث فاستولى به الأسد
ما زلت أقتلهم قتلا وآسرهم حتى اشتكت لهم الأحشاء والكبد
وهى قصيدة طويلة وكان المهلهل من أصبح أهل زمانه وجها وأفصحهم لسانا وأرقهم شعرا وكان كثيرا المجاذنة للنساء حتى كان أخوه يسميه زيرا للنساء (١)
فهذا شئ من كثير يدل على شجاعة العرب وحاسمتهم فمن أراد التوسع فعليه بدوان

الجاسة وجهرة العرب لابن دريد ولأبي زيد القرشي والأغاني والملحقات للبيوع وديوان
الجاسة البصرية وحجاسة البصري وأبي تمام وقد أودعت العرب في شعرها أسرار لغتها
وعوائدهم وأخلاقهم وما كان لهم من الحسروب والوقائع وقوة الفكر وثبات الجنان
والعتاب والزهد وذكري عجائب السكان وذكري الطول والمنازل ووصف
الظباء والغزلان إلى غير ذلك من الأساليب التي لانهاية لها

الفصل الخامس

في

(أخلاق العرب وأدبهم)

قال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى اختار لكم الإسلام دينا
فأكرموه بحسن الخلق والسواء فانه
لا يكمل الا بهما

ان الخلق هيئة تحمد النفس الناطقة من جهة اتقيادها البدن اتباعا له واعلم ان
لحصول الخلق في النفس شيئين أحدهما الطبيعة وهوان يكون مزاج الشخص يقضى
استعداده لحصول ذلك الخلق له وثانيهما العادة ونعني بالعادة تكرير فعل الشيء الواحد
مرارا كثيرة زماما طويلا في أوقات متفاوتة ومتقاربة وبدل على ما ذكرنا ان أصحاب
السياسات الجيدة وأفاضل الناس يجعلون أهل المدن اخيارا بما يعودونهم من أفعال الخير
وكذلك أصحاب السياسات الرديئة المتقلبون على المدن يجعلون أهلها أشرارا بما يعودونهم
من أهمال الشر

قال بعض العلماء ان سائر الاخلاق طبيعية يتمتع زوالها وحصول اضدادها وقال
آخرون ان بعض الاخلاق طبيعية يتمتع زوالها وبعضها مكتسب بحسب أسباب تحصل
للشخص في أول الفطرة ثم توسع في النفس حتى تبلغ درجة الاخلاق الطبيعية اه
فن المقرر ان الانسان مستعد من أول الفطرة للاخلاق الجيدة والردية وذلك بحسب
الوسط الذي يعيش بين أهله فانه يتطبع بطباع من عاشهم وينسب عليها فيصيح اذا طبعا

غريز يله ان كان خيرا غيرا وان كان شرا فشر
قال ارسطاطاليس ان الشر رقد ينتقل بالتأديب الى الخير ولكن ليس على الإطلاق
لانه يرى ان تكرير المواعظ والتأديب وأخذ الناس بالسياسات الجيدة الفاضلة لا بد أن
يؤثر ضرر التأثير في ضرر وب الناس فمنهم من يقبل التأديب ويتحرك الى الفضيلة
بسرعة ومنهم من يقبله ويتحرك الى الفضيلة ببطء
وقال ابن مسكويه فن اتفق له في الصباح أن يري على أداب الشريعة ويؤخذ بوطائعها
وشرائطها حتى يتعود ثم ينظر بعد ذلك في كتب الاخلاق حتى تتأكد تلك الآداب والمحسن
ثم ينظر في الحساب والهندسة حتى يتعود صدق القول وصحة البرهان فلا يسكن الا اليها ثم
يتدرج حتى يبلغ الى أقصى مرتبة الانسان فهو السعيد الكامل
كانت العرب في أثناء جاهليتها الاولى اسمي أخلاقا وأرقي أديبا منا نحن الآن فما يستدل
به على عظيم شأنهم وعلمونزلتهم في الاخلاق والآداب نساء ورجالا ما توردهم من أشعارهم
وحكمهم التي تزينت بها صحف التواريخ وحفظت لهم الذكرا الجليل على مر الأيام وكرور
الدهور والاعوام وهي عبرة لمعتبر وتفكرة لمفكر
فن عرب الجاهلية الاصبغ العدواني وهو من قدماء الشعراء في الجاهلية وله غارات
كثيرة ووقائع مشهورة وقد أوصى ابنه أسيد حين حضرته الوفاة فقال له ياني ان أباك قد
فني وهو حي وعاش حتى سئم العيش واتى موصيك بما ان حفظته بلغت ما بلغت فاحفظ عني
ألن جانبك لقومك يحبوك وتواضع لهم يرفعوك وابسط لهم وجهك يطيعوك ولا
تستأثر عليهم بشئ يسودوك واكرم صغارهم كما تكرمك كبارهم بكرمك كبارهم
ويكبر على مودتك صغارهم واسمع بمالك وأحم حريمك وأعز جارك وأعن من استعان بك
وأكرم ضيفك وأسرع النهضة في الصريح فان لك اجلا لا بعدوك وصن وجهك عن مسئلة
أحد شيأ قبلك يوم سودوك

أأسيدان ملا ملك	ت فسر به سيرا جيلا
آخ الكرام ان استطه	مت الى أئامهم سيلا
واشرب بكاسهم وان	شربوا به السم الخيلا
أهن اللثام ولا تكن	لاخامهم جيلا ذلولا
ان الكرام اذا توا	خيم وجعدن لهم قبولا
ودع الذي يعد العشي	ره أن يسيل ولن يسيل

(عنتره بن شداد)

انى امرؤ من خير عبس متعبا شطرى وأحى سائرى بالنمل
ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل
والخيل تعلم والقوارس اننى فرقت جمعهم بطعنة فيصل
بكرت تخوفنى الختوف كانى أصبغت عن غرض الخنوف بمزل
فأجبتها أن المنية منهل لا بد أن أسقى بذلك المنهل
وأقنى حياءك لا أبالك فاعلى انى امرؤ ساموت ان لم أقتل
ولقد لقيت الموت يوم لقيته متمربلا والموت لم يتسربل
والخيل ساهمة الوجوه كلها سقيت فوارسها تجميع الخنظل
ان يلحقوا كرروا ويستلحموا أشدد وان نزلوا بفننك أنزل

(عروة الصعاليك جاهلى)

إذا المرء لم يطلب معاشا لنفسه تسكا ألم الفراق ولام الصديق فأكترا
وصار على الأذنين كلا وأوشكت فأوب ذوى القربى له أن تسكرا
وما طالب المعروف من حيب ينتقى من الناس الا من أبر وشعرا
فمسر فى بلاد الله والنفس الفنى تعش ذا يسار أو تموت فتعلا
ولا ترض من عيش بدون ولا تنم وكيف ينام الليل من كان معمرأ

(بعض بنى سليم)

فإن تسألنى كيف أنت فانى صبور على ريب الزمان صليب
بعر على أن ترى به كآبة فيشمت عاد أو يساء حبيب

قال اعرابى ان الغضب عدو العقل وكفى بالجناب تأديبا وبالأيام عظة

قال الأصمى سمعت اعرابيا يقول أسرع الناس جوابا من لم يغضب لا توقد بين جنبك
جمره الغضب وأرداسا تنه بالحلم فان شجرة النار اذا لحت عليها الريح تحاكت أغصانها
فشمعل نار او تحترق أصولها

غضب هشام على رجل من أشراى الناس فتمقه فوجه الرجل فقال له أما تستحي أن
تشتفى وأنت خليفة الله فى أرضه فأطرف هشام واستعيا وقال له اقتص فقال اذا سفيه مثلك
فقال خذ من ذلك عوضا المال قال ما كنت لأفعل قال فهم بالله قال هى لله ثم لث فيكس هشام

رأسه وقال والله لا عود لئلا

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ثلاث من اجتمعن فيه فقد سعد من اذا غضب لم يفرجه غضبه عن الحق واذا رضى لم يدخله رضاءه في الباطل واذا قدر عرف وكف

ضرب رجل سلم بن نوفل سيد بني كنانة بسيفه فاخذ قاتلي به اليه فقال له ما الذي فعلت اما خشيت انتقام من قال فلم عودناك إلا أن تكظم القيتظ وتعفو عن الجاني وتعلم على الجاهل وتحمل المكروه في النفس والمال فغلى سبيله

قال المؤمن اني لأجد لعقوى لذة أعظم من لذة الانتقام وأعلم انه اذا عاقب الملك أو أهان على ظن بغيره ين ادخل على نفسه من قبح الخطأ في الرأي أعظم مما أدخل على صاحبه من العقوبة

﴿ ورقة بن نوفل ﴾

هو أحسن اعتزل الأوثان في الجاهلية وطلب الدين وقرأ الكتب ومن شعره
لقد نصحت لأقوام وقلت لهم أنا النذير فلا يفرركم أحد
لأنعبدون إلها غير خالقكم فان دعوكم فقالوا ليتنا جدد
سبحان ذي العرش سبحان نعوذ به وقبل قد سمع الجودي والجد
مسخر كل ما تحت السماء له لا ينبغي أن يناوى ملكه أحد
لا شيء مما نرى تبقى بشاشته يبقى الإله وبودي المال والولد
لم نغن عن هرمز يوما خزائنه والخلد قد حاولت عاقدا فخلدوا

﴿ ومن كلامهم في الحكم الأخلاقية ﴾

المنفعة توجب المحبة - والمضرة توجب البغضة - والخالفة توجب العداوة -
والم تابعة توجب الالفة - والصديق توجب الثقة - والأمانة توجب الطمأنينة - والعادل
يوجب اجتماع القلوب - والجور يوجب الفرقة - وحسن الخلق يوجب المودة - وسوء
الخلق يوجب المباعدة - والانبساط يوجب المؤانسة - والانتقاص يوجب الوحشة -
والكبر يوجب القت - والتواضع يوجب المقة - والجود يوجب الحمد - والبخل
يوجب المذمة - والتواني يوجب التضييع - والجديد يوجب رداء الأعمال - والهو يني
توجب الحسرة - والحزم يوجب السرور - والتفرير يوجب الندامة - والخلد

يوجب القدر - واصابة التدبير توجب بقاء النعمة - وبالتالي تسهل المطالب - وبسعة خلق المرء يطيب عينه - والاستهانة توجب التبعاد - وبصلاح الأخلاق تزكو الأعمال - وبالرفق والتؤدة تستحق الكرم - واعلم أن السياسة تكسوا أهلها الحجة - والفظافة تخلع عن صاحبها ثوب القبول - ومن صغرا الهمة الحسد للصديق على النعمة - والنظرفى العواقب نجاة - ومن لم يحلم ندم - ومن صبر غم - ومن سكت سلم - ومن خاف حذر - ومن اعتبر بصر - ومن أبصر فهم - ومن فهم علم - ومن أضاع هواه ضل - ومع العجلة الندامة - وفى التأني السلامة - اذا جهلت فاسأل - واذا زلت فارجع - واذا أعطيت فاجزل - المروآت كلها تتبع العقل - الرأى تبع التجربة - العقل أصله الثبوت وثمرته السلامة - والتوفيق أصله العقل وثمرته التجاح - المعروف كثر - والجهل سفه - والأيام دول - والدر غير - والمرء منسوب الى فعله - وما خوذ بعمله - اكروا المجلس بغير نادىكم - انصفوا من نفوسكم يوثق بكم - إياكم والأخلاق الدينية فانها تنضيع الشرف وتهدم المجد - من فسدت بطائنه كان كمن غص بلماء - أفضل من السؤال ركوب الأحوال - العديم من احتاج الى لثيم - من لم يعتد فقد خسر - ما كل عثرة تقال - ولا كل فرصة تسال - لا وفاق لمن ليس عنده حياء - عليك بالجمالة لمن لا تدوم له مواصلة - أفضل الفعال صيانة العرض بالمال - اذا أردت طرد الحرف فمهالهوان - الرياء يفسد العلانية - صاحب المعروف لا يقع فان وقع وجدستكأ - العضب على من لا تملك بحجز - وعلى من تملك أقوم - وأجعت حكمة العرب والعجم على أربع كلمات - لا تحمل بطنك ما لا تطيق - ولا تمنع عملا لا ينفعك - ولا تغتر بامرأه - ولا تشق مال وان كثر - من أمن الزمن خانه - ومن تعذر عليه هاته - كما يجب أن تكون المرأة أضوا من الناظر فيها فكذلك يجب أن يكون المؤدب أفضل ممن يؤدب - من كانت الدنيا سبب صلته فانها سبب قطيعته فاخذ أن تجعل واسطة بين أحد - اذا أردت أن تطاع فسل ما يسقطاع - ان يكن الشغل مجده فالفرغ ففسده - بعض القتل احياء للجميع - ان كنت كدوبا فكند كورا - اذا طمت من دونك فلا تأمن عذاب من فوقك - رب ضحك أقضى الى ساحة وتعب الى راحة - رب مستعجل لأذية ومستقيل لمنية - سوء الخلق بعدى - طول التجارب زيادة فى العقل - فى سعة الأخلاق كنوز الأرزاق - كل آت قريب - العبادة ثمت الشهوة - عدو عاقل خير من صديق جاهل - سلطان بلاع لذل كبر بلاما - لا تطمع فى كل ما تسمع - ما أشبه اليلة بالبارحة - من محضك مودته فقد خولك مهجته -

من طلب شيا وجد وجود - الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك - من استحسن قبحا فقد
عمله - من أنفنى مرة كثر المآثر مروى عليه - من أعجب برأيه ضن - من سابق الدهر
عثر - من غلب هو ادعى عقله هلك
ولهم من الأشعار فى الحكم مالا يمكن حصره نأتى على بعض منه اتماما للفائدة
وعظة للقارىء

﴿ عبد القيس بن خفاجة البرجمي ﴾

أبى أن أباك كارب يومه	فاذا دعيت الى المكارم فاعجل
أوصيك ايضاء امرى لك ناصح	طبن بريب الدهر غير مغفل
الله فاتقه وأوفى بئذره	واذا حلفت مमारيا فاحل
والضيف أكرمه فان مبيته	حق ولا تك لعنة للزحل
واعلم بأن الضيف مخبر أهله	بميت ليلته وان لم يسأل
ودع القوارص للصدى وغيره	كيلا يروك من اللثام العذل
وصل المواصل ماصفا لك وده	واجنذ جبال الخائن المتبدل
واحذر محل السوء لاحتل به	واذا نبا بك منزل قصور
واستأن نظفر فى أمورك كلها	واذا عزم على الهدى فتوكل
واستغن ما أغناك ربك بالغنى	واذا تصبك خصاصة فتصل
واذا افتقرت فلا تكن متخفعا	ترجوا الفواضل عند غير المفضل
واذا تشاجر فى فؤادك مرة	أمر ان فاعمد للأغف الأجل
واذا هممت بأمر سوء فاتند	واذا هممت بأمر خير فاعجل

﴿ عبدة بن أبى الطيب ﴾

ابنى انى قد كبرت ورابنى	بصرى وفى لمنظر مسقنع
أوصيك بتقى الاله فاه	يعطى الرغائب من يشاء ويمنع
ويبر والدكم وطاعة أمره	ان الابن البنين الاطوع
ان الكبير اذا عصاه أهله	ضاقت يده بأمره ما يصنع
ودعوا الضغائن لا تكن من شأنكم	ان الضغائن للقرابة توضع
يزجى عقابه ليعث بينكم	حربا كما بعث المروق الاخضع

ان الذين تزوهم اخوانكم
واذا مضيت الى سبلي فابعثوا
ان الحوادث تختار من وانما
يسمى ويجمع جاهدا مستهترا
يشفي لغيل صدورهم أن يصرعوا
رجل الله قلب حديد أصمع
عمر الفتى في أهله مستودع
جدا وليس بأكل ما يجمع

﴿عبيد بن الأبرص الاسدي﴾

ولم أبتنى ود امرىء قل خبره
واني لأطفي الحرب بعد شيوها
واني لنور رأى يعاش بفضلها
اذا أنت حلت الخوون أمانة
وجدت خوون القوم كالغريتي
ولا تظهرن ود امرىء قبل خبره
ولا تتبعن الرأي منه تقصه
ولا زهدين في وصل أهل قرابة
وان أنت في محمد أصبت غنية
تزود من الدنيا متاعا هانه
تمنى امرىء القيس موتى وان أمت
لعل الذي يرجو ردائى وميتى
فأعيش من ربحى خلا فى بضائرى
وللرء أيام قص وقد دعت
فمن لم يت فى اليوم لابد أنه
فقل للذى يبنى خلا فى الذى مضى

﴿حسام الدين الواعظ﴾

من ضيع الحزم من أفعاله ندما
ما المرء الا الذى طابت فضائله
والعلم أنفس شئ أنت ذاخره
تعلم العلم واجلس فى مجالسه
وظل مكتنبا والقلب قد سقما
والدين زين بزين العاقل الفهما
فلا تكن جاهلا تستورت الندما
ماخاب قط لييب جالس العلما

والوالدين فأكرم تبع من ضرر ولا تسكن نكرا تستوجب النكاح
ولازم الصمت لا تنطق بفاحشة وأكرم الجار لا تهتك له حرما
واحذر من المرح كم في المرح من خطر كم من صديقين بعد المرح فاختصما
وصبر النفس وارسلها اذا جهلت وان حضرت طعاما لا تسكن نهما
أسمى اللبث اذا ما كنت مقتدرا على الزمان وكن للخير مقتسما
وصن نفسك عن لهو وعن مرح وان حضرت مقاما كنت فيه ساما
❖ ولبعضهم ❖

اذا شئت ان تزداد قدرا ورفعة فلن وتواضع واثرك الكبير والعجب
❖ وكتب الامام علي رضي الله عنه ينصح ابنه الحسن ❖
يا بني اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك - فأحب لغيرك ما تحب لنفسك -
واكره له ما تكره لها - ولا تظلم كالا تحب أن تظلم - وأحسن كما تحب أن يحسن اليك -
واستعج من نفسك ما تستعجج من غيرك - وأرض من الناس ما رضاه لهم من نفسك - ولا
تقل ما لا تعلم وقل ما تعلم ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك - ولا تسكن عبد غيرك وقد جعلك
الله حرا - واعلم ان حفظ ما في يديك أحب الي من طلب ما في يد غيرك - ولأن كل من
طعام ليس فيه حق فبئس الطعام الحرام - وجد في الحصول على معاشك وايلك والاتكال
على المني فانها بضائع الموتى

❖ وصاياه لأولاده ❖

يا بني عاشروا الناس ان غبتهم حنوا اليكم وان فقدتم بكوا عليكم يا بني ان القلوب
جنود مجنونة تتلاحظ بالمودّة وتتناجى بها وكذلك هي البغض فاذا أحببت الرجل من غير
خير سبق منه اليكم فارجوه واذا أبغضتم الرجل من غير سوء سبق منه اليكم فاخذروه
❖ ومن حكمه رضي الله عنه ❖
الآداب حلل مجددة والفكر مرآة صافية - اذا أقبلت الدنيا على أحد أعارتها محاسن
غيره واذا أدبرت عنه سلبت محاسن نفسه



الفصل السادس

في

﴿ خطباء العرب وطرفا من خطبهم ﴾

اشتهر العرب بالخطابة في الجاهلية والاسلام وقد ادعوا خطبهم كثير من الفصاحة والبلاغة والمواظ وكانوا لا يخطبون إلا على أرحاب أو لاستلفات نظر أو لتبنيه فكر واليك طرفا من خطبهم بعد خطبة خير المخلوق خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم الذي افتتحناها هذا الباب تعيناه وتفضيلا له وتعظيما لقدمه وهي

أيها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم - وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم - ان المؤمن بين مخافتين - بين عاجل قدمضى لا يدري ما الله صانع به - وبين آجل قدبقى لا يدري ما الله قاض به - فليأخذ السعيد من نفسه لنفسه - ومن دنياه لآخرته - ومن الشيبه قبل الكبر - ومن الحياة قبل الموت - فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعجب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار

﴿ وقال صلى الله عليه وسلم ﴾

أوصاني ربي بنسع أوصيك بها - أوصاني بالاخلاص في المر والعلانية - والعدل في الرضا والغضب - والقصد في الغنى والفقر - وأن أعفو عن ظلمي - وأعطى من حرمي وأصل من قطعني - وأن يكون صحتي فسكرا - ونطقي ذكرا - ونظري عبدا

﴿ وله صلى الله عليه وسلم ﴾

نهيتكم عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال فلا تقعدوا على ظهور الطريق ان أيتم فعضوا الأبصار وأفسدوا السلام وأهدوا الضال وأعينوا الضعيف

فمن خطباء العرب المشهورين قس بن ساعدة الايادي فهو أشهر الخطباء ذكرنا وأرفعهم قدرا ولم يكن على دين من الأديان المشهورة وكان ممن كانوا على التوحيد من العرب وكفى له بذلك فخرا ولقومه على مدى الأيام حيث يقول صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا اتي لأرجو يوم القيامة أن يبعث أمه متوحده - وهو أول من علا على شرف وخطب وأول من قال في كلامه أما بعد ومن خطبة الخطبة الآتية

أيها الناس اسمعوا وعوا - من عاش مات - ومن مات فات - وكل ما هو آت آت -
ليل داج - وساء ذات أبراج - بحار تنثر - ونجوم تهر - وضوء وظلام - وروا نام
ومطم ومشرب - وملبس ومركب - مالى أرى الناس ينجون ولا يرجعون - ارضوا
بالمقام فأقاموا - أم تركوا فناموا - وإله قس بن ساعدة ما على وجه الأرض دين - أفضل
من دين قداً ظلكم زمانه - وأدرككم أوانه - فطوبى لمن أدركه فاتبعه - وويل لمن
خالقه - ثم أنشأ يقول

في الذاهبين الأولي من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد اللوت ليس لها مصادر
ورأيت قوى نحوها تنضي الأكار والأصاغر
لا يرجع الماضي إلى ولا من الباقي غابر
أيقنت أنى لا محالة حيث صار القوم صائر

﴿ ومنهم كعب بن لؤى جد النبي صلى الله عليه وسلم ومن خطبه ﴾

اسمعوا وعوا - وتعلموا نفعوا - وتفهموا تفهموا - ليل ساج - ونهار صاج -
والأرض مهاد - والجلال أوتاد - والأولون كالآخرين - كل ذلك إلى البلاء - فصلوا
أرحامكم - واصلحوا أموالكم - فهل رأيتم من هلك رجح - أومينا نشر - الدار
أما مكم - والظن خلاف ما يقولون - زينوا حرككم وعظموه - ونسكوا به ولا تفارقوه
فسيأتي له نبأ عظيم - وسيخرج منه نبي كريم - ثم قال

نهار وليل واختلاف حوادث سواء علينا حاوها ومررها
يؤبان بالأحداث حتى تأوبا وبالنعم الضافي علينا ستورها
صروف وأنباء تغلب أهلها لها عقد ما يستحيل مديرها
على غفلة يأتي النى محمد فيخبر أخبارا صدوقا خيرها

ومنهم سحبان وائل الباهلي قد أدرك الإسلام وأسلم قال الأصمعي انه اذا خطب يسيل
عرقا ولا يبعد كفة ولا يتوقف ولا يقصد حتى يفرغ وقدم على معاوية وقدم من خراسان فبهس
سعيد بن عثمان فطلب سحبان فأقنى به فقال تكلم فقال انظروا الى عصا تقوم من أودى فقالوا
وما صنع بها وأنت محضرة أمير المؤمنين قال ما كان يصنع هاموسى وهو يخاطب ربه
وعصاه في يده فضحك معاوية وأمر له بهصا فأخذها ثم قام وخطب من صلاة الظهر الى وقت

العصر وما تمنع ولا سعل ولا توقف ولا ابتداء في معنى نخرج منه وقد بقي عليه شيء فآزر الله تلك حالته حتى أشار معاوية بيده فأشار إليه سبحانه وأل أن لا تقطع على كلامي فقال معاوية الصلاة فقال هي إمامك ونحن في صلاة وتحميد وعباد وعبد فقال معاوية أنت أخطب العرب فقال سبحانه والعجم والأنس والجن

ومنهم خالد بن عبد الله أمير البصرة - أيها الناس نأفوا في المكارم وسارعوا إلى المغاتم واشتروا الجذب الجود ولا تكسبوا بالمطل ذمًا ولا تعتدوا بالمعروف ما لم تعجلوه ومهما يكن لأحد منكم عند أحد نعمة فلم يبلغ شكرها فإله أحسن لها جزاء وأجل عليها عطاء واعلموا أن حوائج الناس إليكم نعمة من الله عليكم فلا تأتوا النعم فتعزلوها عنها واعلموا أن أفضل المال ما كسب أجرًا ورث ذكر أولو رأيتم المعروف رجلا رأيتموه حسنًا جليلًا سريًا ناظرين ولو رأيتم الفضل رجلا رأيتموه مشوشًا فاحببها تنفر عنه القلوب وتغض عنه الأبصار

أيها الناس أجدوا الناس من أعطى من لا يرجوه وأعظم الناس عفوا من عفاه من قدرة وأوصل الناس من وصل من قطعه ومن لم يطب حظه لم يزل ينشأ والأصول عن مغارساتهم وبأصولها تسموا أقول قولني هذا وأستغفر الله ولكم

ومن خطب النبي صلى الله عليه وسلم - أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا فكتب وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب - وكأن الذي تشيع من الأموات سفر عما قبل الدنيا راجعون نبوتهم أجدا ثم ونأكل من ترانهم كأننا مخلدون بعدهم ونسينا كل واعظة وأمنا كل طامحة طوي لمن شفه له عيبه عن عيوب الناس طوي لمن أنفق مالا اكتسبه من غير معصية وجالس أهل الفقه والحكمة وخالف أهل الذل والمسكنة طوي لمن ذلت وحسنت خلقته وطابت سريرته وعزل عن الناس شره طوي لمن أنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله وسعته السنة ولم يمتصه البدعة

وخطب أبو بكر بن عبد الله أمير المدينة المنورة النبوة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والحق والكرام وقد بلغه عن قوم من أهل المدينة أنهم ينالون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسعهم آخرون على ذلك

أيها الناس إنني قائل قولاً من وعاده وأداءه فعلى الله جراءة ومن لم ينع فلا يمدن ذمها إن قصرتم عن نصيبه فلن تعجزوا عن تحصيله فارعوه بأبصاركم وأوعوه بأسماعكم وأشعروهم قلوبكم فالوعظة حياة والمؤمنون أخوة وعلى الله قصد السبيل ولوشاء

لهذا كم أجمعين فأتوا الهدى تهتدوا واجتنبوا الفى ترشدوا وأنيسوا الى الله جميعا أيها
المؤمنون لعلكم تتقون والله جل جلاله وتقدست أسماؤه أمركم بالجماعة ورضيها
لكم ونهاكم عن الفرقة وسخطها منكم فاتقوا الله حق تقاته ولا تعون إلى أولئك مسلمون
واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين
قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها جعلنا الله
وأيامكم بمن يتبع رضوانه ويجتنب سخطه فان اتحن به وله وإن الله بعث محمدًا صلى الله
عليه وسلم بالدين واختاره على العالمين واختاره أصحابه على الحق وزرء دون الخلق
اختصهم به وانتخبهم له فصدقوه ونصروه وعززوه ووقروه فلم يقدموا إلا بأمره
ولم يحجموا إلا عن رأيهم وكنوا أعوانا بهمه وخلفاء من بعده فوصفهم فأحسن وصفهم
وذكرهم فأثنى عليهم فقال وقوله الحق محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على
الكفار الى قوله مغفرة وأجر عظيم فمن غاظوه كفر وطأوه فخر وخسر وقال الله
عز وجل للفقراء والمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يتبعون فضلا من الله
ورضوانا الى قوله ربنا إنك رؤوف رحيم فمن خالف شريعة الله عليه لم وأمره إياه فيهم
فلاحق له فى الفى ولاسهب له فى الاسلام فى آى كثير من القرآن فرق ما فرق بين الدين
وفارقوا المسلمين وجعلوهم عسدين وحزبوا أحزابا أشابت وأوشانا فخالقوا كتاب
الله فيهم فخابوا وخسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين أفن كان على بينة من
ربه كن زينا له سوء عمله واتبعوا أهواءهم متى أرى عيويا خزرا ورقبا صعر
ويطونا بجري شجى لا يسيغه الماء وداء لا يشرب فيه بدواء أو ضرب عنك الذكر
صفحا اذ كنتم قوم مسرفين كلا والله بل هو الهناء والطلاء حتى يظهر العذر ويبوح
السر ويتضح العيب ويشوش الحبيب هاتكم لم تخفوا عينا ولم تتركوا سدى ويحكم
انى لست أنا وليا سلم ولا بدوا فيهم فحدثتكم أنظرا وقلبتكم أبطنا وأطهرا فعرفت
أحباءكم وأهواءكم وعشت أن قومًا أظهروا الاسلام بالسنتهم وأسرؤا الكفر فى قلوبهم
فصر بوا بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض وودوا زوايا فيهم وضربوا
الامثال ووجدوا على ذلك من أهل الجهل من أبناءهم أعوانا يأتون لهم ويضعون اليهم
مهلا مهلا قبل وقوع الفوارع وطول الروائع هذا لهذا ومع هذا فست أعيش أسيا ولا
نأيا عفا الله عا سلف ومن عاد فينتقم الله منه ولله عز ودد انتقام فأسر وأخيرا
وأظهره وأجهروا به وأخلصوه وطالما شئتم القهقرى ناكسين وليعلمن أدبر وأصر

أهمام وعظما بين يدي نعمة ولست ادعوك الى هوى يتبع ولا الى رأى يتدع انما ادعوك الى الطريقة المثلى التى فيها خير الآخرة والأولى فمن أجاب فالى رشده ومن عصى فمن قصده فلم الى الشرائع الجذائع ولا تولوا عن سبيل المؤمنين ولا تبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير بس للظالمين بدلا اياكم وبينات الطريق فعندها التزنيق والترهيق وعليكم بالجادة فبى أسد وأورد ودعوا الامانى فقد أدت من كان قبلكم وأن ليس للانسان الا ما سعى والله الآخرة والأولى ولا تفتروا على الله الكذب فيسكتكم بعذابه وقد خاب من افترى ربنا لا ترغ قلوبنا بعد اذهمتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب

ومن خطب الحسن بن على رضى الله عنه . - اعلما أن الحلم زين والوقار مودة والمصلحة نعمة والاكبار حلف والمجلة تسفه والسفه ضعف والقلق ورطة ومجالسة أهل الدنيا شين ومخالطة أهل القسوة رية

ومنهم من يدين المهلب فانه كان أبلغ الخطباء والفصحاء فمن ذلك ما وصى به ابنه حين استخلفه على جرجان وهو قوله يا بني انى قد استخلفتك على هذه البلاد فانظر هذا الحي من اليمين فكن لهم كما قال الشاعر

إذا كنت من نادى الرجال لنفعهم فرش واصطنع عند الذين بهم ترمى
وانظر هذا الحي من ربيعة فانهم شيعتك وأنصارك فاقض حقوقهم وانظر هذا الحي من
تميم فأطمرهم ولا تزد لهم ولا تدنهم فيطمعوا ولا تقصمهم فيقطعوا وانظر هذا الحي من قيس
فانهم أكفاء قومك فى الجاهلية وما صافوهم المنايا فى الاسلام ورضاهم منك البشر
يا بني ان لأبيك صنائع فلا تنفد ما فانه كفى بالمرء نقما أن يهدم ما بنى أبوه وإياك والدعاء
فانه لا تقمة معها وإياك وشتم الأعراض فان الحر لا يرضيه عن عرضه عوض وإياك وضرب
الابشار فانه عار باق وتر مطلوب واستعمل على التجدة والفضل دون الهوى ولا تعزل عن
هجز أخيانك ولا يمتنعك من اصطناع الرجل أن يكون غيرك فقسبك اليه فانك انما تصطع
الرجال لفصلها وليكن ضيفك عندهم بكافيك عنه العشائر اجعل الناس على حسن أدبك
يكفوك أنفسهم وادا كتبت كتابا فاكثرا لنظريه وليكن رسولك فيما بيني وبينك من
يفقه عنى وعنك فان كتاب الرجل موضع عقله ورسوله موضع سره وأستودعك الله
فلا بد للودع أن يسكت وللشيع أن يرجع وما عمن المنطق وأقل من الخطيئة أحب
الى أبيك

وخطب عبد الملك لما دخل الكوفة بعد أن قتل مصعبا ابن الزبير فقال

أيها الناس ان الحرب صعبة مرة وأن السم آمن ومسرة وقد زينتنا الحرب وزيناها
فمر فناها وألفناها قصن بنوها وهي أمنا

أيها الناس فاستقيوا على سبيل الهدى ودعوا الاهواء المردية وتجنبوا فراق
جماعة المسلمين ولا تكفونا أعمال المهاجرين الأولين وأنتم لا تعلمون أعمالكم ولا أظنكم
تزدادون بعد الموعظة الاثرا ولن تزداد بعد الاغذار اليكم والحجة عليكم الاعقوبة
فن شاء منكم أن يعود لثلاثها فليعد وانما مثلي ومثلكم كما قال قيس بن رفاعه

أنا النذير لكم مني محاضرة كي لا ألام على نهي ولا انذار
فان عصيتم فإني اليوم فاعترفوا ان سوف تلقون خزيًا باظهر العار
لترجعن أحاديثا ملفقة عند المقيم وعند المبلغ الساري
من كان في نفسه حوجاء يطلبها عندي فإني له رهن بأبحاري
أقيم عوجيه ان كان ذا عوج كما يقوم قدح النبعة الباري
وصاحب الوتر عندي ليس مدركه عندي واني لدراك لأوتار

ومنه ابن زيد الجبري وزهير وأكرم بن صيف النعمي وغيرهم كثير ونوادرهم
عبد العزيز وسليمان بن عبد الملك من خلفاء بني أمية وأبي جعفر المنصور وهارون الرشيد
وابنه المأمون من خلفاء بني العباس وغيرهم من خلفاء الدولتين وأمرهم خطباء فائقة
وبلاغات معجزة رائقة يضيق هذا الكتاب عن إيرادها وقد أوردنا من ذلك ما فيه كفاية
للبيب ومقتنع للاديب ومن أراد التوسع في ذلك فليطبع بمراجعة نهج البلاغة للإمام علي كرم
الله وجهه وكتاب الأعلام عن الحروب الواقعة في صدر الاسلام للسياسي وكتاب الامامة
والسياسة لابن قتيبة وتاريخ الطبري وكسب السير

وكانت نسائهم لاتقل عن الرجال في العلم والمعرفة والفقه والادب شيئا ولذكروا بعضا
من نوادرهن وطرف من ملحقهن انما الفائدة وانظارا لفضلهن على غيرهن من أبناء
جنسهن

الفصل السابع

في

﴿ أخلاق نساء العرب وآدابهن وفصاحتهن ﴾

كانت النسوة العربيات في الجاهلية والاسلام يعادلن رجالهن في الفصاحة والكرم والشجاعة ولهن من الحر بما ليس لغيرهن من أبناء جنسهن وعلى عكس ما نظنه أهالي أوروبا ممن انهن اسيرات لآل زواجهن مستعبدات لهم

لعبت نساء العرب دورا مهما في كلا العصرين فقد كن رافقن الرجال في ساحة القتال ويعملن الجرحى ويداوين المرضى ويشجعن الرجال على اتمام الخطوب وخوض بحار المنايا والجولان في ميادين الحروب - فقد حكى عن الخنساء بنت عمر والسبية انها حضرت حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال فقالت لهم من أول الليل يا بني والله الذي لا إله غيره انكم لبنوار رجل واحد انكم بنوا امرأه واحدة ما خنت أبأكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت حسبكم ولا غيبت نسبكم وأنتم تعلمون قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون - فادأ أصبحت ان شاء الله تعالى فأغمدوا الى قتال عدوكم مستبصرين والله على أعدائكم مستنصرين فاذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها وأضمرت لظي على سياقتها فتميموا وطيسها وجالدوا ريسها عند اخترام خيسها تطفر وبالعنى والكرامة في دار الخلد والمقامة فمأأضاء لهم الصبح باكروا امرأ كزهم وشنوا الأغاراة وقتلوا حتى استشهدوا جميعا فبلغها الخبر فقالت الحمد لله الذي شرفى بقلمهم وأرجوا من ربى أن يجمعني بهم في مستقر رحته فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعطى لها أرزاق وأولادها الاربعة لكل واحد منهم ما يتادهم

بلغت النساء في العصور الماضية من الرقي في الآداب والاخلاق والعلوم والمعارف ما يجعلنا نعرف بانحطاط المرأة في هذه الزمن فقد كانت المرأة العربية تعرف ما يعرفه الرجل من العلوم كالطب والجراحة والحديث والفقه واذ كثر لك على سبيل العلم بعض أسماء النساء اللواتي جاءت أخبارهم في صحف التاريخ تنبها للعالم وتذكيرا للعالم وردا على من قال بعدم وجوب تعليم المرأة للمقارنة بينها في الزمن الحاضر وبين أختها في الزمن

العارف كان في أزواجه صلى الله عليه وسلم من يكتب ويقرأ كحفصة بنت عمر وعائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهن وغيرهم من نساء كل زمان ومكان فتعليم البنات والصبيان مع بعضهما في حال الصغر القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك مما يزيدهن أدبا وعقلا ويجعلهن بالمعارف أهلا ويصلحن به لمشاركة الرجال في الكلام والرأى فيعظمن في قلوبهم ويعظم مقامهن لزوال ما فيهن من سخافة العقل والبطش فبالامراء فيه ان حصول النساء على ملكة القراءة والكتابة وعلى التخلق بالاخلاق الحميدة والاطلاع على المعارف المفيدة هو أجل صفات الجمال فالادب للراة يعني عن الجمال ولكن الجمال لا يعني عن الأدب لانه عرض زائل فأدب المرأة ومعارفها تؤثر في أخلاق أولادها وقد قضت التجربة في كثير من الأزمان ان نفع تعليم البنات أكثر من ضرره بل لا ضرر فيه كان في النساء من يعلم القراءة والكتابة في الزمن الاول للنساء وللرجال أيضا كمنية الكتانية جارية خلافة أم ولد للمعتد فانها كانت عالمة تفتي في الفقه وأم سلمة فاطمة بنت أبي بكر بن عبد الله وخديجة بنت أبي بكر محمد أحمد أبي الثلج فانهارون عن أيها وكتب عنها محمد بن جعفر كتاب الجمل وأم الواحد كانت عالمة فاضلة من أحفظ الناس للفقه على مذهب الشافعي وحفظت القرآن وغير ذلك من العلوم وكانت فاضلة في نفسها وحدثت بالحديث وكتب عنها وتوفيت في شهر رمضان سنة ٣٠٧ وزييدة زوجة هارون الرشيد فانها كانت عالمة وقد حدث عنها أجل بن حنبل كما حدثت عن أم عمر وبنيت حسان ابن زييد الثقفي وكريمة بنت محمد بن حاتم المرزوية جاورت بمكة المكرمة وروت صحيح البخاري عن الكشميين وروايتها أصح من روايات البخاري وروت عن زاهر السرخسي وكانت تضبط كتابها وتقابل بنسخها وهي في الفهم والنباهة وحيدة الذهن بحيث ترحل إليها أفاضل العلماء وتوفيت عام أربع مائة وثلاثة وستين وبلغ عمرها مائة سنة ولم تنزوج قط

تقية بنت أبي الفرج ذكرها الحافظ السلفي في تعليقه وأثنى عليها وتقت العلم عنه بغفر الاسكندرية وفاقت الرجال فيه ولها زيادة على ذلك الباع الأطول في الشعر والأدب ومن لطائف أدبها مع الحافظ المذكور انه كان ما را بمنزله فعثر فجرح باطن قدمه فقطعت جارية من الدار قطعة من خمارها وعصبت قدمه بها فأثنت تقول

لوجدت السبيل جئت بخدي عوصا عن خمارك الوليد
كيف لي ان أقبل اليوم رجلا سلكت دهرها الطريق اخيد

ومن غرائبها في الأدب أنها مدحت الملك المظفر ابن أخي السلطان صلاح الدين بقصيدة خرية فقال بمازحاً أعرف الشيخة هذه الاحوال من صباها فبلغها ذلك فنظمت قصيدة أخرى حربية وصفت فيها الحرب وما يتعلق بها أحسن وصف وبعثتها إليه وقالت علمي بهذا كعلمي بذلك

زينب بنت أبي القاسم - كانت فاضلة عالمة أدركت جماعة من أعيان العلماء وأخذت عنهم وأجازها العلامة أبو القاسم محمود بن عمر الزخشري مؤلف الكشاف ومن أجازتهم من أكابر العلماء المؤرخ شهاب الدين قاضي القضاة ابن خلكان صاحب التاريخ المشهور عائشة بنت محمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد قدامة المقدسي الصاحبة الحنبلية سيدة المحدثين بدمشق سمعت هجج البصري على حافظ العصر المعروف بالخجار وروى عنها الحافظ ابن حجر وقرأ عليها كتاباً عديدة وانفردت في آخر عمرها بعلوم الحديث وكانت سهلة في تعليم العلوم لينة الجانب للتعليم توفيت بدمشق سنة ٨١٦ ودفنت بالصاحبة

فكان يبع فيها علمات نبغ منهن ملكات تولين الملك وسمن به السرايا الجليل حتى فُضلت مدة حكمهن على غيرهن من الرجال فمن أشهرهن بذلك الملكة ضيفة خاتون صاحبة حلب والدة الملك العزيز و بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب ملكت حلب بعد وفاة ابنها الملك العزيز ونصرفت في الملك تصرف السلاطين وقامت به أحسن قيام وكانت مدة حكمها ستة سنوات والصاحبة غازية بنت السلطان الملك العادل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب والدة الملك المنصور صاحبة حجة كانت من أحسن النساء سيرة وزهداً وعبادة وحفظت الملك ولدها المنصور حتى كبر وسلمته إليه

والزباء وهي نائلة بنت عمرو طاهها عادت ملوك العرب في شدة البأس وشن الغارة ملكت بعد أبيها على الجزيرة وأعالي القفرات ومشارك الشام و بنت على القرات مدينتين متقابلتين وقتلت جذيمة الأرض بشاراً بها

بلغت نساء العرب في زمانهن ما لا يبلغه غيرهن ممن يأتون بعدهن إلا إذا ساروا على سننهن واتبعوا طريقهن ونحوها بالحياء والأدب والعفة التي بلغت منهاها عندهن فمن أشهرهن بالعفة والآداب

الحرة بنت النعمان بن المنذر - بعقلها وذكائها وما فيها من الحياء والعفة رق لها قلب خصصها ما كان في حقها بتكبر ولا متعبر ويبان ذلك أنه لما فتح سعد بن أبي وقاص

القادسية قيل ان الحرقه بنت النعمان بن المنذر حضرت ومعاها جاريتان لها في مثل زيهما فلما
وقفن بين يديه قال أيتكن الحرقه بنت النعمان قالت أنا قال أنت قالت نعم كأن الدنيا لا تدوم
على حال فانها سريرة الانتقال تنتقل بأهلها انتقالا وتعتقبهم بعد حال حالاً انما كنا ملوكاً هنا
المصر يجيى بنا بخرابه حتى نشتت الأمر وصاح بنا الدهر فشق عصانا وشتت ملاننا
وكذلك الدهر يعثر بالأحرار ويكب على ذوي الأخطار فقال لها سعيد خبريني عن حالكم
كيف كان قالت أطبل أم أقصر فقال أقصرى فقالت أمسينا وليس أحد من العرب إلا
وهو يرغب النينا أو يرغب منا أو أصبنا وليس أحد من العرب إلا ونمحن زغب اليه أو نرهب
منه ثم أنشأت تقول

فينا نسوس الناس والأمر أمرنا إذ نحن فيه سوقة نتعفف

فأق لدينا لا يدوم نعيمها تقلب تاراً بنا وتصرف

فأحسن سعد كلامها وأكثر إكرامها فلما أرادت الانصراف قال لها سلى حاجتك
قالت خرابة أعمرها وأعيش بانتفاعها فقال لها طلبوا في الولاية خراباً فطلبوا فلم يجدوا
فقال لها سعيد لم تجد في الولاية خرابة فاختاري معمورة فقالت الحمد لله على أياديه حيث وفق
أبائي للعسل حتى عمروا الدنيا بعد لهم وسلموها إلى غيرهم معمورة فاجتهد أيها الأمير في
تسلمها إلى غيرك أن تكون عامرة كما أخذتها وتسحق رحمة الخالق ومحمد الخلق وإيالك
أن تسمى في خراب وأما أنا فبعد اليوم لأرجو سرورا ولا تمتدعيني إلى زهرة الدنيا ثم دعت
له فقالت لا جعل الله لك إلى لثيم حاجة ولا زالت لكريم عذبة لك حاجة مقضية أبداً وشكرت
يداً ففقرت بعد غنى ولا نابتك يد استغنت بعد فقر ولا أزال الله عن قوم كرام نعمة إلا وجعلت
سبيلها

﴿ ليلى بنت لكيز جاهلية ﴾

قد بلغت منها العفة مبلغاً عظيماً فقد سببت إلى بلاد النعم والنعيم واستعملوا معها كل قساوة
بربرية للوصول إلى قضاء وطهرهم منها فكانت تمتنع عن إجابة طلبهم حتى أنهم يتحايلوا عليها
كثيراً وأظهروا لها من نفائس المجوهرات والملبوس ما يجعل النفس تميل إليه فكانت
تزداد تمسكاً بعفتها حتى أن ربيع الإيادي قال لزوجه عندما خاطبته في شأنها إن لم تفعل
مأنومر بمن الملك لأعذبها عذاباً شديداً ثم قام إليها وعدها ويهددها ورغبها في الملك
ويشوقها إلى نعيمه وزخرفه فادافلت مأنومر به فمأ كثر عليها أنشأت تقول

يا صاحب القصر لاهيت من رجل لقد غممت بما تقتال بالغيـل

اصبرم تجزى الذى سلفت فى عجل بما فعلت بلا ريب ولا مهل
من مخبرى لى برآقا واخونه أسد العربى أولى الغارات بالأسل
صنع الأيادى شر الناس كلهم هيهات برآق عنى اليوم فى شغل
لا تحتلوا لى لكبرا يابنى أسد واستغضبوا مضرا يأتون فى عجل
فما فرغت قال هاستكونين أنت حاكم على الممالك والمتصرفين هولك وعليك
وأنشدته أيبانا جاء فى آخرها

وأنا النسبية والعفيفة فاعلمن يابن الدنية يابن كل أنان
فانفرد بردين طريق من آخر شعرها وقال لها ويحك أبرد بن طريق ابن أنان أليس أباد
وربيعة اخوانه قالت لا كذبت يابن الفارسية ما أنت لا بآد ولو كنت لا بآد مارضيت فى
ربيعه هذا الفعل ولكن شبر نيم فازداد غيظا وأمرها فقيدت وغلت وضربت ضربا
شديدا فسلت المزوجة فيها فلم يسفعاها فأقبلت عليها وقالت بأختاه قد بلغت فى عرضك عندي
فاقبل نصيحتي فليس هذا أو ان عفة فان ذلك لو كنت فى رجالك وفى عسرتك فمالت القتل
والعذاب أهون على مما يطلبه منى ثم بكت وأنشأت تقول

ليت البراقى عينا فترى ما أظنى من عناء وبلاء
يا كلبيا يا عقيل يا اخوى يا حنيدا اسعدونى بالبكا
عذبت أخنكم يا ويلكم بعذاب النكر صبا ومسا
غللوى قيدونى ضربوا موضع العنة منى بالعصا
يكذب الاعمم ما يقربنى ومعى بعض حشائش الحيا
قيدونى غللوى وافعلوا كل ما شئتم جميعا من بلا
فأنا كارهة نعيمكم ويقين الموب تئيرى
يابنى كهلان يا أهل الغلا أندلون علينا العجا
يا أباد حشرب أيدىكم خالط المنظر من برد عى
يابنى الاغباط أما تعطفوا لبنى عدنان أسباب الرجا
فاصطبارا أو عزاء حسنا كل نصر بعد ضريرى
أصبحت ليلى تغلل كفها مثل تغليل الملوكة العطا
وتقيد وتكيل جهرة وتطالب بقبضات النبا
قل لعدنا هديتم شمرنا لبنى مبعوض شهد بالوفا

واعقدوا الريات في أقطارها واشهروا البيض وسيروا في الضحى
يا بني تغلب صيروا وابصروا وذروا الغفلة منكم والكبرى
احذروا العار على أعقابكم وعليكم ماقيم في الدنا

حكى الاصمعي قال قال لي رجل من بني ضبة أضللت ابلاي فأنا في طلبها حتى أتيت بلاد
بني سليم فبينما أنا في صحرائها إذ أنا بجارية أغشى والله تبصرى اشراق وجهها فقالت لي يا عبد
الله ما بعيتك قلت أضللت ابلاي فأنا في طلبها قالت أحب أن أرسلك إلى من عنده عليها
قلت أجل ومن هو قالت الذي أعطا كهاهو أخذها وإن شاء ردها فسله من طريق اليقين
لأن طريق الاختبار فأعجبنى ما سمعت من بديع مقالها وراعى ما رأيت من بارع جمالها
فقلت لها هل لك بعلا قالت كان فدعى إلى ما خلق له ونعم البعل كان فنت فهل لك في بعل
لا تدم خلائفه ولا تخشى بوائقه فاطرقت طويلا ثم رفعت رأسها وعيناها نذران دموعا
وأنددت

كنا كفتنين في أصل شدة وهما ماء الجداول في روضات جنات
فأجبت خيرهم من جنب صاحبه دهر يكر بفرحاب وزحاح
وكان عاهدني أن يخاي رمن أن لا يضاعج أئى بعد مشوا
وكنيت عاهدته أيضا فعاجله ريب المون قريبا منسيان
فاصرف عنا نك عن ليس بصرفه عن نوء خلاف في الخيال

قالت عريسة لابنها يبي عيب بحسن الخلق وجمل نعمة ونصف المرفقة ولين
جانب والاحتمال للصاحب وكف الادى والمقسمته في لغد هذنت تسقييل لغوب وتنال كل
مطلوب ويحفظك علام الغيوب

﴿ ممة بنت الحرث لتغلبية ﴾

كانت من فضليات النساء في العرب ولها حكم مشهورة في الاخلاق والمواظفة وأوصت
ابنتها أم اباس بنت عوف ليلتزمها إلى زوجها بالوصية لآتية
قالت لها يا بني ان لو صيته لو كانت تركت لفضل أدب ولقد سم حسب لزوبت ذلك
عنك ولا بعدته منك ولكنك انك كره للعافل ومنبهة للعافل
أى بنية لو استغنت امرأة عن زوج بفضل مال بيها الكسب عنى الناس عن ذلك
ولكن الرجال خلقوا كما خلقوا لنا

بنية انك قد فارقت الحى الذى منه خرجت والعش الذى فيه درجت الى وكمرلم
تعرفيه وقرين لم تألفيه أصبح بملكه عليك مليكا فكونى له أمة يكن لك عبدا وشيكا
واحفظى عنى خلا لعاشرة يكن لك ذكرا وذخرا - أما الاولى والثانية - فالصحة
بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة فان فى القناعة راحة القلب وفى حسن
المعاشرة مرضاة الرب وأما الثالثة والرابعة فالعاهدة لموضع عينيه والتفقد لموضع أنفه
فلا تقع عيناه منك على فيج ولا يشم أنفه منك إلا طيب ريح واعلمى يا بنىة ان السكحل
أحسن الحسن الموجود والماء أطيب الطيب المفقود والخامسة والسادسة التعاهد
لوقت طعامه والتفقد لحين منامه فان حرارة الجوع ملية وتغيص حاله مكربة وأما
السابعة والثامنة فالاحتفاظ ببيتهم وماله والرعاية لشئهم وعياله فان حفظ المال أصل
التقدير والرعاية للحشم والعيال من حسن التدبير وأما التاسعة والعاشرة فلا تفشين
له سرا ولا نصين له أمرا فانك ان أفشيت سره لم تأمنى غدره وان عصيت أمره وأغررت
صدره واتى مع ذلك كله الفرح اذا كان ترعا والا كتب ادا كان فرحا فان الأولى
من التقصير والثانية من التكدير وأشد ما تكونين له اعظاما أشد ما يكون لك
اكراما وأشد ما تكونين له موافقة أطول ما يكون لك مرافقة واعلمى يا بنىة انك
لا تقدرين على ذلك حتى تؤثرى رضاء على رضاك وتقضى هواه على هواك فيها أحببت أو
كرهت والله يضع لك الخير وأستودعك الله وهذا من أكل الوصايا وأعما
وأبلغها وأعما

وحكى أنه مر فى غمر من عرب الحاضرة بجارية من عرب البادية تهبت الناظر رجلا
وتكببت النسا كرمقالا وتشتغل النفوس براعة وجالا ففتن بها فسأل عنها أهل هى بكر
أم ثيب فقيسلى هى بكر لها عم وليس لها أب حى فقصد رجلا من كبار قومها واستنهضه
لخطبتها فأتىها عمها فى حاجة فمرضا عليه الامر فقال والله ما فى أنفسنا معار رأى فكيف
فى نفسها لكف أعرض عليها الامر فدخل بها ثم خرج اليهم وقد جلست خلف سيف
فقال ها هى تم قالت اللهم حى العصابة بالسلام وأجزل لهم ثواب ما قصدوه فى دار المقام
قل يا عم

اى بنىة هذا عمك نظير أيبك بخطبك على ان عمك ونظيرك وبينك من الصداق
ما برضيك فقالت يا عم أضرت بك الحاجة حتى طمعت طمعا أدخل بمرءةك أنز وجنى

غلاما غرض يا يغلبني بفضته ويصول على بمقدرته ويئن على بفضله ويطولني بذات يده ويقول يا هناء يا بنت الهناء ثم أعيش بعدها كلا إن الله واسع كريم سميع عليم غفور رحيم والله لا تزوجت الا رجلا كاملا فيه ثلاث خصال العقل والجبال واللسان فاذا كان عاقلاداري وان كان جيلا الهاني وان كان لسانا رضائي وازدودت به علما الى علمي وفهما الى فهمي انصرفوا بفقر الله لكم

﴿ أم الخير البارقية ﴾

من فضليات النساء وفصحاءهن وانتصرت لعل رضى الله عنه يوم صفين كتب معاوية الى واليه بالكوفة أن يحمل اليه أم الخير بنت الحريش البارقية برحلهما وأعلمه انه مجاز به بقولها فيه يا خير خيرا وبالشر شرافا ورد عليه كتابه ركب اليها فأقرأها الكتاب فقالت أما أنا فغير زائفة عن طاعته ولا مقلة بكذب ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمر تختليج في صدرى فاما سمعها وأراد مفارقتها قال لها يا أم الخير ان أمير المؤمنين كتب الى أن يجازيني بقولك في يا خير خيرا وبالشر شرافا عندك قالت يا هناء لا بطمعك برك في أن أسرك بباطل ولا يؤسك معرفتي بك أن أقول فيك غير الحق فسارت خيرة مسير حتى قدمت على معاوية فأقر لها مع حريمه ثم أدخلها عليه في اليوم الرابع وعنده جلساؤه فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته قال لها وعليك السلام يا أم الخير وبالزعم منك دعوتيني بهذا الاسم قالت معيا أمير المؤمنين فان بدية السلطان مدحفة لما يحب علمه (ولكل أجل كتاب) قال صدقت فكيف حالك يا خاله وكيف كنت في مسيرك قالت لم أزل في عافية وسلامة حتى صرت اليك فأنا في مجلس أتيق عندهمك رفيق قال معاوية بحسن نيتي نظفرت بك قالت يا أمير المؤمنين أعبدك بالله من دحض المقال وما زدت عاقبتة قال ليس هذا أردنا أخبرني كيف كان كلامك يوم قتل عمر ابن ياسر قالت لم أكن والله زورته قبل ولا رويته بعد وانما كانت كلمات نفهن لسانى حين الصدمة فان شئت أحدث لك ما لا غير ذلك فقلت قال لا أشأ ذلك ثم التف الى أصحابه فقال أليكم يحفظ كلام أم الخير فقال رجل من القوم أنا أحفظه يا أمير المؤمنين كحفظي سورة الحمد قال هاته قال نعم كآني بها يا أمير المؤمنين في ذلك اليوم عليها برد زبيدي كثيف الحاشية وهي على جل أرمك وقد أحيط حولها ويدها سوط منتشر الظفيرة وهي كالفضة يهدر في شقشقتها تقول يا أمها: لاس اتقوا ركبكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم ان الله قد أوضع الحق وأبان الدليل ونور السبيل ورفع العلم فلم يدعكم في

عياه مبهمه ولا سوداء مدهمة فأنى تريدون برحكم الله أفرار من أمير المؤمنين أم فراراً من الزحف أم رغبة في الاسلام أم ارتداداً عن الحق أما سمعتم الله عز وجل يقول ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم . ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول قد عيل الصبر وضعف اليقين وانتشرت الرغبة ويبدل يارب أزمه القلوب فاجع الكلمة على التقوى وألف القلوب على الهدى ههنا رحكم الله إلى الامام العادل والوصي الوفي والصديق الاكبر انما احن بدرية وأحقاد جاهلية وضغائن أحدية وثب بهما معاوية حين الغفلة ليدرك بهما ناراً بنى عبد شمس ثم قالت قاتلوا (أئمة الكفر انهم لايمان لهم لعلمهم ينهون) صبرا معاشر المهاجرين والانصار قاتلوا على بصيرة من ربكم وثبات من دينكم وكان فيكم غداً قد لقيتم أهل الشام كحمة مستنصرة فرت من قسورة لا تدري أين يسلك بها من فجاج الارض باعوا الآخرة بالدنيا واشتروا الصلاة بالهدى وباعوا البصيرة بالعمى عما قليل ليصبحن نادمين حين تحل بهم الندامة فيطلبون الآفة انه والله من ضل عن الحق وقع في الباطل ومن لم يسكن في الجنة نزل في النار

أيها الناس ان الاكياس استقصروا وعمر الدين افرضوها واستبطوا مودة الآخرة فسعوا لها والله أيها الناس لو ان تبطل الحقوق وتعطل الحدود ونظهر الظالمون وتقوى كلمة الشيطان لما اخترنا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه فالي أين تريدون رحكم الله عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته وأبى ابنه خلق من طينته وتفرع عن نبوته وخصه بمرته وجعله باب مدينته وأعلم بحبه المسامين وأبان ببغضه المنافقين فلم يزل كذلك يؤمره الله بمعونته ومضى على سنن استقامته ليعرج لرحمة اللذان وهو مفلح الهام ومكسر الأصنام اذا صلى والناس مشركون وأطاع والناس من نابون فلم يزل كذلك حتى قتل مبارزى بدر وأفى أهل أحد وفرتى جمع هراين فباضا وفائع زرعته في قلوب قوم نفاقا وردة وشقاقا فدا جهنم في انقول وبالنعت في المصيبة والله التوفيق وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

فقال معاوية يا أيها الأمير أردت بهذا الاقتل والله لو قتلتك ما حرجت في ذلك قالت والله ما بسوئى يا ابن هند أن يجرى الله ذلت على يدي من يسعدنى الله بشقائه قال هيأت يا كثيرة الفضول ما تقولين في عثمان بن عفان قالت وما عسيت أن أقول فيه استخلفه الناس وهم كارهون وقتلوه وهم راضون فقال أيها أيام الخير ههنا والله أصلاك الذي نبت عليه قالت لكن الله يشهد وكفى بالله شهيدا ما أردت بعثمان نقصا ولقد كان سباقا إلى الخير وانابه لرفع

الدرجة قال فأتقولين في طلحة قالت وما عسى أن أقول في طلحة اعتيل من مأمنه وأنى من حيث لم يحذر وقدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتقولين في الزبير قالت يا هذا لا تدعنى كرجيع الصبيع يعرك في المكن قال حقاً لتقولن ذلك وقد عذرت عليك قالت وما شئت أن أقول في الزبير ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه وقد شهد به بالجنة ولقد كان سباقاً إلى كل مكرمة في الإسلام وأنى أسألك بحق الله ما معاوية كان قد يشاخصت انك من أحدها أن تسعى بفضل حاملك وأن تعفينى من هذه المسائل وامضى لما شئت من غيرها قال نعم وكرامة قد أعفيتك وردها مكرمة إلى بلدها

عز الزرقاء بنت عدى بن قيس الهمدانية

وهي ممن اشتهرن أيضاً بالخطابة في يوم صفين فبروى أنها ذكرت عندها ما رواه يومها فقال جلسنا إلىكم بحفظ كلامها قال بعضهم نحن نحفظه بأمر المؤمنين قال فأشير وأعلى في أمرها فأشار بعضهم بقتلها فقال بشئ الرأي أحسن بمثل أن يقتل امرأة ثم كتب إلى عامله بالكوفة أن يوفدها إليه مع ثقة من ذوى عزمها وعدة من فرسان قومها وأن يهد لها وطاً ليناوليها بسترها بستر خصيب ويوسع لها في النفقة فلما دخلت على معاوية قال مرحبا بك وأهلاً قدمت خير مقدم قدمه وقد كيف حالك قالت بخير بأمر المؤمنين أدام الله الملك النصر قال كيف كنت في مسيرك قالت ربيبة بيت أو طغلامها قال بذلك أمرناهم أندر من قيم بعثت إليك قالت واني لم أعلم ما لم أعلم وما أعلم الغيب إلا الله عز وجل قال أألسن الرأفة الجبل الأجر والواقفة بين الصفتين بصفين تحضين الناس على القتال وتوفدين نار الحرب فما جلت على ذلك قالت يا أمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب وإن يعود ما ذهب والدهر ودغير ومن تكفر أبصر والأمر يحدث بعد الأمر قال لها معاوية أنت تحفظين كلامك يومئذ قالت لا والله لقد أنسيته قال لكني أحفظه لله درأولك حين تقولين أيها الناس رعووا وارجعوا انكم أصبحتم في فتنه غشتكم جلايب الظلم وجرت بكم عن قصد لمحجة فيها لها فتنه عبا صابكاء لا نسمع لنا عقولاً ولا نسلس لقادها ان المصباح لا يضيء في الشمس والكوكب لا تنير مع القمر ولا يقطع الخدي إلا الخدي لا يامن سترشداً أرشدنا ومن سألنا أخيراً ناهيها الناس الحق كما يطلب ضالته فأصافها فصر يامعشر المهاجرين ولا تضار على نقص فسكأن قد ابدمل شعب الشتات والتأمت كلمة التقوى ودمغ الحق باطله فلا يجهل أحد فيقول كيف العبد والى لي قضى الله أمراً كان مفعولاً أو أن خضاب النساء خفاء وخضاب الرجال

وأول امرأه رآها الناس في الموقف في هودج وأول امرأه أقام معها زوجها سبعة أيام لا يظن
وأول امرأه رأى الناس الصبر المختومة تخرج الى المستورات من جبرانها فيها الدراهم
يوم أسبوعها وأول امرأه سهرت على زوجها من الغيرة حتى طلع الفجر

❖ خديجة أم الفضل ❖

هي بنت أحمد بن عبد العزيز أبي القاسم بن عبد الرحمن أم الفضل ابن شهاب الدين
النيو يرى القرشية فهي أعظم النساء ديناً وكرماً وعبادة دخلت في زمرة أفاضل العلماء
بعبارة الفضل وكانت لا ترغب فيما يميل اليه النساء وكانت تكتب وتقرأ ولها فضائل وتنظم
لشعر الجيد وينهاو بين علماء عصرها وصلحائه مكاتبات ولها قصيدة أولها

حل الغرام على مالا أجل فرنى لحالي من يلوم ويمثل

❖ عائشة بنت أبي بكر الصديق ❖

زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولها خطب ووقائع مشهورة وكانت هي
السبب في واقعة الجمل وكانت أفصح أهل زمانها روت عنها الزواجر من الرجال والنساء وكان
مسروق أداروى عنها يقول حدثتني الصديقة بنت الصديق البرية المرأة وقال عطاء بن أبي
ربيع كانت عائشة من أفقه الناس وأحسن الناس رأياً في العامة وقال عروة ما رأيت أحداً
أعلم بفقه ولا بطيب ولا بشعر من عائشة

❖ عالية بنت المهدي ❖

هي أخت هارون الرشيد كانت في زمانها تأسجل الادب وتناظر العلماء دات عفة وأدب
وانتخبت العصائب المكلفة بالجوهر لتستر بها جبينها فأحدثت شياً لم يتدع النساء أحسن
منه واشتهرت بالغناء وحسن الصوت وأجادت الشعر وهي القائلة

أبأسرورة البستان طال تشوفي فهل الى طل لديك سبيل
مى يلتقى من ليس يقضى خروجه وليس لمن يهدى اليه دخول
عمى الله أن نرتاح من كربة لنا فيلتقى اعتباطاً خلة وخيل

❖ ولادة بنت المستكفي ❖

هي بنت المستكفي بالله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر لدين الله كانت
واحدة في زمانها المشار إليها بالبنان حسنة المحاضرة مشكورة الذاكرة وكانت عالمة
كثيرة شاعرة لها مجلس تفتديه الموائد يجتمع بها فيه العلماء والفضلاء والشعراء والادباء

وكانت بدون تكليف ولكنها عفيفة شريفة كتبت بالذهب على الطراز الايمن

أنا والله أصلح للعالي وأمشى مشيتي وأتته بها

وكتبت على الطراز الايسر

أمكنى عاشق من محن خلدى وأعطى قبلى من يشتهها

وهي القائلة تعارض الأبيات الاولى بهذين البيتين

انى وان نظر الانام لهجتي كظباء مكة صيدهن حرام

يحسبن من لين الكلام فواحشا ويمدهن عن الخنا الاسلام

وفيها خلق ابن زيدون عنارة وقال فيها القصائد الطنانة وكانت لها جارية سوداء بديعة

المعنى فظهر لولادة ابن زيدون مال اليها فكتبت له

لو كنت تنصف في الهوى ما ينينا لم تهوى جاريتي ولم تتخير

وتركت غصنا مشرا بجباله وجنعت للغصن النوى لم يفر

ولقد علمت بأننى بدر السما لكن ولعت لشقوى بالمسترى

ولها أشعار كثيرة وقال عنها ابن بشكوال في كتاب الصلة وذكره صاحب نفع الطيب

انها كانت أديبة شاعرة جزلة القول حسنة الشعر تساجل الأديباء وتفوق البرعاء وعمرت

عمر أطول ولم تنزوح قط وماتت في سنة ٨٤٤هـ وكان أبوها المستكفي بالعمه أهل قرطبة لما

خلعوا المستظهر وكان خاملا وخرجت هي في نهاية الادب والظرف حضور شاهد وحرارة

أوابد وحسن منظر وحلاوة مورد ومصدر وكان مجلسها بقرطبة منتدى لاحرار المصر

وفناؤها ملعبا لحياد النثر يعشوا أهل الادب لى ضوء غرتها ويتألك افراد الشعراء

والسكتاب على حلاوة عشرتها وعلى سهولة حجابها وكثرة مناساتها تخط ذلك بعلو نصاب

وكرم انساب وطهارة أثواب على أنها أوجبت للقول فيها السبيل بقلة مبالاتها ومجهرتها

بلداتها ولما مر بنو زبر أبي عامر وامام داره بركة تتولد عن كثرة الامطار وربما استقدت

بشيء مما هالك من الاقدار وقد نشر أبو عامر كيه ونظر في عطفه وحشر أعوا اليه فقالت

أنت الخصب وهذه مصر فتدفقا فكللا كما بحر

فتركته لا يبحر صرفا ولا برطر فاوهى بالغرب كملية بالشرق

بنيت بنيت المعتد

هي بنيت المعتد بن عباد كانت جليلة بارعة في الشعر طاهرة الذيل وبدل على طهارتها

انه لما وقع النهب في قصر أبيها كانت في جيلة من سبي واختفت أخبارها عن أمها وأبيها منذ
من الزمان لا يعلمان ما آل اليه أمرها إلى أن كتبت اليهما بالشعر المشهور المتداول بين
الناس إلى الآن وكان أحد تجار أشيلية اشتراها على أنها جارية سريّة ووهبها لابنه فنظر من
شأنها وهدّيته فلما أراد الدخول عليها امتنعت وأظهرت نسبها وقالت لا أحل لك إلا بعدد
نكاح إن رضى أبي بذلك وأشارت عليهم بتوجيه كتاب من قبلها لآبيها وانتظار جواب
فكان الذي كتبه بخطها من نظمها مآصورته

اسمع كلاً و اسقع لقلاتي فهي السلوك بدت من الاجياد
لا تنكروا اني سييت وانني بنت الملك من بني عباد
ملك عظيم قد تولى عصره وكذا الزمان يؤول للافساد
لما أراد الله فرقة ثملنا وادافنا طعم الاسى من زاد
قام النفاق على أبي في ملكه فدنا الفراق ولم يكن بمراذى
نفرجت هاربة فحازني امرؤ لم يأت في اعجاله بسداد
اذا باعني بيع العبيد فضعني من صانئ الامن الانكاد
وأرادني لنكاح نجل طاهر حسن الخلاق من بني الاتحاد
ومضى اليك يسوم رأيك في الرضا ولانت تنظر في طريق رشاد
ففساك يا أبتى تعرفني به ان كان ممن يرتجي لوراد
وعسى رميكة الملائك بفضاها تدعو لنا باليمن والاسعاد

فله اوصل شعرها لآبيها وهو بأعماق واقع في شرك الكروب والزمان سره هو وأمها
بحياتها ورأى بان ذلك للنفس من أحسن أمانة إذ عملها ما آل اليه أمرها وجبر كسر هان
ذاك أخف الضررين وأشهد على نفسه بعقد نكاحها من الصبي المذكور وكتب اليها أثناء
كتابه ما يدل على حسن صبره المشكور

بنيتي كوني به به فقد قضى الدهر باعافه

❦ أسماء العامرية ❦

من أهل أشيلية كتبت إلى عبد المؤمن بن علي رسالة تمت فيها إليه بندها العامري
وتسأله في رفع الأزال عن دارها والاعتقال عن مالها وفي آخرها قصيدة أولها
عرفنا النصر والفخ المييا لسيدنا أمير المؤمنيننا

إذا كان الحديث عن المعالي رأيت حديثكم فينا شجوناً

ومن بلاغتهن أيضاً انه ركب المعقدي النهر ومعه ابن عمه وزيره زودت الرمح النهر
فقال ابن عباد لابن عمار أجزر * صنع الرمح من المأزرد *
فأطال ابن عمار الفكرة فقالت امرأته من الفسالات * أى دريع لقتال لوجه *
فتعجب ابن عباد من حسن ما أنت به مع عجز ابن عمار ونظر إليها فاداهى صورة حسنة
فأعجبته فسألها أذات زوج هي فقالت لا فتزوجها وولدت له أولاده الملوك

مرت أعرابية بجاعة من غير فأدامها النظر فقالت يا بنى عمير ما فعلتم يقول الله تعالى
قل للؤمنين يفضوا من أبصارهم فأطرقوا حياء

قال أعرابي خرجت في ليلة هجمة فادأنا بجارية كلتها علم فراودنها فقالت أمالك
زاجرامن عقل ان لم يكن لك ناه من دين فقلت انه لا يرانا الا الكواكب فقالت
وأن مكوكها

نزل أسدى بطائفة في يوم طائف فأتته بقرى ففتته بعينها من وراء البرقع فراودها
فقالت أما بر وعك الكرم والاسلام كل وأقل وان أردت غير ذلك فارتحل

وروى أن ابرو وزراود امرأة على الفجور فقالت أيها الملك ان المرأة طبع على
ثلاث أجزاء من الانسانية فاذا اقتضت ذهب جزء واذا حبلت ذهب جزء واذا ولدت ذهب
جزء وقد أنبت عن ذلك فأنا أعيد الملك أن يخرجني عن حد الانسانية

﴿ أم حكيم ﴾

هي بنت زرب بنت عبد الرحمن بن الحرث بن هشام كانت هي وأما من أجل نساء
قريش فكانت قريش تقول لأم حكيم الواصلة بنت الواصلة وقيل الموصلة بنت الموصلة
لانها وصلت الجال بالكمال وقد تزوجها عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك في حياة جده
عبد الملك ولما عقد السكاح بينهما كان في المجلس عبد الملك فأمر بادخال الشعراء ليهنؤهم
بالقدو ويقولون في ذلك أشعارا فدخل جرير وقال

جع الأمير اليه أكرم حرة في كل ملال من الاحوال

حكيمه علت الروابي كلها بمساخر الاعمال والأخوال
وإذا النساء تفاخرن ببعولة فخرتهم بالسيد المفضل
عبد العزيز ومن يكلف نفسه أخلاقه يلبث بأكف بال
هنأتكم بمودة ونصيحة وصدق في نفسي لكم ومقال
فلتهنك النعم التي خولتها يا خير مأمول وأفضل وال
فأمر له عبد الملك بعشرة آلاف درهم وأمر لجميع من حضر من الرؤساء والكتاب بعشرة
آلاف دينار

حكى أن أعرابية دخلت البادية فسمعت صراخا في دار فقالت ما هذا فقبل لها مات لهم
انسان فقالت ما أراهم الا من ربه يستغيثون وبقضائه يتبرءون وعن ثوابه يرغبون
قالت أعرابية وقاكم الله هو المطلع وصرف عنكم سوء المظجع وأحسن اليكم
في المرنجج ولا ساءكم فيما صنع فعجبوا من كلامها وأحسنوا اليها

❦ زينب بنت حدير وتزوج شرح لها ❦

قال شرح ياشي عليك نساء بني عجم فان النساء قال قلت وكيف ذلك قال انصرفت
من جنازة ذات يوم مظهرا فمررت بدور بني عجم فاذا امرأة جالسة في سقفة على وسادة
وتجهاها جارية حسنة ولها دوايب على ظهرها جالسة على وسادة فاستسقيت فقالت أي
الشراب أعجب اليك ألبنيذ أم اللبن أم الماء فقلت أي ذلك تسر عليكم فقالت
اسقوا الرجل لبنا فأتى حاله عريفا فاشربت نظرا للجارية فأعجبتني فساأتها من هذه
فأجابت ابنتي إحدى نساء بني عجم فقلت أتزوجينها فقالت نعم ان كنت كفيها ولها عقم فاقصده
فقصدها وطلبها منه وتزوجها وقد ندم بعد زواجها وهم بطلاقها فراجع نفسه ثم قال أجمعها
الى فان رأيت ما أحب والا أطلقها وقد دار بينه وبينها الحديث فقالت الحمد لله اني امرأة
عربية ما سرت مسيرا فظأشر على منه وأنت رجل غريب لا أعرف أخلاقك فحدثني بما
تحب فأتيت وما تذكره فأنزح رمنه فقال الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد قدمت خير مقدم
على أهل دار زوجك سيدر جالم وأنت سيدة نساأهم أحب كندا أو أكره كندا قالت
اخبرني عن اختناك أتعجب أن يزوروك فقلت اني رجل قاض وما أحب أن غلوني فحككت

لارى يوما ألا وهو أفضل من يوم حتى اذا كان عندى رأس الحول دخلت منزلى فاذا
بمعجوز تأمر وتبى قلت يلزنب من هذه فقالت أى قلت حياك الله بالسلام قالت أبأأمية
كيف أنت وذاك قلت بخيرا حمد الله قالت أبأأمية كيف زوجتك قلت كثير امرأه قالت
ان المرأة لا ترى فى حال أسوأ خلقا منها فى حالين اذا حظت عند زوجها واذا ولدت غلاما فان
رابك من ريب فالسوط فان الرجال والله ما حازت الى بيوتهن شر من الولهاء المتدلة قلت
أشهد أنها ابتك قد كفتنا الرياضة وأحسن الادب قال فكانت فى كل حول تأتينى
فذكرها شعر

رأيت رجلا يضربون نسائم فثلث يمينى يوم أضرب زنبنا
أأضربها فى غير جرم أنتبه الى فا عذرى اذا كنت مذنبنا
فتاة تزين الحلى ان حليت كأن فيها المسك خالط محلبنا

ومن خعة بنت حابث الايدى وحضرة بنت العمان وخصيلة بنت عامر وحذام
بنت الريان وهى القائلة لوزك القطا ليلانام
قال المفضل الضبى أول من قال ذلك حذام بنت الريان وذلك أن عاطس بن حلاح سار
الى أبيها فى حجير وضغ وجعنى وهمدان ولقيهم الريان فى أربعة عشر حيامن أحياء البن
فاقتوا وقتلا الشديدا ثم تعاجزوا وان الريان خرج تحت ليلة وأحسبها هربا فسا روا يومهم
وليتهم ثم عسكروا وأصبح عاطس فندا لقنالم فادا الارض منهم بلاقع فجند فى الطلب
فانتهوا الى عسكر الريان ليلافدا كانوا قريبا منه أناروا القطا فحرت على أححاب الريان
نفرجت حذام الى قومها فقالت

ألا باقومنا ارتحلوا وسيرا فلو ترك القطا ليلالام

فلم يلتفتوا الى قولها وأخلدوا الى المضاجع لما نابهم من الكلال فقام ديسم بن طارق فقال
بصوت عال .

اذا قالت حذام صدقوها فان القول ما قالت حذام

فتار القوم فلدجأوا الى واد كان قريبا منهم فاعتصموا به حتى أصبحوا واستعوا منهم وفى
رواية أخرى أن البيت للجيم بن صعب فى امرأته حزام
والحكيات والاخبار فى ذلك كثيرة والاطناب يخرج عن الحد المقصود ويؤدى الى
الملال وفيما ذكرنا من ذلك مفتح ومن أراد التوسع فليبه بركة كتاب بلاغات النساء

وكتاب النساء لأبي الفرج وكتاب الصلوة لابن بشكوال ونفع الطيب وتاريخ بغداد لابن الخطيب البغدادي وقد بلغت الغيرة في الرجال على النساء إلى حد أنهم كانوا يشدون بناتهم خوفاً من العار والمثلة

الفصل الثامن

في

﴿ الغيرة ﴾

الغيرة قوة نفسية تتولد في الإنسان بحسب ميله الطبيعي إلى ما يفار عليه وهي توجد في كل زمان ومكان حتى في الحيوان نفسه وقد كانت في العرب أكثر من غيرهم حتى إن من دخل دار أحدهم والتجأ إلى فئانه عدواً فاعله حرمة وجواراً وزماراً وقد أودع الله هذه القوة في الإنسان سبباً لصيانة الماء وحفظاً للأنساب ولذلك قيل كل أمة وضعت الغيرة فيها وفي رجالها وضعت الصيانة في نساءها ومن مواد الغيرة المروءة والمحبة ثم ربه وتختلف بحسب الدواعي والأشخاص والمجود منها ما كان واقعاً عنده شاهدة نقص في ناموس الهى وحكم دينى ونمط شرعى فمن غير العرب ونحوهم أنهم يكونون عن الحرائر من النساء بالبعض وقد جاء القرآن العزيز بذلك فقال سبحانه وتعالى كأنهن بيض مكنون وقد تستعمل الغيرة في صيانة كل ما يلزم صيانته في السياسات الثلاث التي هي سياسة الرجل نفسه وسياسة أهله ومنزله وسياسة مدينته وضيعته وسهوها بالحكمة العملية وألغوا فيها كتباً كثيرة كما ألفوا في غيرها



المقالة الخامسة

في

﴿ الحكمة العملية ﴾

(وفيها ثلاثة فصول)

الفصل الاول

في

﴿ الحكمة الالهية ﴾

لما كان الانسان مدينا بالطبع وكان تركه مهملًا مؤديا الى التقاتل والتناصر والعداوة والشحناء المنافية هذه الأمور الى قضية التمدن والاجتماع وعمارة المدن والاصقاع افترضت الحكمة الالهية وضع قوانين متعلقة بجميع الاشخاص على العموم بحيث لا يتخصص بشخص شخص ولا بطائفة دون أخرى بل كل الطوائف والأمم سواسية في هذه السياسة والقانون الجاري بطريق التعادل

ثم ان هذه القوانين لا بد وأن تؤخذ من انسان بامارة الله بواسطة الملائكة وبأيده من عنده بالمعجزات النافذة للعادات ليصدقها الكل اذ من له قوة قدسية وحكمة تامة لا يحتاج الى المعجزات الحسية في تصديقه وأما من هو مارل عن هذه الدرجة بمرتبة أو بمراتب فانه يحتاج الى معجزة حسية إمامرة أو ممرات بحسب قوة جهله أو ضعفه وقد اشقت الشريعة القراء على محاسن الشرائع وأوسطها والاجتناب عن طرفي الاقتصاد وتفریطها وافرطها فلم يترك العالم سدي بل جعل عقول البشر مهتدة الى قدر ما يبق به النظام بين النوع الانساني وأرشدهم الى ما يكمل به مصالح دنياهم أكثر ياو بعض من مصالح آخرتهم فالذي جاءت به الرسل من عند الله تعالى هو العدل حقيقة وأما الذي استحسنه عقول

العقلاء والحكماء فهم وما يشبه العدل وهي السياسة الاصطلاحية التي هرم عليها الكبير ونشأ عليها الصغير. ويعبد أن يبقى سلطان أو تستقيم رعية في حال إيمان أو كفر بلا عدل قائم أو ترتيب للأمور التي تشبه العدل

فالساسة ما يبقى بها نظام العالم وإن لم يصلح بها أمور الآخرة وقد ذكر الحكماء علومهم العملية هذه وبخلافها عن الأعمال الصادرة عن البشر وتلك الأعمال إما أن تتعلق بالشخص وحده وهي علم الأخلاق وإما أن تتعلق بأصل المنزل للدوام الأنس والائتلاف وهي علم تدبير المنزل أو تتعلق بأحوال أهل البلد لنظام أحوال المملكة وهي علم السياسة

الفصل الثاني

في

علم الأخلاق

هو علم يعرف منه أنواع الفضائل وهي اعتدال ثلاث قوى وهي القوة النظرية والغضبية والشهوية كل منها أوساط بين رذيلتين . الحكمة وهي كمال القوة النظرية وهي التوسط بين رذيلتين البلاذة والجريزة والأول تفریطها والثاني إفراطها والشجاعة وهي كمال القوة الغضبية وهي التوسط بين رذيلتين الجبن والهور والأول تفریطها والثاني إفراطها والعفة وهي كمال القوة الشهوية وهي التوسط بين رذيلتين الخمر والفجور والأول تفریطها والثاني إفراطها

وهذه الثلاث أي الحكمة والشجاعة والعفة لكل منها فرع وكل من هذه الفروع توسط بين رذيلتين وخبر الأمور الوسط وقد احتوب كتب علم الأخلاق على تعريقات هذه الأمور ثم طريق العلاج بأن يفرع عن طرفي التوسط ويعتدل في الوسط

وموضوع هذه العلوم للملك النفسانية من حيث تعدلها بين الإفراط والتفریط قال الحكماء لالاسكندر أيها الملك عليك الاعتدال في كل الأمور فالزيادة عيب والنقصان عجز ومنفعة أن يكون الإنسان كاملاً في أفعاله بحسب الامكان ليكون أولاده سعيداً وأخراه حميداً

الفصل الثالث

في

علم تدبير المنزل ﴿﴾

هو علم يعرف منه اعتدال الأحوال المشتركة بين الإنسان وزوجته وأولاده وخدمته وطريق علاج الأمور الخارجة عن الاعتدال ووجه الصواب فيها وموضوعه أحوال الأهل والولد والأقارب والخدم وأمثالها من حيث الانتظام ومنفعة لا تحصى على أحد لأن حاصله أحوال انتظام الإنسان في منزله ليتمكن بذلك من صيانة الحقوق الواجبة بينه وبين الأشخاص المذكورة ويتفرع باعتدالها وانتظامها على كسب السعادة العاجلة والآجلة ولا ينسب رسالة في هذه السياسات مختصرة تأتي بها هنا اتساما للفائدة وليبان فضل رجال الإسلام على من عداهم بوضعهم أساس هذا العلم

﴿﴾ التفاوت بين الناس في الصفات والرتب ﴿﴾

خص الله بى آدم خصائص من نعمه وفضلهم بها على كثير من خلقه فجعلهم أحسن الخلق وطبايعهم أكمل الطبايع وتركبهم أشد التركيب ومعيشتهم أنعم المعاش وسعيهم في مقابهم أزد السعى إلى القول الرضية إلى أمدهم بها والأحلام الراجعة التي أيدهم بفضلها والآداب الحسنة التي ألهمهم بها والأخلاق الكريمة التي زينهم بها بشرفها مع التميز الذي أراهم به فرتق ما بين الخير والشر وخلاف ما بين الفی والرشد وفضل ما بين الصانع والمصنوع والمالك والمملوك والسائس والمسوس حتى صار ذلك طريقة لهم إلى معرفة ما بين الخالق والمخلوق وسبيلوا واضحا إلى تثبيت الصانع القديم الإجمود عمادا ومكبرة عيان

ثم من الله عليهم بفضل رآفة سامستألفا بان جعلهم في عقولهم وآرائهم متفاضلين كما جعلهم في أملاهم ومنارهم ورتبهم متفاوتين لما في استواء أحوالهم وتقارب أقدارهم من الفساد الداعي إلى فناءهم لما بقي بينهم من التفاضل والتعاضد ويشير من التباعد والنظام فقد علم ذوي العقول أن الناس لو كانوا جميعا مملوكا لتفاوتوا عن آخرهم ولو كانوا كلهم سوقة لهلكوا عيانا بأسرهم كما هم لو استوا في العى لما من أحد لأحد ولا ردهم جميعا ولو

استو وافى الفقر لما تواضروا وهلكوا بؤسا قلما كان التعاسد من أطباعهم والتباهى من سوسهم وفى أصل جوهرهم كان اختلاف أقدارهم وتفاوت أحوالهم بسبب بقائهم وعلة لقناعتهم فتدوا المال العقل من العقل العطل من الأدب المدرك خطه من الدنيا بأهون سبب اذا تأمل حال العاقل المحروم وأكدار الحوئل القلب ظن بل أبقر ان المال الذى وجدته مغير من العقل الذى عدمه وذو الأدب المعدم اذا تفقد حال المترى الجاحل لم يشك فى انه فضل عليه وقدم دونه وذوى الصناعة التى تعود عليها بما عكس رقة لا يضبط ذو السلطان العريض ولا ذا الملك المديد وكل ذلك من دلائل الحكمة وشواهد لطف التدبير وأمارات الرحمة والرأفة

﴿ لروم التدبير والسياسة لجميع الناس ﴾

وأحق الناس وأولاهم بتأمل ما يجرى عليه تدبير العالم من الحكمة وحسن واتقان السياسة وأحكام التدبير الملوك الذين جعل الله تعالى ذكره بأيديهم أئمة العباد وملوكهم تدبير البلاد واستراعهم أمر البرية وفوض إليهم سياسة تم الأمل فالأمل من الولاة الذين أعطوا قيادة الأمم واستكفوا تدبير الأمصار والكور ثم الذين يولونهم من أرباب النعم وسواس البطانة والخدم ثم الذين يولونهم من أرباب المنازل ورواض الأهل والولدان فان كل واحد من هؤلاء راع ما يجوزه كفه ويضمه رحله ويصرفه أمره ونهيه ومن تحت يده رعيته ويحتاج أصغرهم شأنا وأحقهم ظهرا وأرقهم حالا وأضيقهم عطايا وأقلهم عدوا ومن حسن السياسة والتدبير ومن كثرة التفكير والتقدير ومن فله الاغفال والاهمال ومن الانكار والتأنيب والتعنيف والتأديب والتعديل والتقويم الى جميع ما يحتاجه اليه الملك الأعظم بل لوقال قائل ان الذى يحتاج اليه هدام التنظف والتنبيه ومن التعرف والتجسس والبحث والتقبير والمحص والتكشيف أو من استنار الخوف والوجل ومجانبة الركون والطمأنينة والاستغفار من افعال الربق واختلال السدأ كتر لأصاب مقالا لان الفذل الذى لا تظهر له والفرد الذى لا معاضد له أحوال الى حسن العناية وأحق بشدة الاحتراز من المستظهر كفاية وعد الوزراء والأعوان ولان المعدم الذى لا مال له يحتاج من ترقيع العيش ومرة الحال الى أكثر مما يحتاج اليه الغنى الموسر

ولعل منكرا ينكر عيلا أحوال السوق بأحوال الماوك أو عايبا يعيب موازين تتنا بين الحالتين أو قادحا يقدح فى ساداتنا بين الأمرين فليعلم المتكافى فى النظر فى ذلك ان تسكنا

في تقارب الناس في الأخلاق والخلق وفي حاجات الأنفس وفي دواهي الأجساد والمنازل
دون المراتب والأخطار والأقدار

﴿ أهل الانسان ﴾

ثم ليعلم ان كل انسان من المثل وسوقة يحتاج الى قوت تقوم به حياته وتبقى شخصه ثم
يحتاج الى أعداد فضل قوته لما يستأنف من وقت حاجته وأنه ليس سبيل الانسان في اقتناء
الأقوات سبيل سائر الحيوان الذي ينبعث في طلب الرعى والماء عند هيجان الجوع وحدث
العطش وينصرف عنهم بعد الشبع والري غير معي بما أفضله ولا يحافظ لما احتازه ولا عالم
بعود حاجته اليهما بل يحتاج الانسان الى مكان يتخزن فيه ما يقنيه ويحرسه لوقت حاجته
فكان هذا سبب الحاجة الى اتخاذ المساكن والمنازل فلما اتخذ المنزل وأحرز القيمة احتاج
الى حفظها فيه من يردها ومنعها عن ير ومها فلو انه قام على القيمة فحافظها لها راصدا لطلابها
اذن أفتنا قبل أن يزيد فيها فاذا اقتنى ثمانية عابد حاجته الى حفظها فلا يزال ذلك دأبه حتى
يصير في مثل حيز البهجة التي تسمى الى مرعاهامع حدوث حاجتها فاحتاج عند ذلك الى
استعلاف غيره على حفظ قبنته فلم يصلح خلافته في ذلك إلا من نسكن نفسه اليه ولم نسكن
نفسه إلا الى الزوج التي جعلها الله تعالى ذكره للرجل سكنا وكان ذلك سبب اتحاد الأهل
ولما ينشئ الأهل بالأمر الذي جعله الله سببا لحدوث التربية وعلية البقاء والنسل حدث
الولد وكثر العدد وزادت الحاجة الى الأقوات وأعداد فضلائها لاقوات الحاجة فاحتاج عند
ذلك الى الاعوان والقوام والى الكفاة والخدام فاداب صار راعيا وصار من تحت يده
له رعية

فهذه أمور قد استوى في الحاجة اليها المثلث والسوقة والراعي والمرعى والسائس
والمسوس والخدام والمخدوم لان كل انسان محتاج في دنياه الى قوت يسكن روحه ويقم
جسده والى منزل يجرز فيه ذات يده وأوى اليه اذا انصرف عن سعيه والى زوجة تحفظ
عليه منزله وتجرز له كسبه والى ولد يسعى له عند عجزه ويقوم كفايته في حال كبره ونصل
نسله ويحيي ذكره من بعده والى قوام وكفاة يعينونه ويحملون نقله واذا اجتمع هؤلاء
كان راعيا ومسيا وكانوا له راعيا وسوا

وكما ان المسيح يازمه ان يرتاد صالح سائمت من الكلاء والماء نهارا ومن الحظائر والزراب
ليلا وان يذكر عموه في كلاهما ويث كلابه في أقطارها بالبرسهام السباع العادية ومن

آفات الطارقة ومن المرق والغارة والنهب وان يعتار لها المشتى الدنى والمصيف الربيع ويرود لها في طلب الكلا والنطف العذاب وان يحين وقت عملها وان يترقب حين نتاجها ويلزمه بعد ذلك ان يسوقها الى مصالحها ويصرفها عن متآلفها بنعيقه وصغيره ويزجره ووعيده فان كفاه ذلك في حسن انتقائها واستقامة ضلعها والا أقدم عليها بعصاه كذلك يلزم ذا الامل والولد والخدم والتبع معا يحق عليه من حفظهم وحياطتهم ومن تحقل مؤنهم وادرار ازراقهم احسان سياستهم وتقوى بهم بالترغيب والترهيب بالوعيد والوعيد وبالتقرب والتبديد بالاعطاء والحرمان حتى تستقيم له قناتهم فهذه آقاويل بحملة في وجوب السياسة والحاجة اليها وتستبجها بأمثلة مفسرة في أبواب مفصلة بعد ان تقدم قبلها بابا في سياسة الرجل نفسه فان ذلك أحسن في النظم وأبلغ في النفع ان شاء الله تعالى

﴿ في سياسة الرجل نفسه ﴾

ان أول ما ينبغي أن يبدأ به الانسان من أصناف السياسة سياسة نفسه اذ كانت أقرب الاشياء اليه اكرمها عليه وأولاهها بعنايته ولانه متى أحسن سياسة نفسه لم يعبى بما فوقها من سياسة المصير ومن أوائل ما يلزم من رام سياسة نفسه ان يعلم أن له عقلا هو السائس ونفسا أمانة كثيرة المعايير المساوي في طبعها وأصل خلقها هي المسوسة وان يعلم ان كل من رام اصلاح فاسد لزمه أن يعرف جميع فساد ذلك الفاسد معرفة مستقصاة حتى لا يفادر منه شيئا ثم يأخذ في اصلاحه والا كان ما يصلحه غير جز ولا وثيق كذلك من رام سياسة نفسه ورياضتها واصطلاح فاسدها لم يجز له أن يتبدى في ذلك حتى يعرف جميع مساويه معرفة محيطه فانه ان أغفل بعض تلك المساوي وهو يرى أنه قد عمها بالاصلاح كان كمن بدمل ظاهر الحكم وباطنه مشغل على امدار وكما ان امدار اذا قوى على الاعمال وطول الترك نقض الامد مال وقد في الجلد حتى يبدل العين الناظر كذلك العيب الواحد من معايير النفس اذا أغفل عنه كامن حتى اذا لاح له وجه ظهور طلع مكته آمن ما كان الانسان له

ولما كانت معرفة الانسان نفسه غير موثوق بها لما في طباع الانسان من الغباوة عن مساوئه وكثرة مساحته نفسه عند محاسبتها ولان عقله غير سالم من مازجة الهوى اياه عند نظره في أحوال نفسه كان غير مستعين في البحث عن أحواله والفحص عن مساوئه ومحاسنه عن معونة الاخ اليب الواد الذي يكون منه بمنزلة المرأة فير به حسن أحواله حسنا وسيئها سيئا

وأحق الناس بذلك وأحوجهم إليه الرؤساء فإن هؤلاء لما خرجوا عن سلطان التثبت وعن ملكة التصنع تركوا الاكتر السقطات وتعقب الهفوات بالندمات فاسقرت عادتهم عن كثرة الاسترسال وقلة الاحتشام الاقليل انهم يربعت عقولهم ورجحت أحلامهم وتقدمت في ضبط نفوسهم بصائرهم فحسن سيرتهم واستقامت طريقهم وبما زاد في عظم بلائهم باكتنام عيوبهم عنهم انهم هيشوا عن التعبد بالمعائب مواجهة وعن النقص ولتم مشافهة وخفوا في اعلان الثلب والغضب والشنع والجنب والهمز والهمز يظهر العيب فلما انقطع علم ذلك عنهم ظنوا ان المعائب تختطهم والثالب جاؤزتهم فلم ترح بخططهم ولم تعرس بأفئتهم

وليس كذلك حال من دونهم من الرعا والسوقة فان أحدهم لو رام أن يخفي عنه عيوبه ببدعة محبة هيا يتدارك عليه بأوجهها استطاع ذلك فانه يخاط الناس ويلامسهم ضرورة والمخالطة تحدث المجادلة والمدافعة وذلك من أسباب الخاصة والمخالطة تؤدي الى التعايب بالثالب والترامى بالعار وعند ذلك يكاد كل واحد من الفريقين لا يرضى بذلك حتى يكره حقائق عيوب صاحبه بل يتهمه بالباطل ويقنع عليه الزور هؤلاء قد كفوا استرشاد جلسائهم وبت الجواسيس في تعرف عيوبهم من قبل أعدائهم فانها قد جلبت اليهم من غير هذا الطريق فأما من يسلم من السوق الناس فلا يشاورهم ويؤايبهم ولا يلاحيهم فانه لا يعدم من ينبهه على عيبه وينصحه في نفسه من جيم وقرىب وخليط وجليس وأكيل

ومما زاد في فساد حال الملوكة والرؤساء ما اتبع لهم من قرناء السوء وقبض لهم من جلساء الشر الذين لو انهم لما نقضوا عهدهم وراغوا في صحبتهم وغشواهم في عشرتهم بتركهم صدقهم عن أنفسهم وتنبههم عن عوراتهم لم يغشوه بالنساء الكاذب ولم يفروهم بالتقريظ الباطل ولم يستدرجوه باستصاابة خطاهم لكانوا أخف ذنوبا وان كانوا غير خارجين عن لؤم العشرة ودناءة الصبغة ولعل أحدهم اذا توسع في إقامة عذره وتنطع في تخفيف جرمه قال انما ادع نصيحتهم في أنفسهم وصر فهم عن أحوالهم اشفاقا من جنتهم وحذر من أنفهم وخوفا من استغفالهم النصيحة فان التصح لندع كلنوع النار وحرا كحر السنان فحسن نحاف ان فعلنا ذلك بهم أن لا ترجع إلا استعانتهم لبان ونغارهم منا وازورارهم عنا وعن عشرتنا فلان نظفر بهم زللهم خير لنا ولهم من أن تخرق عليهم فلهم يقولون لنا ولا نحن نبقى لهم هذا اذا كان صاحب رفيقا متينا فما اذا كان آخرق متبور فانه يقول لنا نحن من سقوط منزلتنا وانقطع خلطتنا مع سورة غضبه وبادرة سطوته فيقال له انك اذا بنيت

أمرك في محبة من تصحب على الدين والمروءة لم يازمك أن تراعى غيرهما فيما أتى ونذر واذ اقتديت بهما وعشوت إلى نورهما لم تضل في طريق محبة من محبت

وقد قنيت فيك بأن صاحبك أحد رجلين إما حازم رفيق متثبت وإما أخرق مهوّر فالرفيق المتثبت لا حوز عليه فضل ما يسد به نصحك وإن هوار تاع ووجم وحي أنفه ونفى عطفه في أول ما يرد عليه منك فادانبت وفكر وقد عرف الخير الذي قصده والصالح الذي أجمته فرجع اليك أحسن الرجوع وأما الخرق المهوّر فأنت غير آمن من خرقه في أى حال شايعة وأخالفته وليس من الرأي لك أن تصحب من هذه صفة فحتاج إلى هدايته

واعلم أنه ليس لك وإن كان طريق ارشاد العاقل عن رغبته أن تركبه دائماً وتسلكه خابطاً ولكن ينبغي لك أن تمس العاقل بالمشورة عليه مسلك الشوكة الشائكة بمجسدة والقمر حة الدامية من يدك على ألين مائس وأرفق القول وأخفص الصوت وفي أخلى المواطن وأستر الأحوال والتعريض فيها أبلغ من التصريح وضرب الأمثال أحسن من التكمشيف فإن رأيت صاحبك يشرب لقولك إذا بدر منك وبهش له ويصفي إليه فأسبغ القول في غير إفراط ولا إسهاب ولا إملال ولا تزد على الوجه الواحد من الرأي ودعه يصغر في قلبه ويتردد في جوفه فيعلم بتخلي مقبته وإن رأيت صاحبك لا يكثر لك كلامك إذا وردت عليه فاقطعه وأحلي معناه إلى غير ما أردته وأخره إلى وقت نشاطه وفراغ باله

وينبغي لمن عني بتصرف مناقبه ومآله أن يفحص عن أخلاق الناس ويتفقد شيمهم وخلاتهم ويتصرف مناقبهم ومناقبهم فيقيسها بما عنده منها ويعلم أنه مثلهم وأنهم أمثاله فإن الناس أشباههم كأنسان المشط فإذا رأى المنقبة الحسنة فليعلم أن فيه مثلها إما ظاهرة وإما مغمورة فإن كانت ظاهرة فليراعها وليو اظب عليها حتى لا تبيد ولا تضمحل وإن كانت مغمورة فليترها وليصبر وليحافظ على استدعائها فاتها تحجب بأهون سعي وأسر ع وقت وإذا رأى المثلبة والعادة السيئة والخلق اللثيم فليعلم أن ميلها راعن لديه إما بادو إما كامن فإن كان بادياً فليقمعه وليقهره وليتمه بقله واستعماله وشدة نسيانه وإن كان كامناً فليحرسه

لئلا يظهر

وينبغي للإنسان أن يعد نفسه ثواباً وعقاباً يسوسها فإذا حسنت طاعتها وسلس انقيادها لم يسوسها من قبول الفضائل وزك الرذائل إذا آتت بتخلق كريم أو منقبة شريفة أنابها بكثارتها وجلب السرور لها ونمكتيها من بعض لذاتها وإذا ساءت طاعتها وامتنع انقيادها وجمحت فلم يسلس عنها وأثرت الرذائل على الفضائل وأتت بتخلق لثيم أو فحل

دُمِعَ عَاقِبُهَا بِكَثَرِ ذَمِّهَا وَلَوْ مِمَّا وَجَلِبَ عَلَيْهَا شِدَّةُ التَّدَامَةِ وَمَنْعُهَا لَهَا حَتَّى ثَلَاثِينَ لَهَا

﴿ فِي سِيَاةِ الرَّجُلِ دَخَلَهُ وَخَرَجَهُ ﴾

ان حاجة الناس الى الاقوات دعت كل واحد منهم الى السعي في اقتناء قوته من الوجه
النبي اَلْهَمَهُ اللهُ قَصْدَهُ وَسَبَبَ رِزْقِهِ مِنْ وَجْهِهِ الْمَطَالِبِ وَسَبَبَ الْمَسْكُوبِ وَلَمَّا كَانَ النَّاسُ فِي
بَابِ الْمَعِيشَةِ صَنَعَيْنِ صَنَعَا مَكْفِيَا سَعِيهِ بِرِزْقٍ مَهْنَأٍ سَبَبَ لَهُ مِنْ وَرَائِهِ أَوْجَانَهُ وَصَنَعَا مَحْجُوفِيهِ
إِلَى الْمَسْكُوبِ أَلْهَمَهُ هَذَا الصَّنْفَ التَّسَبُّبَ إِلَى الْأَقْوَاتِ بِالتَّجَارَاتِ وَالصَّنَاعَاتِ وَكَانَتِ الصَّنَاعَاتُ
أَوْثَقَ وَأَبْقَى مِنَ التَّجَارَاتِ لِأَنَّ التَّجَارَةَ تَكُونُ بِالْمَالِ وَالْمَالُ وَشَيْكَ الْفَنَاءُ عَتِيدَ الْأَفَاتِ كَثِيرِ
الْجَوَائِخِ وَصَّنَاعَاتُ ذَوِي الْمِرْوَةِ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ نَوْعٌ مِنْ حَيْزِ الْعَقْلِ وَهُوَ حِجَّةُ الرَّأْيِ وَصَوَابِ
الْمَشُورَةِ وَحَسَنِ التَّدْبِيرِ وَهُوَ صَّنَاعَةُ الْوُزَرَاءِ وَالْمُدَبِّرِينَ وَأَرْبَابِ السِّيَاسَةِ وَالْمُلُوكِ وَنَوْعٌ
مِنْ حَيْزِ الْأَدَبِ وَهُوَ الْكِتَابَةُ وَالْبَلَاغَةُ وَعِلْمُ التَّجْوِيمِ وَعِلْمُ الطَّبِّ وَهُوَ صَّنَاعَةُ الْأَدْبَاءِ وَنَوْعٌ مِنْ
حَيْزِ الْأَيْدِي وَالشُّجَاعَةِ وَهُوَ صَّنَاعَةُ الْفَرَسَانِ وَالْأَسَاوِرَةِ قَدْ رَامَ أَحَدُ هَذِهِ الصَّنَاعَاتِ
فَلْيُفِزَ بِأَحْكَامِهَا وَالتَّقَدُّمَ فِيهَا حَتَّى يَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا مَوْصُوفًا بِالْفَصَاحَةِ غَيْرَ مَرْدُودٍ وَلَا مُؤَخَّرِ
وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَزِينُ بِالرَّجُلِ مِنْ رِزْقٍ وَاسِعٍ وَاقِفٍ مِنْهُ اسْتِعْقَاقُهُمْ لِيُطْلَبَ مَعِيشَتُهُ
بِصَّنَاعَةٍ عَلَى أَغْفِ الْوُجُوهِ وَأَرْفَعِهَا وَأَعْفَاهَا وَأَبْعَدَهَا مِنَ الشَّرِّ وَالْخَرَصِ وَأَنَا هَامِنٌ
الطَّمْعِ أَنْفَاحِشٍ وَالْمَأْكُلِ الْخَبِيثِ وَلْيَعْلَمْ أَنَّ كُلَّ فَضْلٍ نَزَلَ بِالْعَالِيَةِ وَالْمَكَابِرَةِ وَبِالْإِسْتِكْرَاهِ
وَالْمُجَاهِدَةِ وَكُلِّ رِيحٍ حَيْزٍ بِالْأَشْمِ وَالْعَارِ وَمَعَ سُوءِ الْقَالَةِ وَقِجِ الْأَحْدَوَةِ أَوْ بِبَذْلِ الْوَجْهِ وَتَرْفِ
الْحَيَاءِ أَوْ بِتَلْمِزِ الْمِرْوَةِ وَتَدْنِيسِ الْعَرَضِ زَهْدِي وَأَنْ عَظُمَ قُدْرُهُ تَزَوَّجَ غُزْرَتِ مَادَتِهِ وَبِئْسَ
وَأَنْ ظَهَرَ هُنَاكَ تَهْوِيهِمْ وَأَنْ كَانَ فِي مَرَّةٍ الْعَيْنُ مَرِيًّا وَأَنْ الصَّفْوَةُ الَّتِي لَا كَدْرَ فِيهِ وَالْعَفْوُ
الَّتِي لَا كَدْرَ مَعَهُ وَأَنْ قَلَّ تَعْدَادُهُ وَخَفِزَتْهُ أَطْيَبُ مَسَدًا وَأَسْلَسَ مَسَاغًا وَأَنْمَى بَرَكَتَهُ
وَأَزْكَى رِيحًا

فَإِذَا حَازَ الْإِنْسَانُ مَا كَتَبَتْهُ عَلَيْهِ تَابَتْ مِنْهُ السَّيْرَةُ الْعَادِلَةُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ بَعْضُهُ مَصْرُوفًا
فِي الصَّدَقَاتِ وَالزُّكُوتِ وَأَرْبَابُ الْمَعْرُوفِ وَبَعْضُهُ مُسْتَبَقِي مَدْخَرِ النُّوَابِ الدَّهْرِ وَاحِدَاتِ
الزَّمَانِ فَأَمَّا الزُّكُوتُ وَالصَّدَقَاتُ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَخْرَاجُهَا بِطَبِيعِ الْفَسِّ وَحَسَنِ النِّيَّةِ
وَانْتِشَاحِ الصَّدْرِ وَالثِّقَةِ بِأَنَّهَا الْعِدَّةُ لِيَوْمِ الْفَاقَةِ وَأَنْ يَوْضَعَ مَعْظَمُهَا فِي أَهْلِ الْخِلَّةِ مَنْ يَسَارُ
النَّاسُ بِفَقْرِهِ وَلَا يَهْتَكِ سِتْرَ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ حَالِهِ وَتَوَخَّى بِيَاقِيمَ مَنْ تَلَحُّقُهُ الرِّقَّةُ مِمَّنْ ظَهَرَتْ
عَيْلَتُهُ وَبَدَتْ مَسْكَنَتُهُ وَأَنْ يُجْعَلَ ذَلِكَ خَالِصًا لِوَجْهِ اللَّهِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ فَلَا يَسْتَشِرُّهُ
شُكْرًا وَلَا يَتَرَصَّلُهُ جَزَاءً

والعروف شرائط احداها تعجيله أهتأله والثانية كتابته فان كتابته أظهر له والثالثة
تصغيره فان تصغيره أكبر له والرابعة ربه ومواصلته فان قطعه ينسب أوله ويحور أثره
والخامسة اختيار موضعها فان الصنعة اذا لم توضع عندهم بحسن احتياؤها يؤدي شكرها
وينشر محاسنها ويقابلها بالود والموالاة كانت كالبنير الواقع في الارض السبعة التي لا تحفظ
الحب ولا تثبت الزرع

فأما الفقهاء فان سدادها واصلاح أمرها بين السرف والشح متردد بين التضييع
والتقدير خلا ان براء ذلك أمر اوجب حسن الثبوت وهو أنه متى استوفى الانسان حقوق
التقدير كلها واستعرف شرائط الاقتصاد أجمع لم يسلم في ذلك على غيرة العاظم وذلك النصفة
وعوم الجور في العضية وشمول البغضاء الموكلة بكل مروءة تامة والخسدة المقرى بكل مجد
بإذخ وسرف شامخ فلماذا ينبغي للعاقل أن يبنى بعض أمره في الاتفاق على عقول عوام
الناس وأن يستعمل كثيرا من التجوز والاعضاء في المواضع التي بحثى فيها شبه السرف
وعار التضييع فان من يمدح السرف من العوام أكثر من يمدح الاقتصاد ويؤثر التقدير كما
أن من يمدح الاقتصاد يؤثر التقدير أحص وأتم عقلا وأحزم رأيا

فأما الذخيرة فلا ينبغي للعاقل أن يغفلها متى أمكنته فان الانسان متى بدده صرف
الزمان بحاجة لم يكن مستظهر الحال فوق حاله واضطر الى الاستعانة بالحال الحاضرة
فيفهمها عروءة حتى يبقى معدما والله ولي الكفاية وحسن الدافع

﴿ سياسة الرجل أهله ﴾

ان المرأة الصالحة شريكة الرجل في ملكه وقيمة في ماله وخليقة في رحله وخير
النساء العاقلة الدينية الحية القطة الودود والود القصبيرة اللسان المطاوعة العنان
الناعمة الحبيب الأمية الغيب الرزان في مجلس الوقور في هيبتها المهيبة في قامتها
الحقيقية المبثلة في خدمتها زوجهما تحسن تديرها وتكثر قليله بتمديرها وتجوأ أحزانه
بجميل أخلاقها وتسلو همومه بلطف مداراتها

وجاء سياسة الرجل أهله بحسم وسط ثلاثة أمور لا تدعه وهي الهيمنة الشديدة
والكرامة التامة وشغل خاطرها بالهم

أما الهيمنة فهي اذا لم تهبط زوجها ان عليها واذا هان عليها لم تسمع لأمره ولم تصغ لنبيه
ثم لم تنفع بذلك حتى تقهره على طاعتها فتعود أمره ويعود أمورا ونصير ناهية ويصير منها

و ترجع مدبرته ويرجع مدبر ذلك الاتسكاس والاتقلاب والويل حينئذ للرجل ماذا يجلب
له ثم دهاوطغيانها ويحنيه عليه قصر رأبها وسوء تدبيرها ويسوق اليه غياور كرمها وهاواها
من العار والشنار والهلاك والدمار فاطمية رأس سياسة الرجل أهله وعمادها وهي الامر
الذي يسند به كل خلة ويتم تمامه كل نقص وينوب عن كل غائب ويغنى عن كل فائت ولا
ينوب عنه شيء ولا يتم دونه أمر فيا بين الرجل وأهله وليست هيبة المرأة بعلها شيئا غيرا كرام
الرجل نفسه وصيانة دينه وهي وءته وتصديقه وعده وعيده

أما كرامة الرجل أهله فمن منافعها أن الحرية الكريمة إذا استجلت كرامة زوجها
دعاها حسن استئصالها وعامتها عليها واشفاقها من زوالها الى أمور كثيرة جميلة لم يكن
الرجل يقدر على اصارتها اليها من غير هذا الباب بالتكليف الشديد والمؤونة الثقيلة على
أن المرأة كلما كانت أعظم شأنًا وأعظم أمرا كان ذلك أدل على نبيل زوجها وشرفه وعلى
جلالته وعظم خطره وكرامة الرجل أهله على ثلاثة أشياء في تحسين شارتها وشدة حجابها
وترك اغارتها

وأما مثل الخطر بالمهم فهو أن يتصل شغل المرأة بسياسة أولادها وتدبير خدمتها وتفقد
ما يضمنه خبرها من أعمالها فان المرأة إذا كانت ساقطة الشغل خالية البال لم يكن لها هم إلا
التعدي للرجال بزنتها والتبرح بها إنما لم يكن لها تفكير إلا في استزادتها فيدعوها ذلك
الى استصغار كرامته واستعمار زمان زيادته وتسخط جلته إحسانه

✽ في سياسة الرجل ولده ✽

ان من حق الولد على والديه إحسان سمعته ثم اختيار نظره كي لا تكون حقا ولا
وراء ولادات عاهة فان اللبن يمدى كاقيل فاد اقلط الصبي عن الرضاع يمدى بتأديبه ورياضة
أخلاقه قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللثيمة وتقائه الشيم الذميمة فان الصبي يتبادر اليه
مساوي الأخلاق وتنال عليه الضرائب الخبيثة فما تمكن منه من ذلك غلب عليه فلم يستطع
له مفارقة ولا عنه نزوعا فينبغي انعم الصبي أن يحببه مفتيح الأخلاق وينسكب عنه معائب
العادات بالترهيب والترغيب والاناس والامحاش والابحاش والاقبان والخدمرة
وبالتوبيخ أخرى ما كان كافيا فان احتاج الى الاستعانة بالعلم يحجم عنه وليكن أول
الضرب قليلا موجه كما أشار به الحكماء قبل بعد الارهاب الشديد وبعد عدو الشفاعة
فان الضربة الأولى اذا كانت موجهة ساء ظن الصبي بتبعها وارتد عنها خوفا واذا كانت

الأولى خفيفة غير مؤلمة حسن ظنه بالباقي فلم يحفل به

فإذا اشتدت مفاسل الصبي واستوى لسانه ونهت ألتلقين ورعى سمعه أخذ في تعلم القرآن وصور له حروف الهجاء ولقن معالم الدين وينبغى أن يروى الصبي الرجز ثم القصيدة فإن رواية الرجز أسهل وحفظه أمكن لأن بيوته أقصر وزنه أخف ويبدأ من الشعر بما قيل في فضل الأدب ومدح العلم ودم الجهل وعيب السخف وما حث فيه على بر الوالدين واصطناع المعروف وقرى الصنف وغير ذلك من مكارم الاخلاق

وينبغى أن يكون الصبي مؤدب عاقلاً ذا دين بصيراً برياضة الاخلاق حاذقاً بتخرج الصبيان وقوراً رزيناً بعيداً من الخفة والسخف قليل التبل والاسترسال بحضرة الصبي غير كثر ولا جامد بل حلو لبيبا ذا مروءة ونظافة وزاهية قد خدس سراة الناس وعرف ما يتباهون به من أخلاق الملوك ويتعابرون به من أخلاق السفلة وعرف آداب المجالسة وآداب المؤاكلة والمحادثة والمعاشرة

وينبغى أن يكون مع الصبي في مكتبه صبيحة من أولاد الجلالة حسنة آدابهم مرضية عاداتهم فإن الصبي عن الصبي ألقن وعنه أخذو به أنس وانفراد الصبي الواحد بالمؤدب أجلب الأشياء لضجرهما فإذا راح المؤدب بين الصبي والصبي كانت ذلك أنفي للساسة وأبقى للنشاط وأحرص للصبي على التعلم والتفريع فإنه يباهي الصبيان مرة ويغبطهم مرة ويأنف من التصور عن شأوهم مرة ثم يعادى الصبيان والمحاذنة تنفيداً لشراح العقل وتعل منعقد الفهم لأن كل واحد من أولئك إنما يحدث بأندب ما رأى وأغرب ما سمع فتكون غرابة الحديث سبباً للتعجب منه والتعجب منه سبباً للحفظ وداعياً الى التحدث به ثم انهم يترافقون ويتعارضون الزيادة ويتكلمون ويتعاضون الحقوق وكل ذلك من أسباب المباراة والمباهاة والمساجلة والمحاكاة وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم وتحريك لهمهمهم ونمير لعاداتهم وادافرع للصبي من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة نظر عند ذلك الى ما يراد أن تكون صناعته فوجه لطريقه فإذا أراد به الكتابة أضاف الى دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب ومناقلة الناس ومحاوراتهم ومما أشبه ذلك رطو ربح الحساب ودخوله الديوان وعنى بخطه وإن أراد به أخرى أخذ به باعداد أن يعلم يدبر الصبي ان ليس كل صناعة ير ومها الصبي ممكنة له مؤتمنة لكن ماشا كل طبعه وناسبه وأنه لو كانت الآداب والصناعات تحجيب وتقاد بالطلب والمرام دون المشاكلة والملازمة اذن ما كان أحد غفلاً من الادب وعارياً من صناعة واذن لأجمع الناس كلهم على اختبار أشرف الآداب وأرفع الصناعات - ومن الدليل على ما قلنا

سهولة بعض الأدب على قوم وصعوبته على آخرين ولذلك نرى واحدا من الناس ثوابه
البلاغة وآخر ثوابه النعوت وآخر ثوابه الشعر وآخر ثوابه الخطب وآخر ثوابه النسب
ولهذا يقال بلاغة القلم وبلاغة الشعر فإذا خرجت عن هذه الطبقة إلى طبقة أخرى وجدت
واحدا يختار علم الحساب وآخر يختار علم الهندسة وآخر يختار علم الطب وهكذا تجد سائر
الطبقات إذا اقلتها طبقة طبقة حتى تدور عليها جميعها ولهذا الاختيارات وهذه المناسبات
والمشاكلات أسباب عامضة وعلل خفية تدق عن افهام البشر وتلطف عن القياس والنظر
لا يعاينها إلا الله جل ذكره

وربما فرط طبع انسان جميع الآداب والصنائع فلم يعلق منها بشئ ومن الدليل على ذلك
ان أناسا من أهل العقل راموا تاديب أولادهم واجتهدوا في ذلك وأنفقوا فيه الاموال فلم
يذكرهم ان ذلك ما حاولوا فذلك ينبغي لمدرسي اذ ارام اختيار الصناعة أن يزن أولاد طبع
الصبي ويسبر قريحته ويخبره ذكاه فيضار له الصناعات بحسب ذلك فإذا اختار له احدي
الصناعات تصرف قدر ميله الباهر وغيبه فيها ونظر هل جرت منه على عرفان أم لا وهل أدوانه
وآلاته مساعده له عليها أم خادله تخيب الغرم فان ذلك أخزم في التدبير وأبعد من أن نذهب
أيام الصبي في الاثوابية ضياعا

فإذا أوغل الصبي في صناعته بعض الوغول فن التدبير أن يعرض للكسب ويحمل
على العيش منها فإنه يحصل في ذلك له منفعتان احدها دأق حلاوة الكسب بصناعته
وعرف غناها وجداها عظيمين لم يضع في إحكامها وبلوغ أقصاها والثانية أنه يعتاد طلب
المعيشة قبل أن يستوطن حال الكفاية فأما قل ما رأينا من أبناء الميسرين سلم من الركون
الى مال أبيه وما اعتدله من الكفاية فلما عول على ذلك قطعه عن طلب المعيشة بالصناعة وعن
التعلي بلباس الأدب فإذا كسب الصبي بضاعته فن التدبير أن يزوجه ويفرد رحله

❦ في سياسة الرجل خدمه ❦

ان سبيل سياسة الخدم والقوام من الانسان سبيل الجوارح من الجسد وكما أنت قوما
قالوا عاجب الرجل وجهه وكتابه قلعه ورسوله لسانه كذلك نقول ان خدعة الرجل يده
ورجله لان من كفالك التعاطي بيدك فقد قام عندك مقامها ومن كفالك السبي رجلك
فقد ناب عنك منها ومن حفظ لك ما تحفظه عينك فقد كفالك كفايتها فضاء الخدم عنك
أيها الانسان كثير ونفع القوم اياك جزيل ولولاهم لأرتج دونك باب من اراحة كبير

ولانسدعك طريق من النعمة مبيع ولا اضطرت الى مواصلة القسام والقعود الى موثر الاقبال والادبار وفي ذلك إتياب الجسد وهو يعد من امارات الخفة ودلائل الترقى وسبل المهانة والضعف وفيه سقوط الهيبة وذهاب الرزاة والركانة وبطالان الأبهة وطرح السمعة والوقار ونبات هذه الخصال يبين المخدم الخادم والرئيس المرووس فينبغي لك أن تحمد الله عز وجل على ما مضر لك منهم وما كفاك وأن تحوطهم ولا تقصمهم وتتفقدهم ولا تهملهم وترفق بهم ولا تعرجهم فانهم بشر يسهم من الكلال والغوب ومن السآمة والفتور ما عيس البشر وتدعوهم دواى حاجاتهم وارادات أجسامهم الى ما فى طباع البشر ارادته والحاجة اليه

وطريق اتخاذ الخدم أن لا يتخذ الانسان خادما الا بعد المعرفة والاختبار له والاعتد به وامتحانه فان لم يستطع ذلك فينبغي أن تعمل فيه التقدير والفراسة والحسد والتوسم وأن تضرب عن الصور المتفاوتة والخلق المضطربة فان الاخلاق تابعة للخلق ومن أمثال القرس أحسن ما فى النسيم وجهه وأن تجانب ذوى العاهات كالعوران والعرجان والبرصان ونحوهم وأن لا تتق منهم بذى الكيس الكثير والدهاء البين فانه لا يعرى من الخب ولا يسلم من المكرو ويؤثر اليسير من العقل والحياء على كثير من الشهامة والخفة

فاذا فرغ من ذلك فليتنظر لآى أمر يصلح الخادم الذى يتخذه وأى صناعة ينهل وأما الذى يظهر رجحانه فيه من الاعمال فليستد به اليه وليستكفه اياه ولا ينقل الخادم من عمل الى عمل ولا يحولنه من صناعة الى صناعة فان ذلك من أمتن أسباب الدمار وأقوى دواى الفساد وما يشبهه من يفعل ذلك الا بمن يكلف الخيل السكراب والبقر الاحضار لأن لكل انسان بابا من المعارف وفن من الصناعات قد سمح له به طباعه واهادته اياه غريزته فصار لديه كالمسجى الى الحيلة فى تركها والضريبة التى لا سبيل الى مفارقتها فن نقل الانسان الخادم مما فدا حسنه وأتقنه ومارسه ولا يسه وألفه واعتماده الى ما يحتاجه له برأيه وينتخبه له بارادته مما ينافر طباعه يضاد جوهره أفسد عليه نظام خدمته وجبره فى طريق مهنته فعاد كالرضيم لا يفده مما نقله اليه بابا الانسيان أبواب مما نقله عنه ومتى عاد به الى الامر الاول وجده فيه أسوأ حالاً منه فيما نقله اليه

ولا ينبغي أن يكون نكرا للانسان على الخادم اذا اراد الانكار عليه صرفه عنه فان ذلك من دلائل ضيق الصدر وقلة الصبر وخفة الحلم ولأنه اذا صرفه احتاج الى غيره بدلامنه واذا استمر به هذه العادة أو شك أن يبقى بالخادم بل ينبغي له أن يقر فى قلوب خدمه ان

أحدا منهم لا يجد الى مفارقة رحله والخروج عن داره وكفنه سبيلا فان ذلك أتم للروءه وأدل على الوفاء والكرم وبعد فان الخادم لا يتوالى ولا ينصح ولا يشفق ولا ينظر ولا يحاط ولا يحامى ولا يذب حتى يتحقق عنده ويصيح لديه انه شريك صاحب في نعمته وقسمه في ملكه وجده حتى يأمن العزل ولا يجد الى الصرف ومتى ظن الخادم أن أساس حرمة غير واطلة ووشائج ذمامه غير راسخة وان مكابه ناب به عند الذنب ووافقه والحزم بفارقه كأن مقامه على صاحبه كعابر سبيل فلا يمتنى بماعناه ولا يهتم بما عراه ولم يكن همه الا ذخيرة يعدها ليوم جفوة صاحبه وظهرة يرجع اليها عند نبوته وازوار جانبه وليكن عندا صاحب خدومه دون صرفهم وان خراجهم وسوى نيتهم واطراحهم منازل من الاستصلاح والتقويم فغن استقام له بالتأديب عوجه واعتدل بالثقاف أو دعه فليشده يدا ويوسع عند الزلة عضوا ومن راجع الذنب بعد التوبة ونقض العهد بعد الانابة فليذقه طر فامن العقوبة ولجسه بعض السطوة ولا يأس من رشده مالم تحل عهدة حياته ويكشف باصراره ومن عصاه معصية صلها يلف دونها أوجني جناية شنعاء لا نقيامها ولا في شرط السياسة اغتفارها فالرأى للصاحب البدار الى الخلاص والافسد عليه سائر الخدم وانقضت الأبواب التي مثلنا فيها ما يحق على الرجل فعله في تدبير نفسه وما يشغل عليه منزله وانما ذكرنا القليل من الكثير والجل دون التفسير ولو شرحنا كل باب بما يشاكله من أخبار الناس وأشعارهم لكان الكتاب أحسن وأكمل الآن أنه يكون أكبر وأطول فأثرنا التفيف على القارئ والتسهيل على الناظر ولرب قليل أربع من كثير وصغير أتم من كبير والله ولي التوفيق والتيسير

﴿ رسالة ﴾

(تربية الاطفال وتعويدهم على الأخلاق الحميدة للغزالي)
اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدّها والصبي أمانة عند والده وقلبه الطاهر جوهره نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش وماثل الى كل ما يمال به اليه فان عودا خير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة فشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب وان عود الشر أو أهمل إهمال البهائم وهلك كان الوزر في رقة القيم عليه والوالى له - قال الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا)

ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا فيأن يصونه عن نار الآخرة أولى وصيائته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من القراء السوء ولا يعود له التعم ولا يجب اليه الزينة وأسباب الرفاهية فيصير عمره في طلبها إذا كبر فيه لك هلاك لا بد بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره فلا يستعمل في حضنته وارضاعه إلا امرأة سالحة مدينة تأكل الحلال فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فإذا وقع عليه نشو الصبي انعجت طينته من الخبث فعمل طبعه إلى ما يناسب الخبائث ومهما رأى فيه مخايل التمييز فينبغي أن يحسن مراقبته وأول ذلك ظهور أوائل الحياة فإنه إذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض الأفعال فليس ذلك إلا لاشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الأشياء فجعا ومخالفة للبعض فصار يستحي من شيء دون شيء وهذه هديته من الله تعالى إليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفاء القلب وهو مبشر بكل العقل عند البلوغ الصبي المسحى لا ينبغي أن يهمل بل يستعان على تأديبه بحميانه وتمييزه وأول ما يثقل عليه من الصفات شره الطعام فينبغي أن يؤدب فيه مثلاً أن لا يأخذ الطعام إلا بيمينه وأن يقول عليه باسم الله عند أخذه وأن يأكل مما يليه وأن لا يبادر إلى الطعام قبل غيره وأن لا يحدق النظر إليه ولا إلى من يأكل وأن لا يسرع في الأكل وأن يجيد المضغ وأن لا يوالى بين القوم ولا يطلع يده ولا ثوبه وأن يعود الخبز القفار في بعض الاوقات حتى لا يصير الأدم حتماً ويقع عنده كثرة الأكل بأن يشبه كل من يكثر الأكل بالبهائم وبأن يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الأكل ويمدح عنده الصبي المتأدب القليل المأكل وأن يحبب إليه الايثار بالطعام وقلة المباطرة به والقناعة بالطعام الخشن أى طعام كان وأن يحبب إليه من الثياب البيض دون الملون والابرسم ويقرر عنده ان ذلك شأن النساء والمختنين من الرجال يستنكفون منه ويكر ذلك عليه ومهما رأى على صبي ثوباً من ابرسم ملون فينبغي أن يستنكره ويذمه

ويحفظ الصبي عن الصبيان الذين عودوا التعم والرفاهية ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمع ما يرغبه فيه فإن الصبي مهما أهمل في ابتداء نشوءه وخرج في الغلب ردىء الاخلاق كذاباً حسوداً سراً وقائماً لحواد افصول وخبثاً وكيداً ومجانةً وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب ثم يستغل في المكتب فيتعلم القرآن وأحاديث الاخبار وحكايات الابرار وأحوالهم ولينفوس في نفسه حب الصالحين ويحفظ من الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله ويحفظ من مخالطة الادباء الذين يزعمون أن ذلك من النترف ورقة الطبع فإن ذلك يفسد في قلوب الصبيان بذور الفساد ثم هم ما ظهر من

المجي خلق جيل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يشرح به ويشرح بين
أظهر الناس فإن خالف ذلك في بعض الاحوال مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك
ستره ولا يكشفه ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله ولا سيما إذا ستره المجي
واجتهدى إخفائه فإن أظهر ذلك عليه بما يفده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة فعند ذلك
إن عاد ثانيا فينبغي أن يعاتب سرا ويعظم الامر فيه ويقال له اياك أن تعود بعد ذلك مثل هذا
وأن يطلع عليك في مثل هذا فتقضي بين الناس ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين
فانه يهون عليه سماع الملامة وركوب القباح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليسكن الابد
حافظا لهذه الكلام معه فلا يوحى له أحيانا والأم تحفو فبالاب وتزجره عن القباح وينبغي
أن يمنع عن النوم نهارا فانه يورث الكسل ولا يمنع منه ليلا ولكن يمنع الفرش الوطيفة
حتى تصلب أعضاؤه ولا يسمن بدنه فلا يصبر عن التعميل يعود الخسونة في الفرش والملبس
والطعم وينبغي أن يمنع من كل ما يقع له في خفيه فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد أنه قبح فاذا تعود
ترك فعل القبح ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يثقل عليه الكسل
ويعود أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما الى صدره ويمنع
من أن يقصر على أقرانه بشئ مما يملكه والده أو بشئ من مطامعه أو ملابسه أو لوجه ودوابه بل
يعود التواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم ويمنع من أن يأخذ
من الصبيان شيئا بدله حشمة إن كان من الاولاد المحتشمين بل يعلم أن الرفعة في الاعطاء لا في
الاخذ وإن الأخذ لوم وخسة ودناءة وإن كان من أولاد الفقراء فيعلم أن الطمع والأخذ
مهانة وذلة وأن ذلك من دأب السكاب فانه يبصص في انتظار لقمة والطمع فيها وبالجملة يقبح
الى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما أضرم آفة السموم على الصبيان بل على
الأكابر ايضا

وينبغي أن يعود أن لا يصدق في مجلسه ولا يمتط ولا يبتاع بمحضرة غيره ولا يستدبر
غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضع كفه تحت ذقنه ولا يمد رأسه بساعده فإن ذلك دليل
الكسل ويعلم كيفية الجلوس ويمنع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك يدل على الوقاحة وأنه
فعل أبناء اللثام ويمنع الميثر رأسا صادقا كان أو كاذبا حتى لا يعتاد ذلك في الصغر ويمنع أن
يبتدأ بالكلام ويعود أن لا يتكلم إلا جوابا بقدر السؤال وأن يحسن الاستماع مهما تكلم
غيره ممن هو أكبر منه سنا وأن يقوم لمن فوقيه ويوسع له المسكن ويجلس بين يديه ويمنع من
لعو الكلام وخشيه ومن اللعن والسب ومخالطة من يجري على لسانه شئ من ذلك فإن ذلك

يسمى لا محالة من القراء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قراء السوء
وينبغي إذا ضربه معلمه أن لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع بأحد بل يصبر
ويذكر له أن ذلك دأب الشجعان والرجال وأن كثرة الصراخ دأب المالك والنسوان
وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جليلاً يستريح به من
تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب فإن منع الصبي من اللعب وارهاقه إلى التعلم دائماً
يميت قلبه ويبطل ذكائه وينقص عليه العيش حتى يطلب الجملة في الخلاص منه رأساً
وينبغي أن يعلم طاعة والده ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر منه سناً من قريب وأجنبي
وأن ينظر إليهم بعين الجلالة والتعظيم وأن يترك اللعب بين أيديهم ومهما بلغ سن التمييز فينبغي
أن لا يسمح في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان ويجنب لبس
الحرير والديباغ والذهب ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع ويخوف من السرقة
وأكل الحرام ومن الخيانة والكذب والفحش وكل ما يغلب على الصبيان فإذا وقع نشؤه
كذلك في الصبا فهم اقرب البلوغ يمكن أن يصرف أسرار هذه الأمور فيذكر له أن
الأطعمة أدوية وإنما المقصود منها أن يقوى الإنسان بها على طاعة الله عز وجل وأن الدنيا
كلها لأصل لها إذا لبقاء لها وان الموت يقطع معها وانها دار يمر لدار مقر وان الآخرة
دار مقر لا دار يمر وان الموت ينتظر في كل ساعة وان الكيس العاقل من تزود من الدنيا
للآخرة حتى تعظم درجته عند الله تعالى ويتسع فيه في الجنان
فإذا كان بشؤ الصبي صالحاً كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثراً ناجعاً يثبت
في قلبه كايثبت النقش في الحجر وان وقع التشوُّب بخلاف ذلك حتى ألف الصبي اللعب
والفحش والوقاحة وشربه الطعام واللباس والترين والتفاخر نبأ قلبه عن قبول الحق نبؤة
الحائط عن التراب اللباس فأوائل الأمور هي التي يبيعها أن تراعى فإن الصبي بجوهره خلق
قابلاً للتخبر والشر جمعه وإنما أبواه يمدلان به إلى أحد الخابئين قال صلى الله عليه وسلم كل
مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه أو مجسانه اه
فالأدب حسن في الرجال والنساء جميعاً يحسن الأدب في النساء لما فيه من رقة
الطبيعة والمحاسن المعوية فالمرأة بالادر جميلة حسا ومعنى لأن الأدب كمال اقتضته حكمة
الباري عز وجل في حقهن
فالمرأة مساوية للرجل في الارزاق ولأن أصلهما واحد كإجاء في الكتاب العزيز يأبها

الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء

وينبغي أن تترك المرأة على حياتها الآن الحياء صفة ممدوحة في النساء وهو زيتها فلا تمسه التريبة بمحو ولا تخفيف ويجب الاحتراز في تديره بدون تبذير ولا تقدير

المقالة السادسة

﴿ في الرئاسة والسياسة ﴾

(وفيها ستة فصول)

الفصل الاول

في

﴿ تعريف السياسة وموضوعها ﴾

عرفت العرب السياسة بأنها علم يعرف منه أنواع الرياسات والاجتماعات المدنية وأحوالها من أحوال السلاطين والملوك والأمراء وأهل الاحتساب والقضاء وزعماء الأموال وكل ما يبيت المال وعن يجرى محرامهم وموضوعها المراتب المدنية وأحكامها ومنفعاتها معرفة الاجتماعات المدنية الفاضلة والمراد وجه استيفاء كل واحد منها ودفع علل زواياها وجهات انتقالاتها ومن أعظم أسباب انتقال الدولة الا خلال بركن من أركان شريعته ومن جملة مسائلها معرفة ما ينبغي عليه الملك والسلطنة في نفسه وحال أعوانه وأمر رعاياه وعمارة المدن وعند تعلم ما يحتاج اليه الملوك وسائر الناس لما ان الانسان مدنيا بالطبع ويجب تلبية اختيار المدينة لفاصلة مسكنه والرحيل عن المردية وأن يعلم كيف يفتح أهل مدينته ويتوقع منه

لا ولا تعجلن الى تصديق ساع فان الساعي غاش وان تشبه بالناهيين

ولا تدخل في مشورتك بتجلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جباناً يضعفك
عن الامور ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور فان البخل والجبن والحريص غرار شقي
يجمعهم اسوء الظن بالله

ان شرّ وراثتك من كان للامشرار قبلك وزيرا ومن شركهم في الآثام فلا يكون لك
بطانة فانهم اعوان الائمة واخوان الظلمة وانت واجد منهم خير الخلف من له مثل آرائهم
وتقادهم وليس عليهم مثل آصارهم وأوزارهم ممن لم يعاون ظالما على ظلمه ولا آتاعلى ائمه
أو لثك أخف عليك مؤونة وأحسن لك معونة وأحنى عليك عطفاً لغيرك إلفاً فاتخذ أولئك
خاصة تلاواتك وحفلاتك - ثم ليسكن آثرهم عندك أقولهم بمحقك وأقلهم مساعدة فيما
يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعاً من هواك حيث وقع

والصدق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على ان لا يطروك ولا يبحوك بباطل لم تفعله
فان كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدنى من العزة

ولا يكون المحسن والمسي عندك بمنزلة سواء فان في ذلك تهديدا لاهل الاحسان في
الاحسان وتنديباً لاهل الاساءة على الاساءة وألزم كل منهم ما ألزم نفسه

واعلم انه ليس شيء يادى الى حسن ظن راع برعيته من احسانه اليهم وتخفيفه المؤونان
عليهم وترك استكراهه اياهم على ما ليس قبلهم فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن
الظن برعيته فان حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا وان أحق من حسن ظنك به لمن
حسن بلاؤك عنده وان أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده

ولا تنقص سنة صالحه عمل بها صدوره هذه الامة واجتمعت بها الالفه وصلحت عليها
الرعية ولا تحدث سنة تضر بشئ من ماضى تلك السن فيكون الأجر لمن ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده

وأكثر مدارسة العدا ومنافقة الحسداء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك واقامة
ما استقام به الناس قبلك

واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ولا غنى بعضها عن بعض فتهاجنوا الله
ومنها كتاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل ومنها اعمال الانصاف والرفق ومنها أهل
الجزية والخراج من أهل الذمة ومساعدة الناس ومنها التجار وأهل الصناعات ومنها الطبقة
السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة - وكلما قسمه الله سبحانه ووضع على حده فريضة في كتابه

أوستنبيه صلى الله عليه وآله عهداً منه عندنا محفوظاً

فالجنود باذن الله حصون الرعية وزين الولاية وعز الدين وسبل الامن وليس تقوم الرعية الا بهم ثم لا قوام للجنود الا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم - ثم لا قوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون من المعاهد ويجمعون من المنافع ويؤمنون عليه من خواص الامور وعوامها - ولا قوام لهم جميعا الا بالتجار وذوى الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقوونهم من أسواقهم ويكفونهم من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم - ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفقهم ومعونتهم وفي الله لكل سعة ولكل على الوالى حق بقدر ما يصلحه وليس يخرج الوالى من حقيقة ما أئتمه الله من ذلك الا بالاهتمام والاستعانة بالله وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فباخف عليه أو تقل

قول من جنودك أنصهم في نفسك لله ولرسوله ولا ممالك وأنقام جبابرة أظلمهم حاملاً ممن يبطئ عن الغضب ويستريح الى العذر ورؤوف بالضعفاء وينبوعلى الأقوياء وممن لا يثبته العنف ولا يقعه به الضعف

ثم الصق بذوى الأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثم أهل النجدة والشجاعة والمضاء والسباحة فانهم جاع من الكرم وشعب من العرف ثم تقف من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما ولا يتفان في نفسك شئ قويتهم به ولا تحقرن لطفاتعاهدتهم به وان قل فانه داعية لهم الى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اسكالا على جسمها فان لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به والجسيم موقعا لا يستغنون عنه

وليكن آخر رؤوس جنسك عندك من واساهم في معوته وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهلهم حتى يكون مهمهم واحد في جهاد العدو فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك وان أفضل فترة عين الولاية استقامة العدل في البلاد وطهور مودة الرعية وانه لا تظهر مودتهم الا بسلامة صدرهم ولا تصح نصيحتهم الا بحيطتهم على ولادة أمورهم وقلة استئصال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدنتهم فأفسح في آمالهم وواصل في حسن الثناء عليهم وتعديداً أبلى دووا البلاء منهم فان كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع وتحرض الناك كل ان شاء الله ثم اعرف ان لكل امرء مهم ما أبلى ولا تضيق بلاء امرء الى

غيره ولا تقصرن به دون غايته بلائيه ولا يدعونك شرف امرء الى أن تعظم من بلائه ما كان صغيرا ولا ضعة امرء الى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيما

وارد الى الله ورسوله ما ضللك من الخطوب ويشبه عليك من الأمور فقد قال الله تعالى لقوم أحب ارشادهم (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول) فالرد الى الله الأخذ بحكم كتابه والرد الى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غيرا للمفرقة

ثم اختر للمحكم بين الناس أفضل رعيته في نفسك بمن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم ولا تبأدي في الزلة ولا يحصر من النية الى الحق اد اعرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه أو وقفهم في الشبهات وأخذهم بالحجج وأقلمهم تبرما بمرآة الخضم وأصبرهم على تكشف الأمور وأصرهم عند انضاح الحكم بمن لا يزدهيه أطراء ولا يستقيه اغراء وأولئك قليل ثم أكثر تعاهد قضائه وأفسح له في البذل ما ينزىل علة وتقل معه حاجته الى الناس وأعطه من المنزل لذيك ما لا يطمع فيه غير من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك فانظر في ذلك نظرا بليغا فان هذا الدين قد كان أسيرا في أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى ويطلب به الدين

ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختاروا ولا تولم بحياة وآترة طاهما جماع من شعب الجور والخيانة ونوخهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقديم في الاسلام المتقدمه فاهم أكرم أخلاقا وأصح اعراضا وأقل في المطامع إشراها وأبلغ في عواقب الأمور نظرا ثم أسبغ عليهم الأرزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم وحجة عليهم ان خالفوا أمرك أو نكروا أمانتك ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم فان تعاهدك في السر لأموهم حدودهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية وتحفظ من الأعوان فان أحسد منهم بسط يده الى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عمونك اكتب بذلك شاهدا فبسطت عليه العقوبة

في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله ثم نصبته بمقام المنالة وسعته بالخيانة وقلده عار النجاسة وتفقد أهل الخراج بما يصلح أهله فان في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم الا بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج وأهله وليكن نظرك في عمارة الارض أبليغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك الا بالمهارة ومن طلب الخراج بغير عمارة أخبر البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره الا قليلا فان شكوا انقلأ وعلمه أو انقطع اشرب أو باله أو أحواله

أرض اغمرها غرق أو أجففها عطش خففت عنهم بما رزقوا أن يصلح به أمرهم. ولا يتقبلن عليك شي خففت به المؤونة عنهم فإنه ذو خير يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزوين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتقداً بفصل قوتهم بما ذخرت عندهم من أجاملك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتلاوه طيبة أنفسهم به فإن العموان محفل ما جلته وانما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها وانما يعوز أهلها لاشراف أنفس الولاية على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر

ثم انظر في حال كتابك قول على أمورك خيرهم واخصص رسائل التي تدخل فيها مكائلك وأمرارك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك في خلافك بمحضرة ملأ ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك وإصدار جواباتها على الصواب عنك فيما أخذك ويعطى منك ولا تضع عقداً اعتقده لك ولا يهجز عن إطلاق ما عقد عليك ولا يجعل مبلغ قسر نفسه في الأمور فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أهمل ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستانامك وحسن الظن منك فإن الرجال يعرفون لقراساب الولاية بتصعبهم وحسن خدمتهم وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء ولكن اخترهم بما أولوا للصالحين في ذلك فاعمد لأحسنهم كان في العامة أو أراعر فهم بالأمانة وجهاً فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولن وليت أمره واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم لا يقره كبرها ولا يتشت عليه كبرها ومهما كان في كتابك من عيب فتعاييت عنه الزمته

ثم استوص بالتخار ودوى الصاعاب وأوص بهم خبير المقيم منهم والمضطرب بماله والمتروك بسدنه فافهم مواد المافع وأسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح في برك وبجرك وسهلك وجبك وحيث لا يلتزم الساس لمواضعها ولا يجترئون عليها فاهم سلم لا تخاف بالثقة وصلح لا تحشى غائلته وتنفذ أمورهم بمحضرتك في حوائج بلادك واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً ونداهة فاجتازوا حتمكار البدافع وتحكم في البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاية فامنع من الاحتكار فإن رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه وليكن البيع بيعاً معاً عموماً من العدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع من قارف حكرة بعدته يكايه فشكل به وعاقب غير أسراف ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البومى

والزمني فإن في هذه الطبقة قانعا ومعترا واحفظ الله ما استخفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوا في الاسلام في كل بلد فان للارقصى منهم مثل الذي للادنى وكل قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم بطر فانك لا تعذر بتضييعك التافه الاحكام الكثير المهم فلا تشخص همك عنهم ولا تصرخ ذلك لهم وتفقد أمور من لا يصل اليك منهم ممن تقعه العيون وتحقره الرجال ففرغ لأولئك تقتلك من أهل الخشية والتواضع فليرفع اليك أمورهم ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله فان تلقاء فان هؤلاء من بين الرعية أحوج الى الانصاف من غيرهم وكل فاعذر الى الله في تأديبه حقه اليه وتعهده أهل اليم وذوى الرأفة في السن من لا حيلة له ولا ينصب للسئلة نفسه وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة قصيرا وأنفسهم وثقوا بصدق وعود

الله لهم

واجعل لذوى الحاجات منك قسما تفرع لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عما افتتواضع فيمنه الذي خلقك وتقدم عنهم جندك وأعوانك من احراسك وشركك حتى يكملك متكلمهم غير مستمتع فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطن (لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوى غير مستمتع) ثم احقل الخرق منهم والى ونح عنهم الضيق والاف بيست الله عليك بذلك كافي رحته ووجب لك ثواب طاعته وأعط ما أعطيت هنيئا وامنع في اجمال واعذار

ثم أمور من أمور لا يبدل من مباترتها منها اجابة عمالك بما يبي عنه كتابك ومنها اصدا حاجات الناس يوم ورودها عليك مما تعرج به صدور أعوانك وامض لكل يوم عمله فان لكل يوم مافيه واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت وأجزل تلك الأقسام وان كانت كلها الله اذا صاححت فيها النية وسلمت منها الرعية

وليكن في خاصة ما ملخص به لله دينك إفاضة فرائضه لتي هي له خاصة فاعط الله من يدك في ليالك ونهارك ووف ما تقرب به الى الله من ذلك كإعلامهم ما لم ولا مقصود بالغام من يدك ما باعق وادافق في صلاتك للناس فلا تكون من مفرا ولا مضعا فان في الناس من به العلة وله الحاجة وقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله حين وجهني الى اليمن كيف أصلى بهم فقال (صل بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحما)

وأما بعد فلا تطولن احتجاجك عن رعيته فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمور والاحتجاب منهم بقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم

عظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح وينساب الحق بالباطل وإنما الوالد
بشر لا يعرف ما تورى عنه الناس به من الأمور وليست على الحقوق تصرفها من رغب
الصدق من الكذب وإنما أنت أحسن جليل أما امرؤ سخط نفسك بالبذل في الحق فقيم
احتجابك من واجب حق تعطيه أو فعل كرم تسديه أو مبتلى بالمنع فأسرع كشف الناس عن
مسألتك إذا أسوا من بذلك مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤنة فيه عليك من
شكاة مظنة أو طلب انصاف في معاملة

ثم إن اللوالب خاصة وبطانة فيهم استتار وتطاول وقلة انصاف في معاملته فاحسب مادة
أو لئلك تقطع أسباب تلك الأحوال ولا تقطن لأحد من حاشيتك وحامتك قطية ولا يطمعن
منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يلهمان الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤنته على
غيرهم فيكون مهنأ ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا والآخرة

وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك صابرا محتسبا واقعا ذلك من
قربتك وخاصتك حيث وقع وابتغ عاقبته بما ينقل عليك منه فإن مغبة ذلك محمودة

وان ظمت الرعية بك حيفا فأحذر لهم بعدرك وأعدل عنك ظنونهم بأعمالك فان في
ذلك رياضة منك لنفسك ورفقا برعبتك وإعذارا لبلغ به حاجتك من تقويهم على الحق

ولا تدفن صلحا عدوك إليه عدوك ولله فيه رضى فان في الصلح دعة لجنودك وراحة
من هومك وأمن البلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما

قارب ليتغفل فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو
ألبيسته منك ذمة لخط عهدك بالوفاء وارع دمتك بالأمانة واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت

فانه ليس من فرائض الله شئ الناس أشد عليه اجتماعا مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من
تعظيم الوفاء بالعمود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استولوا من عواقب

الغدر فلا تغدرن بدمتك ولا تخينين بعهدك ولا تختلن عدوك فانه لا يجترأ على الله إلا جاهل
شقي وقد جعل الله عهده ودمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته وحرمانه يكون الى منعه

ويستفيضون الى جواره فلا تدغال ولا مد السوء ولا خداع فيه ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل
ولا تعولن على لحن قول بعد التأكيده والتوثيق ولا بدعوك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله

الى طلب انفساخه بغير الحق فان صبرك على ضيق أمر ترجوا نراقه وفضل عاقبته خير
من غدر تخاف تبعته وان تحبط بك من الله فيه طلبة فلا تستعيل فهادنياك ولا تخترتك

إياك والدماء وسفكها بغير حلها فانه ليس شئ ادعى لقمته ولا أعظم لتبعه ولا أحرى بزوال
(١٨)

نعمه وانقطاع مدته من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه مبغى بالحكم بين العباد فيها
تسافكو من الدماء يوم القيامة فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك مما يضعفه
وبوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمدة لان فيه قود البدن وان
ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بعقوبة فان في الوكزة فافوقها
مقتلة فلا تطمعون بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي الى أولياء المقتول حقهم
واياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحجب الاطراء فان ذلك من أوثق فرص
الشیطان في نفسه لم يحق ما يكون من احسان المحسنين

واياك والمن على رعيته باحسانك أو التزديفيا كان من فلك أو ان تعدهم فتبجع
موعدك بخلفك فان المني بطل الاحسان والتزديف يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت
عند الله والناس قال الله تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون

واياك والعجلة بالأمر قبل أو أنها أو التسقط فيها عند إمكانها أو اللجاجة فيها اذا
تنكرت أو ألوهن عنها اذا استوحشت فضع كل أمر موضعه وأوقع كل أمر موقعه
واياك والاستئثار بالناس في اسوة والتغابي عما يعني به مما قد وضع العيون فاهه مأخوذ
منك لغبرك وعما قبل تنكشف عنك أغطية الأمور ويتصف منك للظلم

املك حية أنفك وسورة حدك وسطوة يدك وغرب لسانك واحترس من كل ذلك
بكف البادرة وتأخير السطوة حتى يسكن غضبك فذلك الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك
حتى تكثر همومك بذكر المعاد الى ربك

والواجب عليك أن تتذكر ماضى من تقدمك من حكومة عادلة أو سعة فاضلة أو آخر عن
نبينا صلى الله عليه وآله أو فريضة في كتاب الله فتقدي بما شاهدت مما علمنا به فيها وتجتهد
لنفسك في اتباع ما عهدت اليك في عهدي هذا واستوقفت به من الخجة لنفسي عليك لكيلا
تكون لك علة عند تسمي عن نفسك الى هواها

وأنا سأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة أن يوفقني واياك لما فيه
رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه مع حسن النساء في العباد وجيل الأثر في
البلاد وتعام النعمة وتضعيف الكرامة وأن يحتم لي ولك بالسعادة والشهادة إنا اليه راغبون
والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا والسلام

﴿ كتاب طاهر بن الحسين قائد المأمون ﴾

لأنه عبد الله بن طاهر لما ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما فكتب إليه أبو طاهر كتابه المشهور عهد إليه فيه وصاه بجميع ما يحتاج إليه في دولته وسلطانه من الآداب الدينية والخلقية والسياسات الشرعية والملكوتية وحثه على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم بما لا يستغنى عنه ملك ولا سوق

أما بعد - عليك بتقوى الله عز وجل ولا شريك له وخشيته ومحرفته ومزاياه سخطه واحفظ رعيته في الليل والنهار والزم - ألبسك الله في العافية بالذكر لمعادك وما أنت صائر إليه وموقوف عليه ومسؤول عنه والعمل في ذلك كله بما يبعثك الله عز وجل وينجيك يوم القيامة من عقابه وألم عذابه فإن الله سبحانه وتعالى قد أحسن إليك وأوجب عليك الرأفة لمن استرعاك أمرهم من عباده وألزمك العدل فيهم والقيام بحقه وحدوده عليهم والذب عنهم والدفع عن حريمهم ويصنعهم وألحقن لدمائهم والامن لسبلهم وادخل الراحة عليهم ومؤاخذك بما فرض عليك وموفقك عليه وما لك عنهم ومسيبك عليه بما قدمت وأخرت وفرغ لذلك فهمك وعقلك وبصرك ولا يشغلك عنه شغل فانه رأس أمرك وملاك شأنك وأول ما يوفقك الله عز وجل به لرشدك وليكن أول ما تزم به نفسك وينسب إليه فعلك المواظبة على ما افترضه الله عز وجل عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك وعلى سنتهم أسباع الوضوء وافتتاح ذكر الله عز وجل فيها وترتل في فرائئك وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك وتصدق فيها لربك ونبيك واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك وإدأب عليها فانها كما قال عز وجل تنهى عن الفحشاء والمنكر ثم اتبع ذلك بالأخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالتأبيرة على خلائقه واقفاء آثار السلف الصالحين بعده فاذا ورد عليك أمر فاستعن بالله عليه باستخارة الله عز وجل وتقواه وازم ما أنزل الله تعالى في كتاب من أمره ونهيته وحلاله وحرامه وإتمام ما جاء به الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قم فيه بما يحق الله عز وجل عليك ولا تغفل عن العدل فيما أحببت أو كرهت لقريب من الناس أو بعيد أو أقر الفقه وأهله والدين وحلته وكتاب الله عز وجل والعالمين به فإن أفضل ما يزين به المرء اتقاه في دين الله والطلب له والحث عليه والمعرفة بما يتقرب به منه إلى الله عز وجل فإن الدليل على الخير كله والقائد إليه والأمر به والنهي عن المعاصي كلها هو جامع توفيق الله يزداد لبعده معرفة

واجلا لاودر كاللدرجات العلى فى المعاد مع ما فى ظهوره والناس من التوفير لأمرك والهبة
لسلطانك والانس بك والثقة لعدلك وعليك بالاقتصاد فى الامور كلها فليس شئ أبين نفعاً ولا
أحضر أمناً ولا أجمع فضلاً منه والقصد اعية الى الرشد والارشاد دليل على التوفيق والتوفيق
قائد الى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد فأثره فى دنياك كلها ولا تنصر
فى طلب الآخرة والاعمال الصالحة والسنن المعروفة ومعالم الرشد ولا غاية لاستكثار الرب
والسعى له اذا كان يطلب به وجهه ومرضاته ومرافقة أولياء الله فى دار كرمته

واعلم ان القصد فى شأن الدين يا ورث العز ويحصن من الذنوب وانك لن تحوط نفسك
ومررتك ولا تستصلح أمورك بأفضل منه فإنه واغتهبته تم أمورك وتزد مقدرتك وتصلح
خاصتك وعامتك وأحسن ظنك بالله عز وجل تستقيم لك رعيتك والنفس الوسيلة اليه فى
الامور كلها تستدم به النعمة عليك ولا تنهم أحد من الناس فيما تولى به من عملك قبل أن
تكتشف أمره فان ايقاع السهم بالبراءة والظنون السيئة بهم أثم فاجعل من شأنك حسن
الظن بأصحابك وأطرد عنك سوء الظن بهم وأرفضه فيهم بفنك ذلك عن اصطناعهم
ورباضتهم ولا يجدن عدو الله الشيطان فى أمرك مغرأه انما يكتب بالقليل من وهنك
فيدخل عليك من العم فى سوء الظن ما ينقص لاداة عيشك واعلم انك تجد بحسن الظن قوة
وراحة وتكتفى بما أجبت كفايته من أمورك وتدعو به الناس الى محبتك والاستقامة
فى الأمور كلها وبمنحك حسن الظن بأصحابك والرافقة برعيتك أن تستعمل المسألة والبحث
عن أمورك والمباشرة لأمور الأولياء والحيطة للرعية والنظر فيما يقبها ويصلحها بل
لتسكن المباشرة لأمور الأولياء والحيطة للرعية فى النظر فى حوائجهم وحل موانعهم أن
عندك مما سوى ذلك فانه أقوم للدين وأحياء للسنة وأخلص فى نيتك فى جميع هذا وتفرد
لتقوم نفسك تفرد من يعلم انه مسؤول عما صنع ومجزى بما أحسن وما خوذ بما أساء فان الله
عز وجل جعل الدين حرزاً وعزاً ورفع من أتبعه وعززه فأسلك بمن نسوسه وترعاه نهج
الدين وطريق الهدى وأقم حدود الله عز وجل فى أهحاب الجرائم على قدر منازلهم وما
استحقوه ولا تعجل ذلك ولا تهاون فيه ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة فان فى تقريرك فى
ذلك ما يفسده عليك حسن ظنك وأعزم على أمرك فى ذلك بالسنن المعروفة وجانب البدع
والشبهات ليسم لك دينك وتقم لك مروءتك واذا عاهدت عهداً فأوفى واذا وعدت خبر
فأتجزه وأقبل الحسنة وادفع بها وانمض عن كل ذنب من رعيتك واشدد لسانك عن قول
الكذب والزوروا بنقض أهل النجاسة فان أول فساد أمورك فى عاجلها وأجلها تقرب

الكذب والجراءة على الكذب لأن الكذب رأس المأثم والزور والنفقة خاتمتها لأن النفقة لا يسلم صاحبها وقائلها لا يسلم له صاحب ولا يستقيم لطبعها أمر وأحب أهل الصلاح والصدق وأعز الأشراف بالحق وواصل الضعفاء وصل الرحم وابتغ يدبك وجه الله تعالى وأعزاز أمره والنفس في ثوابه الدار الآخرة واجتنب سوء الأهواء والجور واصر في غيرها رأيك وأظهر برأتك من ذلك لرعيتهك وأنعم بالعدل في سياستهم وقم بالحق فيهم وبالعرفه التي تنتهي بك إلى سبيل الهدى والملك نفسك عند الغضب وأمر الوفاق والحلم وإياك والحدة والطيش والترور فإياك أنت بسبيله وإياك أن تقول أنا مسلط أفعل ما شاء فإن ذلك سريع فيك إلى نقص الرأي وقلة اليقين بالله وحده ولا شريك له وأخلص لله النية فيه واليقين به - واعلم أن الملك لله يؤتمنه من يشاء وينزع من يشاء ولن تجد تغيير النعمة وحلول النعمة إلى أحد أسرع منه إلى جهلة النعمة من أصحاب السلطان والمبسوط لهم في الدولة إذا كفروا نعم الله وإحسانه واستطالوا بما آتاهم الله عز وجل من فضله ودع عنك شرف نفسك ولتكن ذخائرك وكنوزك التي تدخر وتكثر البر والتقوى والعمل واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتفقد لأموالهم والحفظ لدمائهم والاعانة للملوهم

واعلم إن الأموال إذا كثرت وذخرت في الخزائن لا تنمو وإذا كانت في إصلاح الرعية وإعطاء حقوقهم وكف المؤنة عنهم تمتد وتزيب به الولاة وطاب به الزمان واعتقد فيه العز والمنعة - فليكن كنز خزائنك تقريق الأموال في عمارة الاحلام وأهله وفرق منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم وأوف رعيته من ذلك حصصهم ونعمه ما يصلح أمورهم ومعاشهم فانك إذا فعلت ذلك فرت النعمة عليك واستوجبت المزي من الله عز وجل وكنت بذلك على جباية خراجك وجع أموال رعيته وعمك أقدر وكان الجميع لما نفعهم من عدلك وإحسانك أسلس لطاعتك وأطيب نفسا بكل ما أوردت فاجهد نفسك فباجدتك في هذا الباب ولتعظم خشيتك فيه فاعلم أن تسليك الدنيا في سبيل الله بحقه واعرف للشاكرين شكرهم وأنهم عليه وإياك أن تسليك الدنيا وغرورها هاول الآخرة فتهاون بما يحق عليك فإن التهاون يورث التفريط والتسريط يورث البوار وليكن عملك لله عز وجل وفيه أرج الثواب فإن الله سبحانه وتعالى قد سبغ نعمته عليك في الدنيا وأظهر لديك فضله فاعتم به بالشكر وعليه فاعتمد بذلك لله خيرا وإحسانا فإن الله عز وجل يثبت بقدر شكر الشاكرين وسره المحسنين وفضل الحق فيما حل من النعم والبس من البكره ولا تحقر دنيا ولا تاملن حاسدا ولا ترحن

فاجرا ولا تملن كفورا ولا تدهن عدوا ولا تصدن نماما ولا تأمن غدارا ولا توالين
فاسقا ولا تبعن غاديا ولا تحمدن عمرا ثيا ولا تحقرن إنسانا ولا تردن سائلا فقيرا ولا
يحسبن باطلا ولا تلاحظن مضحكا ولا تحلفن موعدا ولا تزهن فخرا ولا تظهرن غضبا
ولا تأسبن ندما ولا تمشين مرحا ولا تزكين سفيا ولا تفرطن في طلب الآخرة ولا تدفعن
الايام عتبا ولا تغمضن عن ظالم رهبة منه أو محابة ولا تطلبن ثواب الآخرة بالدينا وأكثر
مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم وخدم أهل التجارب وذوى العقل والرأى
والحكمة ولا تدخلن في مشورتك أهل الرقة والبخل ولا تسمعن لهم قولاً فإن ضررهم أكثر
من نفعهم وليس شيء أسرع فسادا لما استقبلت فيه أمر رعيته من الشخ واعلم أنك إذا كنت
حرصا كنت كثيرا الأخذ قليل العطية وإذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك إلا قليلا فإن
رعيته انما تعقد على محبتك بالكف عن أموالهم وترك الجور عليهم ووال من صفالك من
أوليائك بالافضل عليهم وحسن العطية لهم فاجتنب الشخ واعلم أن أول ما عصى به الإنسان
وبه دان العاصي بمنزلة خزي وهو قول الله عز وجل ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون
فسهل طريق الجود بالحق واجعل للسامين كلهم من فينك حظا ونصيبا وأيقن أن الجود من
أفضل أعمال العباد فأعده لنفسك خلقا واراض به عملا ومنهجا وتفقدا لجنه في دواوينهم
ومكاتبهم وادبر عليهم أرزاقهم ووسع عليهم معاشهم لينهب الله بذلك فاقتهم فتقوى لك
أمرهم وتزبد به قلوبهم في طاعتك وأمرك خلوصا واشمرا حاسب ذي السلطان من
السعادة أن يكون على جنده ورعيته ذارحة في عدله وحيطته وانصافه وعنايته وشقيقته
وبره وتوسعته فإبل مكر وه إحدى البابين بالاستشعار فضيلة الباب الآخر لزوم العمل به
بالحق إن شاء الله تعالى نجاحا وفلاحا

واعلم أن القضاء من الله تعالى بالمكان الذي ليس فوقه شيء من الأمور لأن ميزان الله
الذي تعمل عليه أحوال الناس في الأرض وبقائمة الفضل والعمل في القضاء والعمل تصلح
أحوال الرعية وتأمين السبل وينصف المظلوم وتأخذ الناس حقوقهم وتحصل المعيشة
ويؤدى حق الطاعة ورزق الله العافية والسلامة ويقوم الدين وتجري السنن والشرائع
على مجاريها وتجز الحق والعدل في القضاء واستند في الله عز وجل وتورع عن النطف وامضى
لإقامة الحدود واقلل العجلة وادمدن الضعف والقلق واقنع بالقسم وليكن ربيحك
(١) وانتفع بتجربتك وانتبه بصحتك واسددق منطقك وانصف الخصم وقف

في المحبة ولا تأخذن في أحد من رعبكم محابة ولا جملة ولا لومة لائم
بوانظر وتفكر وتدبر واعتبر وتواضع لربك وارقي بجميع الرعية
وسلط الحق على نفسك ولا تسرعن الى سفك دم فأنت الدماء من الله عز وجل يمكن عظيم
انتها كالمناغير حقها والنظر الى الخراج الذي استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزا
ورفعة ولاهله توسعة ولعده وعددهم كتبنا وغيظا ولأهل الكفر من معاهدتهم ذلا
وصغارا فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم فيه ولا ترفعن منه شيأ عن
شر يف لشرفه ولا غنى لغناه ولا عن كاتب لك ولا عن أحد من خاصتك وحاشيتك ولا تأخذنه
من فوق الاحتمال ولا تكلفن امرأ فية شطط واجل الناس كلمهم على مر الحق فان ذلك اجتمع
لألفهم والزم رضى العامة

واعلم انك جعلت لولايتك حائزا وناحضا وراعيا واما سمي أهل عملك رعبتك لانك
راعيهم وقيمهم فخدمهم ما أعطوك من عفوه ونفذه في قوام أمرهم وصلاحهم وتقويم
أودهم واستعمل عليهم ذوى الرأى والتدبير والتجربة والخبرة بالقلم والعلم بالسياسة
والعفاف وسع عليهم في الرزق فان ذلك من الحقوق اللازمة فيا تفضلت وأسند اليك ولا
يشغلك عنه شاغل ولا يصرفك عنه صارف فلك تى آثرته وقت فيه بالواجب استدعت
به زيادة النعمة من ربك وحسن الاحدوثه في عملك وأحرزك به المحبة من رعبتك وأعنت على
الصالح فدرن الخسراب ببلدك وفتت المهارة بناحياتك وطهر الخصب في كورك وكثر
خراجك وتوفرت أموالك وقويت بذلك على ارتياض جددك وارضاء العامة باقضاء
العطاء فيهم من نفسك وكنت محمود السياسة مضى العدل في ذلك عند عدوك وكنت في
أمورك كلها ذا عدل وآلة وقوة وعدة وتنافس في هذا ولا تقدم عليه شيا تجسمعين أمرك
ان شاء الله تعالى واجعل في كل كورة من عملك أمينا يعبرك أحبار عمالك ويكتب اليك
سيرهم وأعمالهم حتى كأنك سمع كل عامل في عمله معان لأموره كلها وادأ أردت ان تأمرهم
بأمر فانظر في عواقب ما أردت فان رأيت السلامة والعافية ورجوب فيه حسن الدماغ
والنصح والصنع فامضه والا فتوقف عنه وارجع أهل البصر والعلم به ثم خذ فيه عدته به بما
نظر الرجل في أمر من أموره وقد آناه على ما هوى فأعز ذلك وأعجبه فان لم ينظر في عواقبه
أهلكه الله ونقض عليه أمره فاستعمل الحرم في كل ما أردت وابتسر بعد عون الله بالقوة
وأكثر من استخارة ربك في جميع أمورك وافرع من عمل يومك الذي أخرت واعلم ان
اليوم ادمضى ذهب بما فيه فاذا أخرت عمله اجتمع عليك عمل يومين فبشغلك ذلك حتى

نمرض منه واذأ مضيت كل يوم عمله أرحمت بدنك ونفسك وأحكمت أمور سلطانك وانظر
أحرار الناس وذوي السن منهم فمن تستيقن صفاء طوبيتهم وشهدت مودعهم لك ومظاهرتهم
بالنصح والخالصة على أمرك فاستخلصهم وأحسن اليهم ونعاهد أهل البيوتات بمن قد دخلت
عليهم الحاجة فاحقل مؤنتهم وأصلح حالهم حتى لا يجذوا خلتهم مساء وافرد نفسك للنظر في
أمرور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر رفع مظالمه اليك والمحقر الذي لا علم له بطلب حقه
فصل عنه واقض مسألتهم وكل بأمثاله أهل الصلاح من رعينتك ومهرهم برفع حوائجهم
وحالاتهم اليك لتتظرفيها بما يصلح الله به أمرهم ونعاهد ذوي البأساء وأيتامهم وأراملهم
واجعل لهم رزقا من بيت المال اقتداء بأمر المؤمنين في العطف عليهم والصلوة لهم ليصلح الله
بذلك عيشتهم ويرزقك بركة وزيادة وأجر الاجزاء من بيت المال وقدم حيلة القرآن منهم
والخافئين لأكثرية في الجراية على غيرهم وانصب لمرض المسلمين دور اتودهم وقواما
يرفعونه وأطباء يعالجون أسقامهم وأسعفهم بشهواتهم الملم يؤذلك الى سرف في بيت المال
واعلم ان الناس اذا أعطوا حقوقهم وأفضل أمانيتهم لم يرضهم ولم تطلب أنفسهم دون رفع
حوائجهم الى ولاتهم طمعاف نيل الزيادة وفضل الرفق منهم وربما يرم التصفح لامور الناس
لكثرة ما يرد عليهم يشتغل ذهنه وفكره منها عمتال به مؤنة ومشقة وليس من يرغب في
العدل ويعرف بحاسن أموره في العاجل وفضل ثواب الآجل كالذي يستقبل ما يقربه الى
الله تعالى ويلمس رحمته فاكتر الادن للناس عليك وأرهم وجهك وسكن لهم حراسك
واخفض لهم جناحك واظهر بشرتك ولن لهم في المسألة والنطق واعطف بجودك وفضلك
واذا أعطيت فاعط بساحة وطيب نفس والناس للضيعة والأجر من غير تكدير ولا امتنان
فان العطية على ذي تجارة مرجحة ان شاء الله تعالى واعتبر بما ترك من أمور الدنيا ومن مضى
من قبلك من أهل السلطان والرياسة في القرون الخالية والأهم البائدة ثم اعتصم في أحوالك
كلها بأمر الله سبحانه وتعالى والوقوف عند محبة والعمل بشريعةه وسته واقامة دينه وكتابه
واجتنب اخارفة ذلك وخالفه ودعه الى سخط الله عز وجل واعرف ما يجمع عمالك من
الاموال وينفقون منها ولا تجمع حراما ولا تنفق اسرافا وكثر بحالسة العلماء ومشاورتهم
ومخاطبتهم وليكن هواك اتباع السنة واقامنها واينار مكارم الاخلاق ومعالها وليكن أكرم
دخلائك عليك وخاصةك عليك من اد رأى عيبا فيك فلا تمنعه هيبتك من انهاء ذلك اليك في
سرك واعلانك ما فيك من النقص فان أولئك أنصح أوليائك ومظاهريك لك وانظر عمالك
الذين يحضرتك وكتابك فوقك لكل رجل منهم وقتا يدخل عليك فيسه بكتبه

ومؤامره وما عنده حوائج عمالك وأمورك كورك ورعيتك ثم فرغ لما بورده عليك من ذلك سمعتك وبصرك وفهمك وعقلك وكرر النظر والتدبر لها كأن موافق الحق والحزم فاضنه واستغفر الله عز وجل فيه وما كان مخالفًا لذلك فاصرفه إلى التثبت فيه والمسألة عنه ولا تمن على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف توثيه اليهم ولا تقبل من أحد إلا الوفاء والاستقامة والعون في أمور المسلمين ولا تصنع المعروف إلا على ذلك وتفهم كتابي اليك وأكثر النظر فيه والعمل به واستعن بالله على جميع أمورك فإن الله عز وجل مع الصالح وأهله وليكن أعظم سيرتك وأفضل رغبتك ما كان لله عز وجل رضاء ولدينه نظاماً ولأهله عزاً وتمكيناً وللدعاة عدلاً وصلاحاً وأنا أسأل الله عز وجل أن يحسن عونك وتوفيقك ورشدك وخلانك والسلام

رسالة عبد الحميد الكاتب

قال أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر في كتابه المنشور والمنظوم ومن لرسائل المفسرات رسالة عبد حميد بن يحيى بن عبد الله بن مروان حين رجه لخارجية اضحاك الخارجي في تعبئة الجيوش وخروج ذرية بني هاشم في معناه.

أما بعد فإن أمير المؤمنين عسى عظم عليه من توجيهاك إلى عدو الله الجلف الجافي لأعرابي لتسكن في حيرة جهنم وطمع نفسته وهوى لهيبه ورعاه من عاثر في أرض فساد وتهكوا حرمه استغفر بغيره كفرة متحذراته من الله جهلاً أحب أن يعبد البند في ضيق عورك وتوأمش وبت رذائل أحوال ومظنرة تلك عهداً بحملك فيه أدبه ويشرح لك عظمتك وإن كنت واجد لله من دين الله وخلافته بحيث صطنعك الله لولاية العهد خصصك بذلك دون جمل بني أبيي

ولولا ما أمر الله به دلائله بتقدمه المرفق لن كنت أول سابق في (الدين) وخصيصة في العلم لا بعد أمير المؤمنين منته على صطناع الله إليك بإيرك أنه في محبت من أمير المؤمنين وسبقك إلى رغبته وأخلاقه وتزنت محمود شيعه واستبلا على تشابه تديره ولو كان المؤيدون أخيراً العلم من عند أنفسهم ولقدود غدا من تقديسه وفتحه وما شيأ من عند غيرهم لعلناهم عم لقيب ووضعناهم تزيعة لقمهم المستأثر بعلم القيب عنهم بوجدانية وفردانية في إلهيته واحتجاجهم لتهذيب حكمه وتثبت في منطبه وتنفيد ارادته على سابق مشيخته ولكن العالم الموفق لمخير بخصوص الفصل نحو بزة العلم

أدركه معاد عليه بلطف بحسه وإذلال كنفه وحمته فمه وهجر سامته
وقد تقدم أمير المؤمنين اليك أخذا بالحجة عليك مؤيداً حق الله الواجب عليه في
إرشادك وقضاء حقتك وما ينظر الوالد المعنى الشفيق لولده وأمر المؤمنين يرجو أن ينزهك
الله عن كل شيء يبيع بهش له طمع وأن يعصمك من كل مكروه وحاق بأحد وأن يحصنك من كل
آفة استولت على امرئ في دين أو خلق وأن يبلغه فيك أحسن مالم يزل يعود به ويريه
من آثار نعمة سامية بك إلى ذر ودة الشرف ومنجحة لك ببسطة الكرم لاثنتك في أزهر
معالي الأدب والله استخاف عليك وأسأله حياطتك وأن يعصمك من زيغ الهوى وبمحضرك
دواعي التوفيق معانا على الإرشاد فيه فإنه لا يعين على الخير ولا يوفق له إلا هو

اعلم أن الحكمة مسالك تضي مضائق أوائلها بمن أمها سالكا وركب أخبارها قاصدا
إلى سعة عاقبتها وأمن سرجهما وشرف عزها وانها لا تعاق بسخط أخفها ولا تسمى بتقريط
الفلة ولا يتعدى فيها بأمن حدود قد تلتك أخلاق الحكمة من كل جهة بفضلها من غير
تعب البحث في أدراكها ولا متناول المثال لذروتها بل تأملت فيها أكرم معانيها واستخلصت
منها اعتق جوهرها ثم نعتت إلى لباب مصاصها وأحرزت منقس ذخايرها فاعتدما أحرزت
ونافس فيما أصبت

واعلم أن احتواءك على ذلك وسبقك إليه باخلاص تقوى الله في جميع أمورك مؤثرا
لها وأصطبارك على طاعته واعظام ما أنعم به عليك شاكرا لها أمر تبطا للزبد بحسن الحياطة
له والذب عنه أن تدخلك منه سامة ملال أو غفلة أو ضياع أو سنة نهاون أو جهالة معرفة فإن
ذلك أحق ما بدى به ونظر فيه معتد عليه من القوة والآلة والانفراد من الأصحاب والحامة
فتمسك به لا جثا إليه واعتمد عليه مؤثرا له والنصي إلى كنهه متعززا به أنه أبلغ ما طلب به رضا
الله وأمنحه مسألة وأجزله ثوابا وأعوده سعيا وأعمه صلاحا وأرشدك الله لحظك وفهمك
سدا ده وأخذ بقيلك إلى محمود

ثم اجعل لله في كل صباح ينعم عليك ببلوغه ويظهر منك السلامة في إشرافه من نفسك
نصيبا تجعله لله شكرا على إبلague إياك يومك ذلك بصحة وعافية بدن وسبوغ نعم وظهور
كرامة وإن تقرأ من كتاب الله عز وجل جزأ تردد رأيك في أدبه ووزن لفظك بقراءته
ومحضره غفلت ناظرا في حكمه وتفهيمه متفكرا في تشابهه فإن فيه شفاء القلوب من
أمراضها وجلاء وساوس الشيطان وسفاسفه وضياء معالم النور تنبأ بالكل شيء وهدي
ورحة لقوم يؤمنون ثم تعبد نفسك بمجاهدة هواك فإنه مغلق الحسنة ومفتاح السيئات

واعلم ان كل أعدائك لك عدو يحاول هلكتك ويستعرض غفلتك لانها خدع ابليس
وجبال مكره ومصادم بكيدته فاحذر هاجبانيا وتوقها تحت سامنها واستعد بالله من شرها
وجاهد اذا اتانا صرت عليك بنز صاديق لا ونية فيه وحزم باقلا مشنوبة لرايك بعد اصداره
عليك وصدق غالب الماطم في تكذيبه ومضاه صارمة لاناة معها ونية صحيحة لا خليجة شك
فيها فان ذلك نظري صدق لك على ردها عنك وقطعها دون ما تنطلع اليه منك وهي واقية لك
مخطرة بك داعية للرضا العامة سارة عليك عيب من دونك فازدن به ملحف او أصب
باخلاقك مواضع الحجة منها وتوق عليها التي تقطعك عن بلوغها وتقصرك عن سامها
لما قول بلوغ غايته محرز الها بسبق الطلب الى اصابة الموضع محصنا لأعمالك من العجب فانه
رأس الهوى وأول الغواية ومقاد الهلكة حارسا أخلاقك من الآفات المتصلة بماوى العادات
وذيمن اثارها من حيث أنت الغفلة وانتشر الضياع ودخل الوهن فتوق الآفات على عقلك
فان شواهد الحق ستظهر باماراتها تدقيق رأيك عند ذوى النهى وحال الرأى وفحص النظر
فاجتلب لنفسك محمود الذكر وباقى لسان الصدق بالخبر لما تقدم اليك فيه أمير المؤمنين
متعزز من دخول الآفات عليك من حيث امنك وقلة تغفلت بمحكما
ومنها أن تملك أمورك بالقصد وتصور شرك بالكتمان وتداوى جندك بالانصاف وتدل
نفسك للعدل وتحمعن عيوبك بتقويم أودك وأناتك فوقها الملل وفوب العمل ومصابك
فدر عاروبة النظر واكتنفها باباة الحلم وخلاواتك فاحرسها من الغفلة واعتماد الراحة
وصمتك فانف عنه عى اللفظ وخف فيه سوء القالة واستمعك فارعه حسن التفهم وقوة
باشهاد الفسك وعطاءك فانهدله بيوتات الشرف وذوى الحسب وتعرز فيسه من السرف
وحياةك فانمعه من الخجل وحلمك فزعه عن النهاون وأحضره قوة الشكبة وعقوبتك
فقصربها عن الافراط وتعبدها أهل الاستحقاق وعفوك فلا تدخله تعطيل الحقوق وخذ
به واجب المقترض وأقم به أود الدين واستنساك فانمعه منه البداءة وسوء التافسة وتعمدك
أمورك نخذه أوقانا وقدره ساعات لا يستفرغ قوتك ويستدعى سامتك وعزمتك فانف
عنها بحجة الرأى ولجاجة الاقدام وفرحانك فاشكها عن البطر وقيدها عن الزهو
وروعاتك فخطها من دهش الرأى واستسلام الخضوع وحذارتك (فاصرفها) عن الجبن
وامعدها للعزم ورجاءك فقيده بخوف الفائق وانمعه من أسن الطلب
هذه جوامع دخائل النقص منها واصل الى العقل بلطائف الله وتصريف حوله فأحكمها
عارفا وتقدم في الحفظ لها معتزما على الأخذ بمشاهدها والانتباه منها الى حيث بلغت عظة

أمير المؤمنين وأدبه ان شاء الله

ثم ليكن بطانتك وجلساؤك في خلواتك ودخلائك في شرك أهل الفقه والورع من أهل بيتك وعامة قوادك بمن قد حنكته السن بمصاريف الأمور وخبطه فصالحا بين قرائن البزل وقلبه الأمور في فنونها وركب أطوارها عارفا بمحاسن الأمور ومواضع الرأي مأمون النصيحة مطوى الضعيف على الطاعة

ثم أحضرهم من نفسك وقارأ تستدعي منهم بك الهيبة واستئناسا يعطف اليك منهم بالودعة وانما فياغل أقاصيهم منك عما تكره أن ينتشر عنك من سخافة الرأي ويقطعك دون الفكر

وتعلم ان خـ لوت بسر فألقيت دونه ستورك وأغلقت عليه أبوابك فذلك لاحتاله مكشوف للعامة ظاهر عنك وان استترت بما ولعل وما أرى اذاعة ذلك فاعلم بما يرون من حالات من ينقطع به في تلك المواطن فتقدم في احكام ذلك من نفسك وسد خله عنك فانه ليس أحد أسرع اليه سوء القالة ولغط العامة بخيرا وشري من كان في مثل حاله ومكانك الذي أصبحت به من دين الله والأمل المرجو المنتظر واياك أن يغمر فيك أحد من عامتك وبطانة خدمك بضغفة يجدها مساعا إلى النطق عندك بما لا يعتزك عيبه ولا تغفل من لائمه ولا تأمن سوء القالة فيمن نجم ظاهرا وعلان ياديا ولن يجبر وأعلى تلك عندهك الآن بر ومنك اصفاء اليها وقبولها وترخيصها

ثم اياك أن يفاض عندك بشئ من الفـ كاهان والحكايان والزاح والمضاحك التي يستخف بها أهل البطالة ويتسمع نحو هادو والجهالة ويجدف بها أهل الحسد سقا لا ليعيب يرفعونه ولطعن في حق يجحدونه مع ما في ذلك من نقص الرأي ودرن العرض وهمم الشر في وتأويل الغفلة وقوة طباع السوء الكلمة في بني آدم كمن النار في الحجر الصلد فاذا قرح لاح شره وطلب في ربيعة وقد تضرر به وليس في أحد أقوى سطوة وأظهر توقدا وأعلى كونا وأمرع له بالعبع منها إلى من كان في سنك من أغفال الرجال وذوى العفوان في الحدة الذين لم يقع عليهم سيات لأمرنة ضاع عليهم لانتهاظا هرا عليهم وسعها ولم تحضهم شامتة مظهره بمعاصه فضتهم مديعة حسن الفكر عنهم ولم يبلغهم الصعق في الحركة مستقعات يدفعون بها عن أنفسهم نواضق السن أهل النغي ومواد أبصار أهل الحسد ثم تعمد من نفسك لطيف عيب لازم لكثير من أهل السلطان والقدرة من أقطار الذرع ونحوه التبع فانها تسرع بهم الى فساد رأيهم وتهجين عقولهم في مواطن

جفة من أكلة اقتدارهم على ضبط أنفسهم في مواكبهم ومسايرتهم العامة من مقلقل شخصه يكثر الالتفات تزديده الخفة وبطره اجلاب الرجال حوله ومن مقبل في موكبه على مداعبة مسايه بالمصاحبة له والنضاح اليه والايحاف في السيرهم جوارحوتجربك الجوارح مستسر عايجاله أن ذلك أسرع له وأخف لمطيه فلتعسن في ذلك هيتك ولتجمل فيه رعيتك وليقل على مسائك إقبالك الا وانت مطرق النظر غير ملتفت الى محدث ولا مقبل عليه بوجهك في موكبك لحادثه ولا تخف في السير تقلقل جوارحك بالعرى فان حسن مسايه الوالى وابتداعه في تلك من حاله دليل على كثير من عيوب أمره ومستمر أحواله

واعلم ان أقواما يسرعون اليك بالسعاية ويأتونك من قبل النصيحة ويستميلونك باظهار الشفقة ويستدعونك بالأغراء والشبهو يوطنونك عشوة الخيرة ليجهلوك لهم ذريعة الى استكمال العامة بموضعهم منك في القبول منهم والتصدق لهم على من فرقوه بتهمة أو أسرعوا بك في أمره الى الظنة فلا يصلن الى مشافهتك ساع بشبه ولا معروف بتهمة ولا منسوب الى بدعة فيعرضك لابتداع في دنسك ويحملك على رعيتك الماحقية فيه ويحملك على اعراض قوم لا علم لك بدخلهم الا بما أقدم به عليهم ساعيا وأظهر لك منهم متحصا

وليكن صاحب شرطك ومن أحببت أن يتولى ذلك من قوادك اليه انتهاء ذلك وهو المنسوب لاولئك والمسقع لأقوالهم والفاحص عن نصائحهم ثم لينه ذلك اليك على ما يرتفع اليه منه لتأمره بأمرك فيه وتفسه على رأيك من غير أن يظهر ذلك للعامة فان كان صوابا نالتك حظوته وان كان خطأ أقدم به جاهل أو فرطه يسعى بها كاذب فنالت الباطي منها أو المظالم عقوبة وبد من واليك اليه نكال لم يعصب ذلك الخطأ بك ولم تنسب الى تفریطه وخولت من موضع الذم فيه

فافهم ذلك وتقدم الى من تولى فلا يقدم على شيء ناظر افيه ولا يحاول أخذ أخطار قله ولا يعاقب أحد ما تكلابه ولا يتخل سبيل أحد صالفا عنه لاظهار راءته وصحة طريقته حتى يرفع اليك أمره وينهى اليك قضيته على جهة الصنق ومنهى لحق

فان رأيت عليه سبيل لا تحبس أو مجاز العقوبة أمرته فتولى ذلك من غير دخل له علينا ولا مشافهة منك له فسكان المتولى لذلك ولا يجبر على يدك مكروه ولا غلف عقوبة وان وجدت الى العفو عنه سبيل الا وكان محاقرف به خليا كنت أنت المتولى للانعام عليه بتخليه سبيله

والمفح عنه باطلاق أمره فتوليت أجر ذلك وذخره ونطق لسانه بشكرك ففترت خصمتين
نواب الله في الآخرة ومحمد الله في العاجلة

ثم إياك وان يصل اليك أحد من جندك وجلسائك وخاصتك وبطانتك بمسألة يكشفها
لك أو حاجته بیدهك بطلبها حتى يرفعها قبل الى كاتبك الذي أهدفك لذلك ونصبت له فيعرضها
عليك منها لها على جهة صدقها ويكون على معرفته من قدرها فان أردت اسعافه ونجاح
مأسئل منها أذنت له في طلبها باسطة له كنفك مقبلا عليه بوجهك مع ظهور سرور منك
بمأسألك بنفسه رأي وبسطة ذرع وطيب نفس وان كرهت قضاء حاجته وأجبت رده
عن طلبته وثقل عليك اسعافها أمرت كاتبك فصفحه عنها ومنعه من مواجعتك بها نفخت
عليك في ذلك المؤونة وحسن لك الذكر وجل على كاتبك لانه أنت منها برى الساحة

وكذلك فليكن رأيك وأمرك فيمن طرأ عليك من الوفود وأناك من الرسل فلا يصلن
اليك أحد منهم الا بعد وصول علمه اليك وعلم ما قدم له عليك وجهته ما هو مكلمك وقدر ما هو
سألك إياه اذا هو وصل اليك فأصدرت رأيك في جوابه وأجبت فكرك في أمره وأنفدت
مصدر رويته في مرجوع مسأله قبل ما دخوله عليك وعامه بوصول حاله اليك فرفعت
عنه مؤونة البدية وأرخت عن نفسك خفاف الروية فأقدمه على رد جوابه بعد النظر
والفكرة فان دخل عليك أحد منهم فكلمك بخلاف ما أنهى الى كاتبك وطوى عنه حاجته
قبلك ودفعته عنك دفعا جيللا ومنعته جوابك منعاً ودفعاً ثم أمرت حاجبك باظهار الجفوة له
والغلظة ومنعه من الوصول اليك فان ضبطك ذلك بما يحكم لك تلك الأشياء صار فاعنك
مؤونتها ان شاء الله

احذر تصييع رأيك واحمال أدبك في مسالك الرضا والغضب واعتوارهما إياك فلا
يزدهنك افراط عجب تستعفك روائعه ويستويك منظره ولا يبدرن منك ذلك خطأ ونزق
خفة كبره وان حل بك أو حادث وان طرأ عليك ولكن لك من نفسك ظهري ملجأ
تهرب منه بآفات الردي وتستعبد في مهم نازل وتتعقب به أمور في التدبير فان احتجت
الى مادة من عقلك وروية من فكرك أو انبساط من منطقك كان انتهازك الى ظهرك
مزداد اذما أجب الامتبار منه وان استدبر من أمورك بوادر لمل أو مضى زلل أو معاندة
حق أو خطا تدبيرك انما احتجبت من رأيك عندك عند نفسك وظهري قوة على رد ما
كرهت وتحققا مؤونة الباغين عليك في القالة واتشار الذكر وحصن من غلوب الآفات
على أخلاقك ان شاء الله

وامنع عن أهل بطانتك وخاص حشمك وعامة رعيتك من استلحاح أعراض الناس عندك بالغبية والتقرب اليك بالسعاية والاغرام من بعض ببعض والخيسة اليك بشئ من أحوالهم المسترة عنك أو التحميل لك على أحد منهم بوجه النصيحة ومذهب الشفقة فإنه أبلغ سموا الى منال الشرف وأعون لك على محمود الذكر وأطلق لعنان الفضل في جزالة الرأي وشرق الهمة وقوة التدبير

واملك نفسك عن الانبساط في الضحك والانتفاق وعن القطوب باظهار الغضب وتعله فان ذلك ضعف من سورة الجبل وخروج من اتصال اسم الفضل وليكن ضحكك تسمياً أو كبراً في احايين ذلك وأوقاته وعند كل مرأى ملهى ومستغف مطرب وقطوبك اطرافا في موضع ذلك وأحواله بلا حيلة الى السطوة ولا اسراع الى الطيرة دون أن يكتنفها روية الحلم وتلك عليها بادرة الجهل

إذا كنت في مجلس ملاك وحضور العامة مجلسك فاياك والري بيصرك الى خاص من قوادك أو ذى أثر من حشمك وليكن نظرك مقسوما في الجميع واعارتك سمعك ذا الحديث بدعة هادئة وقار حسن وحضور رفهم مستجمع وقلة تفضير بالحدث ثم لا يبرح وجهك الى بعض قوادك وحرسك متوجها بنظر ركين وتفقد محض فان وجه أحد منهم نظره عندنا أو رماك يصره ملحا فأخفض عنه اطرافا جيبلا بأبداع وسكون واياك والتسرع في الاطراف والخفة في تصارييف النظر والالحاح على من قصد اليك في مخاطبة اياك رامقا بنظره

واعلم ان تصغفك وجوه قوادك من قوة التدبير وشهامة القلب فتفقد ذلك عارفا بمن حضرك وغاب عنك عالم بما وضعهم من مجلسك ثم أعدهم عن ذلك سائلا عن اشغالهم التي منعتهم من حضورك وعاقبتهم بالتغلب عنك ان شاء الله

ان كان أحد من أعوانك وحشمك تنق منه يعيب ضميره وتعرف منه لين طاعة وتعرف منه على حقارة رأى وتأمنه على مشورتك فاياك والاقبال عليه في حادث برد أو التوجه نحوه بنظر عند طروق ذلك أو نتر به أو أحد من أهل مجلسك ان بك اليه حاجة وحشة وان ليس بك عنه غنى في التدبير أو تلك تقتضى دونه رأيا شرا كاله في رويتك واذا خاله في مشورتك واضطرازا حرايه فان ذلك من داخل العيوب المنتشر بها سوء القالة عن نظرك وأغنه عن نفسك حثلا غفاله اذ كرك وأحجبها عن رؤيتك قاطعا اطماع أولئك عن مثلها عندك أو غلبتهم عليك مناب

واعلم ان الشورة موضع اغلاء وانفراد النظر فانه محرزاً لها ورهطاً لبايئنها
وياك والقصور عن غايتها والافراط في طلبها
احذر الاعتزام بكثرة السؤال عن حديث اما اعجبك أو أمراً ما زدهاك والقطع لحديث
من ارداك بحديثه حتى تنقضه عليه بالأخذ في غير مأ والمسألة عما ليس منه فان ذلك عند العامة
منسوب الى سوء الفهم وقصر الأدب عن تناول محاسن الامور والمعرفة لمساوئها وانصت
لمحدثك وأرعه سمعك حتى يعلم انك قد فهمت عنه واحطت معرفة بقوله فان أردت اجابته
فعن معرفة حاله وبعد علم بطلته والا كنت عند انقضاء كلامه كالمتمل من حديثه بالتبسم
والاغضاء فأجرى عنك الجواب وقطع عنك السن العتب

اياك وان يظهر منك بزم بمجلسك وتضجر من حضرك وعلبك بالتبث عند سورة
الغضب وجية الأنف وملال الصبر في الامر تستعجل به والعمل تأخره بتأذنه فان ذلك
مخفف سائر وخفة مريية وجهه البادية وعلبك بثبوت المنطق وقار المجلس وسكون
الريح الرفض لحشوا الكلام وتزديد فضوله والاعتزام بالزيادات في منطقك والتزديد
لللفظك من نحو اسمع أو أعجل أو ألتري أو ما يلهج به من هذه النصول المقصورة بأهل العقل
المسوبة اليهم بالمردية لهم في الدكر وخصال من معائب الملوكة والسوقة عيبها عند
النظر الامن عرفها من أهل الادب وقلمها حامل لها مضطلع بثقلها أخذ لنفسه بجوامعها فانها
عن نفسك بالتخلف منها واملك عنها اعتقادك معنيها ككرة التخم والتبرق والتخنج
والتناوب والجشاء والتخطي وتنقيض الاصابع وتحريكها والعبث بالاحية والشارب
والخنصرة وفؤابة السيف والاياض بالنظر والاشارة بالطرف الى أحد من خدمك بأمر ان
أرذته والسرار في مجلسك والاستعجال في طمعك وشريك

ليكن مطعمك مبتدعاً وشريك انفاً ساو جرك مضاواياك والتسرع في الايمان فيما
صغر أو كبر من الامور أو الشتيبة بين الهيبة أو العمريه لاحد من خدمك وخاصتك
بتسويعهم مفارقة الفسوق بمحضرك أو في دارك وبنائك فان ذلك مما يقيج دكره ويسوء
موقع القول فيه ويحمل عليك معايبه وينالك شينه وينذر عنك سوء نباه فاعرف ذلك
متوقياً له واحذره مجانباً لسوء عاقبته

استكثر من فوائد الخير فاما تنسى المحمدة وتقبل العثرة واصطبر على التعيط فانه يورث
العز ويؤمن الساحة وتعمد العامة بمعرفة دخلهم وبظراً حواهم واستثارة دفاثهم حتى
يكون على مأي العين ويقين الخبرة فتنتعش عديمهم وتجبر كسيرهم وتقيم أودهم وتعلم

جاهلهم وتستصلح فاسدهم فان ذلك من فعلك بورئك العزة ويقسك في الفضل ويبقى لك
لسان صدق في العامة وبحر ذلك ثواب الآخرة وبر عليك عواطفهم المستفجرة قلوبهم
المستجبة عنك (وميز) بين منازل أهل الفضل في الدين والحجى والرأى والعقل والتدبير
والصيت في العامة وبين منازل أهل النقص في طبقات الفضل وأحواله والجود عنه تناها
بأهل الحسب والنظر نصيحة لهم تنال مودة الجميع وتستجمع لك أفاويل العامة على التفضيل
وتبلغ درج الشرف في الاحوال المتصرف بك فاعقد عليهم مستدخلا لهم وآثرهم
بجاسستك مستمعانهم واياك وتضييعهم فطاهم وإهمالهم ضيعا

هذه جوامع من خصال قد خصها لك أمير المؤمنين وجع شواهدا مؤلفا وأهداها لك
مرشد تفقد عند امرها وتنهى عند زواجها وتنبئ في محامها وخد بوثائق عراها تسلم
من معاطب الردى وتنل أنفاس الخنوط ومزية الشرف وأعلى درج الذكرك والله يسأل
للشأمر المؤمنين حسن الارتداد وتتابع المزيد وبلوغ الأمل وأن يجعل عاقبة ذلك بك إلى
غبطة يسوغك إياها وعافية يجعلك أكانها ونعمة بلهمك شكرها طاعة الموفق للخير والمعين
على الارتداد وبتمام الصاغات وهو مؤتى الحسنة عنده مقابح الخير وبه الملك وهو على
كل شئ قدير

فاذا أفضيت نحو عدوك واعتزمت على لقاءهم وأخذت أهبة قتالهم فاجعل دعامتك التي
تليجأ إليها وتمتلك إلى تأمل النجاة بها وركنك الذي ترجى به منال النفر وتكتف به لمعاليق
الخذل تقوى الله عز وجل مستشعرا له بمرافقته والاعتصام بطاعته متبعا لأمره والاجتناب
لمساحطه محتسبا سنده والتوقى لمعاصيه في تعطيل حدوده وتعدي شرائعه متوكلا عليه فيما
صمد به والثاقب بصره فيما وجهت نحوه متبيرا من الخول ولقوة فيما نالك من نافر وتلقاك
من عز راغبيا فأهاب بك أمير المؤمنين اليه من فضل الجهاد ورمى بك إليه محمود الصبر عند
الله عز وجل من قتال عدو الله لا اله الا الله عليهم وأطهرهم عداوة لهم وادحهم ثقلا
لعانهم وأخذة بر بقهم وأعلاء عنهم بغيًا وأطهرهم فسقا وجور وأسده على فيهم الذي
أصاره الله لهم مؤونة

ثم خذ من معك من تبعك وجندك بكفهم من هم وردهم على جورهم وأحكم خيلهم
وضم منسرقو ضمهم ولم تبع أطرهم وخذهم عن مروءة من أعجل دمك وملك بحسن
السيرة (وعفة) لظمة ودعة وقار ودسى لدته وجرم لنفسك) محكم ذلك بهم مقدا لهم
فيه تقفك إياه من نفسك

ثم اصعد بهم ذلك التسمي بالاسلام خارجا من جماعة أهل المنخل ولاية الدين مستحلا
لدماء أوليائه طاعنا عليهم رغبة عن سننهم مفارقا لشرائعهم يغيثهم العوائل وينصب لهم
المكاييد اضرم حقدًا عليهم وارصد عداوة لهم من التزك وأمم الشرك وطواغي الملل يدعو
الى المعصية والفسقة والمروق من الدين الى الفتنه تخترعها بهواه الى الأديان المنتمية والبدع
المتفرقة خسار او تخسير او ضلالا واضلالا لغير هدى من الله ولا بيان ساء ما كسبت يده وما
الله بظلام للعبيد وبئس ماسول له نفسه الأمانة بالسوء والله من ورائه بلرصاد وسيعلم
الذين ظلموا أى مقلب ينقلبون

حض جدك واشكم نفسك في مجاهدة أعداء الله وارح نصره وتجز موعده متقدما
في طلب ثوابه على جهادهم معترضا في ابتغاء الوسيلة اليه على لقاءهم فان طاعتك إياه فهم
ومر اقتلك له ورجاءك لصره مسهل لك وعوده وعاصمك من كل سيئة ومنجيك من كل
هوة وناعشك من كل صرعة ومقيلك من كل كربة ودارى عنك كل شبهة ومنهب عنك
لطمحة كل شك ومقويك بكل أيد ومكيدة ومؤيدك في كل مجمع لقاء وحافظك من كل شبهة
مردية والله وليك وولى أمير المؤمنين فيك

اعلم ان الظفر ظفران أحدهما أعم منفعة وأبلغ في حسن الذكركالة وأحوطه سلامة
وأتمه عافية وأعوده عاقبة وأحسن في الأمور موردا وأصح في الرواية حزما وأسهل عند
العامه مصدر اميل بسلامة الجسد وحسن الخيلة ولطف المكيدة وعن البقية بغير اخطار
الجيش وفي قدح جرة الحرب ومباراة لفرسان في معترك الموت وان ساعدك (الخط)
ونالك مزية لسعادة في السرف في مخاطرة التلف ومكرهه المصائب وعناصر السيوف
والم الجرح وقصاص الحروب وسجاله بمعاورة ابطالها على انك لا تدري لأى الفريقين
الظفر في البهيمة من المقارب في الدولة ولهذا شأن تكون المطلوب بالتمحيص فحاول بلقيها
في سلامة جدك ورعيته وأخبرهما في يادى رأيتك وأجمعهما لالفه وليك وعدوك
وأعونهما على صلاح رعيته وأهل ملكتك وأقوامها في حربك وأبعدهما من وصم عزمتك
وأجزلها نوابغندك وإبداء الأعداء والعداء لهم الى مراعاة الطاعة وأمر الجماعة وعمرى
الالفة أخذ بالحجة عليهم متقدما لانتذارهم باسطا أمانك لمن لجأ اليهم منهم داعيا لهم اليه بالين
لطفك ولطف حيلتك ستطفأ عليهم برأيتك مترفقا بهم في دعائك مشفقا عليهم من غلبة
العواية لهم واحاطة لهلكتهم بمقدار ذلك ليهم بعد الانذار تدهم كل رغبة يمش اليها
طعمهم في موافقة الحق وبسط كل أمان سألوه لأنفسهم ومن معهم من تبعهم موطننا نفسك

فيا تبسط لهم من ذلك على الوفاء وعدك والصبر على ما أعطيتهم من وثائق عهدك قابلا توبة
تأزيمهم عن الضلالة ومراجعة مسيئتهم إلى الطاعة مرصدا للخازن إلى فئة المسلمين وجماعتهم
اجابة إلى ما دعوتهم اليه وبصرتهم من حقك وطاعتك بفضل المنزلة وأكرام المنوى
وفشرف الحال ليظهر من أثرك عليه واحسانك اليه ما يرغب في مثله لما راف عنك المصير
على خلافك ومعصيتك ويدعو إلى الاعتلاق بحبل النجاة وما هو أملك به في الاعتصام به
عاجلا وأنجي له من العقاب آجلا وأحوط على دينه ومهجته بدأ وعاقبة فان ذلك مما
يستدعي نصر الله عز وجل به عليهم وتقصم به في تقديم الحجة اليهم معذرا ومنذرا ان
شاء الله

ثم أدك عيونك على عدوك متطالع العلم أحوالهم التي يتقلبون فيها وما نازلم التي هم بها
ومطامعهم التي مدوا بها أعناقهم نحوها وأي الأمور رأدعي لهم إلى الصلح وأقودها لرضاهم
إلى العافية ومن أي الوجوه ما أناهم من قبل الشدة والمتافرة والمكيدة والمباعدة والارهاب
والابعاد والترغيب والاطاع مستنفا في أمرك مضيرا في روتك مستكسما من رأيك مستشيرا
لنوى النصيحة الذين قد حنكهم التجربة ونجذتهم الحروب متسرا في حركك أخذنا بالخزم
في سوء الظن بعد الاحذر محترسا من الغرة كأنك نزل كله ومنازلك جمع مواضع لعدوك
رأى عين تنظر حلاتهم وتخوف غاراتهم معدا أقوى مكيدتك واجد تشهيرك وارهب
عنادك معظم الأمر عدوك لاكثرهما بفرط تبعة لمن الاحتراس عظيم من المكيدة
قوي لمن غير أن يفتلك عن احكام أمورك وتدير رأيك واصدار روتك والتأهب لحربك
مخ له بعد استشعار الحذر واطمئنان الخزم واعمال الروبوع اعداد الأهبة فان لقيت عدوك
كليل الحدوث والجحوم نضيض الوفير لم يضر ريك ما أعدت له من قوة وأخذت به من حزم
ولم يزدك ذلك الاجرأة عليه وتسرع إلى لقاءه وان ألفتبه متوقفا لجزم مستكشف التبع
قوى الجمع مستعلى سورة الجبل معه من أعوان لفتنة وتبع إبليس من يوقد هيب الفتنة
مسعرا ويقدم إلى لقاء بطالها متسرا عا كنت لأخذك بالخزم واستعدادك بالقوة غير ميتين
الجنود ولا مفرط في الرأي ولا منصف على ضاعة تدير ولا محتاج إلى الاعداد ومجلة التأهب
مبادرة تدعشك وخوفه يثقل ومتى تغزم على تريق التوقير وتأخذ بهو ينافي أمر عدوك
لتصغر المصغر ينبتشر عليك رأيك ويكون فيه انتفاض أمرك وهن تدير ريك وعمل
الخزم في جنده وتضييع له وهو يمكن الاحتار رحب المطلب قوى لعضة تفسح المضطرب
مع ما يدحل رعينك من الاعتدال وتغفلة عن احكام أمر رهم وضبط مكرهم لم يبرون

من استنامتلك الى الفرقة وركونك الى الامن ونهاونك بالتدبير فيعود ذلك عليك في انتشار
الاطراف وضياع الاحكام ودخول الوهن بما لا يستقال محذوره ولا يدفع مخوفه
احفظ من عيونك وجواسيسك ما مأثونك به من اخبار عدوك واياك ومعاقبة احبهم
على خبر ان اناك به اتهمته فيه أو سوت ظنا عليه وأناك غيره بخلافه وان تكذب فيه وترده
عليه ولعله أن يكون من محضك النصيحة وصدقك الخبر وكذبك الأول أو خرج جاسوسك
الاول متقدما قبل وصول هذا من عند عدوك ولقد أبرموا امرأوا حوالا لك مكيدة وازدادوا
منك غرة وان دفعوا اليك في الأمر ثم انتفض بهم رأهم واختلف عنه جماعتهم فأوردوا
رأيا أو أحدثوا مكيدة وأظهروا قوة وضر بواوعدا أو ماسل كالعدا أنهم أو قوة حدثت
لهم أو بصيرة في ضلالة شغلهم فالأحوال منتقلة بهم في الساعات وطوارق الحادثات ولكن
ألبيهم جميعا على الانتصاح وأرجع لهم المطامع فانك لم تستبعدهم بمثله وعدم جزالة الثواب
في غير ما استنامت منك الى أمر عدوك والاعتزاز بما لم تأتوك به دون أن تعمل رويتك في
الاخذ بالحزم والاستكنار من العدة واجعلهم أو ثق من يفدر عليه ان استطعت ذلك وآمن
من تسكن الى ناحية ليكون ما يبرم عدوك في كل يوم وليلة عندك ان استطعت فتقتض
عليهم تدبيرك ورأيتك الملم برموا تأتهم من حيث أقدموا ونستعدهم مثل ما حذرنا
واعلم ان جواسيسك وعيونك ربما صدقوك وربما غشوك وربما كانوا للشو عليك
فنصو لك وغشوا عدوك وغشوك ونصصوا عدوك وكثير مما يصدقونك ويصدقونه فلا
يبدرن منك فرطة في عقوبة الى أحد منهم ولا تعجل بسوء الظن الى من اتهمته على ذلك
وأبسط من آمالك فيك من غير أن ترى أحدا منهم انك أخذت من قوله أخذ العامل به والمتبع
له أو عملت على رأيه عمل الصادر عنه أو رددته عليه رد المكذب له والتمهم المستخف بما أناك منه
فتسدد بذلك نصيحته وتسد على غشه وتجرعداونه

احذر أن يعرف جواسيسك في عسكريك أو يشار اليهم بالاصابع وليكن من زلمهم على
كاتب رسائلك وأمين سررك ويكون هو الموجه لهم والمداخل عليك من أردت مشافهة منهم
واعلم ان لعدوك في عسكريك عيون اصد وجواسيس كاشفة وان رأيه في مكيدتك مثل
ما تكابده ويصعالك كاختيالك له ويعدك كاعتدادك له فاحذر أن يشعر رجل من
جواسيسك في عسكريك فيسلط ذلك عدوك ويعرف موضعه فيعده المراسد ويحتمل له
بالمكيدة فان ظفر به وأظهر عقوبته كسر ذلك ثقات عيونك وحوله عن تطلب الاخبار
من معادها واستقصاها من عيونها حتى يصيروا الى أخذها عن عرض من غير الثقة ولا

واعلم ان موضع الاحرام من موضعين وكما بين جملته بحسب اقسامه من موضعين
والخلف لم يكن له من قبله ما فاولا اقسامه من موضعين والآخر من موضعين
اولاها من موضعين وحفظه من موضعين والآخر من موضعين

على الصرامة لمواصرتك في كل أمر حادث وطارق الا في المم النازل والحدث العام فانك اذا فعلت ذلك به دعوته الى نصحتك واستوليت على بعض ضميره في طاعتك واجهد نفسه في ترتيبك واغاثتك وكان تقسك وزيتك وقوتك ودعامتك وتفرغت لمكابدة عدوك مريحا نفسك من هم ذلك والعناية به ملق عنك مؤونة باهظة وساقطة فاحتم ان شاء الله

ثم اعلم ان القضاء من الله بمكان ليس بشئ من الاحكام ولا يمثلها أحد من الولاة لا يجري على يديه من مغالط الاحكام ومجاري الحدود فليكن من توليه القضاء بين أهل العسكر من ذوي الخبر في القناعة والعفاف والنزاهة والفهم والوقار والحصنة والورع والبصر بوجوه القضايا وموافاقها فحنكته السن وأبدته التجربة وأحكمته الامور بمن لا يتصنع للولاة ويستعمل للزور ويجترى على المحاباة في الحكم والمداينة في القضاء على الامانة عفيف الطعمة حسن الانصاف فهم القلب وروع الضمير تحشع السمعت هادي الوقار محتسبا للخير ثم أجر عليه ما يكفيه ويسمو ويصلحه وفرغه لما جلته وأغنه على ما وليته فانك قد عسر ضفته لهلكة الدنيا وواب الآخرة وأشرى العاجلة وحظوة الآجلة ان حسنت نيته وصدقت رويته وصحفت سريره وسلط حكم الله على رعيته منفذ قضاءه في خلقه عاملا بسنته في شرائعه أخذ المجدوده وفرأته

واعلم أنه من جندك ومعسكرك بحيث ولايتك وفي الموضع الجارية أحكامه عليهم النافذة أفضيته بينهم فأعرف من توليه ذلك وتسندة اليه ان شاء الله

ثم تقدم في طلائع فانها أول مكيدتك ورأس حربك ودعامة أمرك فانتهب لها من كل قادة وجبابرة جلاذوى نجدة وبأس وصرامة وخبرة وجماعة كفاة قد صاوا بالحرب وتذاوقوا سجالها وشرى من مرارة كؤوسها وتجربوا غصص درتها وزنتهم بتكرارها وحلتهم على أصعب مرأها ثم تبعهم على عينك وأعرض كرامهم بنفسك وتوخى في انتقامهم ظهور الجلب وسباحة الخلق وجمال الآلة واياك أن تقبل من دواهم الا انات الخيول مهالوية فانها أسرع طلبا وأنجى مهربا وابتدئ في الحقوق غاية وأصبر في معترك الا بطل اقاما وتجنهم من السلاح بأبدان الدروع ما ذية الحد بشاكة السخ متقاربة الخلق متلاحة المسامير واسوق الحد يد مموهة الركب بحكمة الطبع خفيفة الصوع وسواعد طبعها هندسى وصورها فارسي رقاق المعطف بأكف وافية وعمل محكم وبلق البيض مذهبة ومجردة هارسية الصوغ خالصة الجوهر سابعة الملابس وافية اللين مستديرة الطبع مبهمة المرد وافية الوزن كثير النعمان في الصنعة معلنة بأصناف الحرير واللوان الصبغ فانها أهيب لعدوهم واقت لأعضاد من لقيم

والعلم غشى محذور له بديته وادعته معهم السيوف الهندية وذكور البيض الجانية رفاق
الشفرات مسنونة الشد غير كليله المشد مسطبة الضرائب معدلة الجواهر صافية
الصفائح لم يدهاها ومن الطبع ولا عابها أمت الصوغ ولا شاتها خفة الوزن ولا فدها حملها
بهور النفل قد أنشروا لادن القناطوال الهواذي زرق الاستمستوية الثعالب وميضها
متوقد وشدها متلب معاقص عقد هامضوية ووصم أودها مقوم أجناسها مختلفة وكعوبها
جعدة وعقد هانكة شطبة الأسنان محكمة الجلاء مموهة الاطراف مستعدة الجنبات
دقاق الاطراف ليس فيها التواء أود ولأمت وصم ولاها سقط عيب ولاعنا وقوع أمانة
مستعقب كنان النبل وقبى الشواطي والنبيع اعرابية التعقيب رومية النصول فانها
أبلغ في الغاية وأنفذ في الدروع وأسك في الحديد سامطين حقائبهم على متون خيولهم
مستحقين من الآلة والأمتعة الامالا غناء بهم عنه

واخذوا أن تكل مبائرة عرضهم الى أحسن أعوانك أو كتابك فانك ان وكنت اليهم
أضعت موضع الحزم وفرطت حيث الرأي ووقفت دون الحزم ودخل عملك ضياع الوهن
وخلص اليك عيب المحابة وناله فساد المداينة وغلب عليه من لا يصلح أن يكون طليعة
للساميين ولا عداة ولا حصنا يدرون به ويكتفون بموضعه

واعلم ان الطلائع عيون وحصون الساميين فهم أول مكيدتك وعروة أمرك وزمام
حربك فليكن اعتناؤك بهم بحيث هم من مهم عملك ومكيدته حربك ثم انتخب لهم رجلا للولاية
عليهم بعيد الصوت مشهور الفضل نبيه الذكر له في العدو وقعات معروفات وأيام طوال
وصولات متقدمة مات قد عرفت نكايته وحذر شوكته وهيب صوته ونسكب لقاؤه أمين
السريرة باص الغيب قد باون منه ما يسكنك الى ناحيته من لبن طباعه وخالص المودة
ونكابة الصرامة وغاوب الشهامة وسبحي القوة وحصافة لتدبير تتقدم اليه في
حسن سياستهم وسنزال طاعتهم واجتلاب موداتهم واستعداد ضمايرهم وأجوعا عليهم أرزاقا
تسمعهم وتمنم أطعامهم سوى أرزقهم في العامة وفي ذلك من القوة لك عليهم والاستئانة
الى ما قبلهم

واعلم انهم في أهم الاماكن لك وأعظمها غناء عسك وعمن معك وأنعمها كفا وأنجي
لعدوك ومتى يكون في الجيس والنفقة والجندو لها عتوا وقوة ونصيصة حيث وصفت لك
وأمرتك به تضع عسك مؤونة لهم وترخي عن حياقت دروع الخوف وتأتني في أمر متين
وظهر قوى وأمر حازم تأمن به جأ آت عدوك ويصير لك علم أحوالهم ومتقدمات خيولهم

فانتبههم رأى عين وقومهم بما يصلحهم من المنالان والاطماع والارزاق واجعلهم منسكاً بلئزل
 'لذيتهم' بمن محارز علامتك وحصانة كم وفك وقوة سـيارة عسكرك وأياك أن تدخل
 فيه أحد بشفاعة أو تحمله على هواة أو تقدمه منهم لاثرة وأن يكون مع أحد منهم بغل نقل
 أو نضل من الطهر أو نقل فادح فيشتد عليهم، وثونة أنفسهم ويدخلهم كالل السائمة فيا
 به الجون من أنما لهم وبشتغلون به عن عدوهم إن دهمهم منه رائج أو فاجأهم لهم طليعة فتفقد
 ذلك محكم له وتقدم فيه أحدنا الخزم في إضائه أرشدك الله لاصابة الحظ ووفك لمن التدبير
 وإن در جنة عسكرك واخرج أهله إلى صاهمهم ومرا كرههم رجلا من أهل بيونات
 لسرف محمود خبيرة معروف لتبدت من ونجربة لئن الطاعة قديم النصيحة مأمون
 لسريرته برب رقي لحق تفت مونية صادقة من الادهان تحجزه واهم اليه عدم ثقات
 جنك وذوي أسنهم يكونون شرطه، معتم تقدم اليه في 'خراج المصاف واقامة الاحراس
 واد كاهة' ميعون وحفظه لاطرى وسنة الخنروم ولفليض القواد بأنفسهم مع أصحابهم في
 مصاهير كل عائد بار، موضعه وحيث، رله فستد ما بينه وبين صاحبه بالراح شارة والتراس
 موصوناً بترجل راصد كية الاحراس وجله لرو ع خائفة طوارق العدو وبياه تم
 مر من يخرج كل له عدد من أصحابه أو عدة منهم إن كانوا كثيراً على غلوة أو غلوتين من
 عسكرك تحفظ ذلك كية حراسه قلعه لتردد، فشرطة الخنروم عدة لبر وعمتا به للقتال
 تحذ على طرى العسكر ونوحيه متفرقين في 'حلاهم' كردوسا كردوسا يستقبل
 بعضهم بعضاً في الاحلال وكمع متقدما في التردد جعل ذلك بين قوادك وأهل عسكرك
 نوره وروية حصاه، متروصة لا يعدسه مردلها بؤدك ولا يحامل على أحد فيه بموجدة
 إن شاء الله

فوص في أمراء جنك وقودهم أمور أصحابهم والأخذ على أيديهم برياضة منك لهم على
 السمع والاهتداء لأمرهم واتباع لأمرهم ووقوف عند نهيهم وتقديم إلى أمراء الاجناد
 في الدروب إلى أرضهم أياها ولاعمال التي اجتهدتهم لها والاسلحة والسكر الكراع التي كتبها
 عليهم وحذر عتلال أحد من قوادك عليك بما يحول بينك وبين جنك وتقو بهم لطاعتك
 وقهم عن الاخلال بمرأ كرههم لسيما وكأول بهم من أعمالهم فإن ذلك مفسدة للجنود معي
 للقواد عن خبده لما يحتمو لا قدمي لاحكام

واعلم أن سخطهم بقوادهم وتصيبهم أمرهم دخول الضياع على أعمالك واستخفاف
 مركبى يأترون به ورأيك لدى ترشي وأوعز إلى القواد أن لا يتقدم أحد منهم على

عقوبة أحد من أصحابه الأعقوبة تأديب وتقويم بل وتثيف أود فالعقوبة تبلغ ثلث المهينة واقامة الحد في قطع أو افراط في ضرب أو أخذ مال أول عقوبة في سفر فلا يلين ذلك من جندك أحد غيرك أو صاحب شرطك بأمرك وعن رأيك واذنك ومتى لم تذلل الجند لقوادهم وتضرمهم لأمرهم يوجب عليك لهم الحجة بتضييع وان كان منهم لأمرك خلل ان تهاونوا به من عملك أو عجز ان فرط منهم في شيء وكلتهم اليه أو اسندته اليهم ولم تجد الى الاقدام عليهم باللوم وعرض العقوبة مجازا فصل به الى تعنيفهم بتفريطك في تذليل أصحابهم لهم وفسادك أيامهم عليهم فانظر في ذلك نظرا محكما وتقدم فيه تقدما يليقا وإياك ان يدخل حزمك وهن أو عزمك أمارا من رأيك ضياع والله استودع ديننا في نفسك اذا كانت من عدوك على مسافة دانية ومن لقاء مختصر وكان من عسكرك مقتربا قد شامت طلائعك مقدمات ضلالته وحماة فتنته فتأهب أهبة المناجزة وأعد أعداد الجندر وكتب خيولك وعب جنوك وإياك والمسير الامقدمة وميعة وميسرة وساقفة قد شرروا بالاسلحة ونشروا البنود والاعلام وعرف جندك مرا كثرهم سائر ينحس ألويهم قد أخذهم أهبة القتال واستعد واللقاء ملحين الى مواقفهم عارفين بمواضعهم من مسيرهم ومعسكرهم وليسكن ترجلهم وتنظم على رايانهم واعلامهم ومرا كثرهم وعرف كل قائد وأصحابه موقعهم من الميعة والميسرة والقلب والساقفة والطليعة لازمين لها غير مختلين بما استجدتهم له ولا مهاونين بما أهبت بهم اليه حتى تكون عساكرهم في كل سهل تصل اليه ومسافة تختارها كأنه عسكر واحد في اجباها على العدة وأخذها بالحزم ومسيرها على رايانها وزولها مرا كثرها ومعرفتها واضعها ان أضلت دابة موضعها عرف أهل العسكر من أي المرا كثره ومن صاحبها وفي أي المحل حلوله منها فرددت اليه هداية ومعرفة ونسبة قيادة صاحبها فان تقدمت في ذلك واحكمك له اطراح عن جسده لمؤوبة الطلب وعناية المعرفة واتباع الفلذة ثم اجعل على قاصدك أو وثق أهل عسكرك في نفسك صرامة ونفاذا ورضا في العامة وانصافا عن نفسه للرعية وأخذ بالحق في المعادلة، يستشعرا تقوى الله وطاعته أخذاهديك وأدبك واقفا عند أمرك ونهيك معزما على ما احسنت وتزينت نظيرا لك في الحال وشيها لك في الشرف وعندي في الموضع ومقربا في الصيت ثم اكشف معه الجمع وأبده بالقوة وقوه بالظهر وأعصه بالاموال وعمره بالسلاح ومره بالعصا على ذوي الضعف من جندك ومن رخفت به دابته وأصابته سكة من مرض أو رجلا أو آفة من غير أن تأذن لاحد منهم في التنصت عن عسكره أو التحلف بعد ترجمه لا لمجهود أو لمطروق باقعة

ثم تقدم اليه مخذرا ومرة زاجرا وانهم مغلظا بالشدة على من مرتبه منصرفا عن معسكرك من جندك بغير جوارك شاداهم اسرا وموقرهم حديدا ومعاقبهم موجعا أو موجههم اليك فتنبههم عقوبة وتجعلهم لغيرهم من جندك غلة

واعلم انه ان لم يكن بذلك الموضع من تسكن اليه واثقا بنصيحة عارفا بصيرته قد باوت منه امانة تسكنك اليه وصرامة تؤمنك بهانته ونفاذا في أمرك يرخي عنك خناق الخوف في اصاعته لم آمن تسلب الجند عنك لو اذا ورفضهم مرا كزهم واخلافهم عواصهم وتغلبهم عن أعمالهم آمنين تغيير ذلك عليهم والشدة على من اختره منهم ما ذلك في وهناك وأخذ من قوتك وقلل من كثرتك

اجعل خلف ساقك رجلا من وجوه قوادك جليدا ماضيا عفيفا صار ماشهم الرأي شديد الخدر شكيما القوة غير مدها في عقوبة ولا مهين في قوة في خسين فارسا من خيلك تحشرا اليك جندك وبلحق بك من يتخلف عنك بعد الابلاغ في عقوبتهم والنهك لهم والتسكيل بهم وليكن لعقوتك في المنزل الذي ترجع عنه والمثل الذي تتقوض منه مقرطا في النقص والتبع لمن يتخلف عنك مشيدا في أهل المثل وساكنه بالتقدم موعزا اليهم في ازعاج الجند عن منازلهم واخراجهم من مكانهم وابعاد العقوبة الموجهة والنكال المثل في الاشعار واصفاء الاموال وهنم العقار لمن آوى منهم أحدا أو ستر موضعه وأخفى محله وحذر عقوبتك اياها في الترخيص لاحد والمحاباة الذي قرابة والاختصاص بذلك لدى أثرة أو هوادة

وليكن فرسانه متعبين في القوة معروفين بالجدة عليهم سوابغ الدر وعذوبها شعار الحشو وحب الاستعانة متقلدين سيوفهم سامطين كباثهم مستعدين لهيجان بدهم أو كين أن يظهر لهم واياك أن تقبل في دواجم الافراسا قويا أو برزوا وبجاءن ذلك من أقوى القوة لهم وأعون الظهير على عدوهم ان شاء الله

ليكن رجلك ابا نوا واحدا وقتما معا والتخف المؤونة بذلك على جندك ويعلموا أن رحيلهم فيقدموا فيايزيدون من معالجة أطعمتهم وأعلاف دوابهم وتسكن أفندتهم الى الوقت الذي وقفوا عليه ويطمن ذوو (الحاجات) أبان الرحيل ومنى يكون رجلك مختلفا تعظم المؤونة عليك وعلى جندك ويحاولوا كزهم ولا يزال ذوو السفه والزفر ينزلون بالأرجاف وينزلون بالتوهم حتى لا ينتفع ذو رأي بنوم ولا طمأينة

اياك ان تنادي برجيل من منزل تسكون فيه حتى يأمر صاحب دعيتك بالوقوف على

معسكرك أخذ ابوقه جنبيه بألسنتهم عدة لأمر ان حضري ومفاجأة من طليعة العدو ان أراد نهزة أو لمحت عند كم غرة ثم مر الناس بالرحيل وخيلك واقفة وأهبتك معدة وجنتك واقفة حتى اذا استقلت من معسكركم وتوجهتم من منزلكم سرتهم على تعبيتكم بسكون رجع وهدو وحلة وحسن دعة

فاذا انتهيت الى منهل أردت نزوله أو هممت بالمعسكر به فإياك ونزوله إلا بعد العلم بان نمر في لك أحواله أو يسر علم دفينه ويستنبط علم أموره ثم ينهبها اليك وما صارت اليه لتعلم كيف احتال عسكرك وكيف مأواه وأعلامه وكيف موضع عسكرك منه وعمل لك اذا أردت مقامه أو مطاولة عدوك ومكيدتك فيه قوة تحملك ومدد يأتيه فانك ان لم تفعل ذلك لم تأمن أن يهجم على منزل يزججك منه ضيق مكانه وقلة مياهه وانقطاع موارده ان أردت بعدوك مكيدة واحتجبت من أمرهم الى مطاولة فان ارتحلت منه كنت غر ضالعدوك ولم تعد اني الخاربة ولا خطر بيلا وان أقت به أقت على مشقة حصر وفي أزل وضيق فاعرف ذلك وتقدم فيه

فاذا أردت نزولاً أمرت صاحب الخيل التي رحلت الناس فوقفت متحيزة من معسكرك عدة لأمر ان راعك ومقر عالبدية ان راعتك قد أمنت باذن الله وحوله بجأة عدوك وعرفت موقعهما من حربك حتى يأخذ الناس منازلهم وتوضع الأنفال مواضعها ويأتيك خبر طلائعك وتخرج دباباتك من عسكرك دبابا يحطين بعسكرك وعدة لك ان احتجبت اليهم وليكن دباب جندك بعسكرك أهل جلد وقوة قائد أو اثنين أو ثلاثة يا حجاجهم في كل ليلة ويوم نويا بينهم فاذا غربت الشمس وجب نورها اخرج اليهم صاحب تعبيتك أهداهم عسسا بالليل في أقرب من مواضع دباب النهار يتعاو ذلك فوادك جميعا بلا محاباة لأحدهم فيمولا دهان ان شاء الله

إياك أن يكون منزل لك الا في خندق أو حصن تأمن به بيات عدوك وتستريح فيه الى الخزم من مكيدته اذا وضعت الانفال وخططت أبنية أهل العسكر لم يتدخبا ولم ينصب بناء حتى يقطع لكل قائد ذرع معلوم من الأرض بقدر أحجابه فيحتفروه عليهم (ويبنون) بعد ذلك خنادق الخس طارحين لها دون أن تجار المراح ونصب الترس لها بيان قدو كنت بعد بحفظ كل باب منهما رجلا من قوادك في مائة رجل من أحجابه فاذا فرغ من الخندق كان ذلك القائد ان أهلا ذلك المركز (وموضع) تلك الخيل وكانوا هم لبوا بين ولا حرس لبيتك الموضعين ندى الى الرفاهة والسعة وتقدم العسكر أو التأخر عنه فان ذلك مما يضعف الحوائى وبهونه

لاستقامته الى من ولاه ذلك وأمنه به على جيشه

واعلم انك اذا أمنت باذن الله طوارق عدوك وبقناتهم فاذا راموا ذلك منك كنت قد أحكمت ذلك وأخذت بالجد فيه وتقدمت في الأعداد له ورتقت خروف الفتق منه ان شاء الله

اذا ابتليت ببيات عدوك أو طرقت رائعا في حذر اعداء مشمرا عن ساقك ممعربا لحربك قد قدمت دراجتك الى مواضعها على ما وصفت لك التي قدرت لك وطلعتك حيث أمرتك وجندك حيث عبات قد خطرت عليهم بنفسك وتقدمت الى جندك أن (طرق) طارق أو فاجأهم عدولا يتكلم أحدهم بها فعاصونه بالكبير مستغفرا في اجلاب معلنا للارهاب الأهل الناحية (التي) يقع بها العدو طارقا وليس عوار ما حهم مادين لها في وجوههم و برشقهم بالبسل ملبدين ترسهم لازمين لموا كثرهم . . قدم عن موضعها ولا منصارين الى غيرهم كثرهم وليكبر و " ثلاث مرات متواليات وسائر الجند هادون . . عدوك من معسكرهم فقد أهل تلك الناحية بالرجال من أعوانك وشرطك ومن انتضت قبل ذلك عدة للشهيد وتدس لهم الشباب والرمح وياك أن يشهر واسيفا يتجالدون به وتقدم اليهم فلا يكون قتالهم للبليل في تلك المواضع من طرقهم الا بالرمح مسندين لها الى صدورهم الشباب راشقين به وجوههم قد ألبسوا بالترسة واستحيوا بالبيض وألقوا عليهم سوابغ الدروع وحباب الحشوفان صد العدو عنهم حائلين على ناحية أخرى كبر أهل تلك الناحية الأولى وبقية العسكر سكوت والناحية التي صدر عنها العدو لازمة لموا كثرها فعلت في تقويتهم وامدادهم بمثل صنيعك باخوانهم وياك وأن تخمد نار روافك واذا وقع العدو في معسكرك فأججها ساعرا الها وأوقدها حطبا جازلا يعرف بها أهل العسكر مكانك وموضع روافك ويسلمون نافر قواهم ويقوى واهن قوتهم ويشد بمنخل ظهورهم ولا يرجفون فيك بالظنون ويحياونك آراء السوء وذلك من فعلك رد عدوك بغظه ولم يستقل منك بظفر ولم يبلغ من نكايتك سرورا ان شاء الله

فان انصرف عنك عدوك ونكل عن الاصابة من جندك وكان بخيلك قوة على طلبه أو كانت لك خيل معدة وكتيبة منتخبة فقدر أن تركب بهم؟ كنافهم وتحملهم على سنهم فأنتبهم جريدها خيل ثقات من فرسانك وأولو النجدة من حباتك فانك تهرق عدوك وقد آمن بياتك وشغل بكاله عن التصر زمة والأخذ بأبواب معسكره والضبط لمحارسة موته حاتم لغبة أبطالهم باللقوكم عليهم من التشهير والجد قد عقر الله فيهم وأصاب منهم

وجرح من مقاتلهم وكسر من أمان ضلالتهم ورد من مستعلى جاحهم وتقدم إلى من توجه في طلبهم وتبعه (أن يكونوا) هم في سكوت الرمح وقلة الرفث وكثرة التسييح والتهليل واستصار الله عز وجل بقلوبهم وألستهم سرا وجهرا بالاجب ضجة ولا ارتفاع ضوضاء دون أن يردوا على مطلبهم ويتنزهوا فرصهم ثم يشهروا السلاح وينضوا السيوف فإن لها هبة رائعة وبديهة غوفة لا يقوم لها في همة الليل إلا البطل المحارب ودوا البصيرة المحامي المسقيت المقاتل وقليل ما هم عند تلك المواضع إن شاء الله

ليكن أول ما تقدم به في التمهيد له دول والاستعداد للاقائه انتخابك من فرسان عسكريك وحاجات جنديك ذوى البأس والحنكة والجد والصرامة ممن قد (اعتاد) طراد الكياة وكشر عن ناجده في الحرب وقام على ساق في منازلة الأقران تنف الفراسة مستجمع القوة مستصعد البرية صبور على أهوال الليل عارفا بمناظر الفرص لم تمنه الحنكة ضعفا ولا بلبت به السن، لا ولا أسكرته غرة الحدائة جهلا ولا أبطرت به نجدة الأعمار صلفا جرشا على مخاطرة التلف مقدم على ادراع الموت بكابر المرهوب الهول متحمها غشى الخوف خائضا غمرات الممالك برأى يؤيده الحزم ونية لا يجلجها الشك وأهواء مجتعة وقاوب موقنة عارفين بفضل الطاعة وعزها وشرفها وحيث محل أهلها من التأيد والظفر والتسكين ثم اعرضهم برأى عين على كراهم وأسئلتهم ولتكن دواهم بان عناق الخيول وأسلحتهم سوابغ اندر وعكامل آلة المحارب متقلدين سيوفهم المستخلصة من جيد الجواهر وصافي الحديد والمضربة من معادن الأجناس هندية الحديد أو بديهة بمانية الطعير قاني المضارب مستوية السند مستطبة الضريبة ملبدن بالترسة الفارسية صينية التعقيب معلة المقابض بحلق الحديد اجتأوها صريرة ومخارزها بالتجليد مضاعفة ومجملها مستخف وكائن الليل وجعاب القمي قد استقبوها وقسى الشريان والسبع غراية الصعة مختلفة الأجناس حكمة العمل وبصول النيل مسومة وتركبها عراقى وتريشها بدوى مختلفة الصوغ في الطبع تنى الأعمال في التشطيط والاستزادة وتسكن الفارسية مقلوية المقابض منبسطة للسنة سهلة الانطاف مقررة الانحاء محكمة المرمى وسعة لأسهم فرضها سهلة التورود معاطفها غيرة ممنون الموائمة ثم ول على كل ما تخرج من جهرا من هلى حصن وتقاتل ونصائح وتقدم إليهم في ضبطهم وكف راسد نزل نصائحهم وسدد دعايتهم وسد لاص خبثهم وتهدد كراهم وأسلحتهم معفيالهم من الدواب التي تترجم أهل لسكر وعامة جنودك ثم جعلهم عدة لأمر من فاجأك أو طارق يبتك ومهمهم أن يصكوا نوا على أهبة معدة وحذرهم لك لا تدري أى

الساعات من ليالك ونهارك تكون اليهم حاجتك فليكونوا كرجل واحد في التشهير والتردى وسرعة الاجابة فانك عسيت أن لا تجد عند جماعة جنديك مثل تلك الروعة والمباغة ان احتجت الى ذلك منهم معونة كافية ولا أهبة معدة بل ذلك كذلك فاذا كره اولى الذين تبعت عدتك وقوتك تقوى لاقطعة تها على القواد الذين وليتهم أمورهم فعميت أولا وثانيا وثالثا ورابعا وخامسا الى عشرة فان اكتفيت في ايدهمك ويتركك لبعث واحد كان هذا لم تحتاج فيه الى امكانهم في ساعتهم تلك وقطع البعث عليهم عندما يرهقك وان احتجت الى اثنين وثلاث وجهت منهم ارادت ان شاء الله

وكل بخزائنك ودواوينك رجلا أميناً صالحاً ذا ورع حازر ودين فاضل واجعل معه خيلا يكون مسيرها ومنزلها ورحلها مع خزائنك وتقدم اليه في حفظها والتوفر عليها واتهام من يستولى على شيء منها على اضعافه والتهاون به والشدة على من دنسها في مسير أو ضاها في منزل وليكن عادة الجند والجيش الا من استصلحت للسير معها متعين عنها مجانبين لها فانه ربما كانت الجولة وحديث الفرقة فان لم يكن للخرائن ممن يوكل بها اهل حفظ لها وذب عنها أمر الجند اليها وتداعوا نحوها حتى يكاد يترأى ذلك بهم الى انتهاب العسكر واضطراب الفتنة فان اهل الفتى وسوء السيرة كثير واتماهمتهم الشرفا لك وأن يكون لأحد في خزائنك ودواوينك وبيوت أموالك مطعم أو يجردوا الى اغتيالها ومررها ان شاء الله

اعلم ان أحسن مكيدتك أترافى العامة وأبعد ما صونافى حسن القالة ما نلت الظفر فيه بحسن الروية وحزم التدبير ولطف الحيلة فلتكن رويتك في ذلك وحرسك على اصابته لا بالقتال واطار التلف وادسس الى عدوك وكاتب رؤوسهم وقادتهم وعدهم المنالان ومنهم الولايات وسوغهم التراب وضع عنهم الأحن واقطع عنهم أعناقهم بالمطامع واملاهم قلوبهم بالترهب وان أمكنتك منهم الدوائر وأصارهم اليك والراجع وادعهم الى الوئوب بصاحبهم أو اعزله ان لم يكن لهم بالوئوب عليه طاقه ولا عليك أن تطرح الى بعضهم كتباً كأنها جوابات كتب لهم اليك وتكتب على السنتهم كتباً اليك يدفعها اليهم ويحمل بها صاحبهم عليهم وتزله عنده منزلة التهمة فلعل مكيدتك في ذلك أن يكون فيها افتراء في كلمتهم وتشيت جماعةهم واحش قلوبهم سوء الظن من واليهم فيو حشهم منه خوفهم اياه على أنفسهم اذا أيقنوا بانها من اياهم فان بسط يده بقتلهم وأولغ في دماهم سيفه وامر ع في الوئوب بهم أشعرهم جميعا الخوف وتعلمهم الرعب ودعاهم اليك الهرب وتهاقوا بجولك

بالنصيحة وإن كان متأنياً محملاً رجوت أن تستميل اليك بعضهم وتستدعي بالطمع ذوى
الشر منهم وتقال بذلك ما تحب من أخبارهم إن شاء الله

إذ أداني الهفان وتواقب الجعان واحتضرت الحرب فعبأت أحبابك لقتال عدوهم
فأكثر من لاحول ولا قوة إلا بالله والتوكل على الله والتغوى بضالته ومسألته توفيقك
وارشادك وأن يعزم لك على الرشد والعصاة الكاثرة والحيلة الشاملة

ومرجدك بالصمت وقلة التلقف إلى المشارة وكثرة التكبير في أنفسهم والتسبيح
بضائرهم ولا يظهر واتكبرا إلا في السكرات والحلات وعند كل زلفة يزدلفونها فأما وهم
وقوف فإن ذلك من الفضل والجبن وليكثر وأمن لاحول ولا قوة إلا بالله حسبنا الله ونعم
الوكيل اللهم انصرنا على عدوك وعدونا الباغي واكفنا شركته المستعدة وأبدنا
بملائكتك الغالبين واعصمنا بعونك من الفضل والعجز انك أرحم الراحمين

وليسكن في عسكرك مكبرون بالليل والنهار قبل الواقعة يطوفون عليهم يحضونهم على
القتال ويحرضونهم على عدوهم ويصفون لهم منازل الشهداء وثوابهم ويذكرونهم الجنة
ورضاء أهلها وسكانها ويقولون ادكروا الله يذكركم واستنصروهم بنصركم وإن استطعت
أن تكون أنت المباشرة لتبعية جنودك ووضعهم من رأيائك ومعك رجال من ثقات فرسانك
ذو ومن وتجربة وتجدد على التبعية وأمير المؤمنين واصفها لك في آخر كتابه هذا إن شاء
الله أيدك الله بالنصر وغلب لك على القوة وأعانك على الرشد وعصمك من الزنح وأوجب
لمن استشهد معك ثواب الشهداء ومنزل الأصفياء وسلام عليك ورحمة الله وبركاته

الفصل الثاني

في

(آداب الملوك وأخلاقهم وميائسهم)

آداب الملوك هي أحول عرفها لأمراء والملوك بالتجارب والرأي لصائب مما ينبغي
أن يفعله ويمتنع أن يجتنبه كان معاوية رضي الله عنه لا ينبغي له أن يكون كذا بل ولا
غاشا لانه ينصح ولا نصيح الولاة إلا بالمصلحة ولا غشوا لانه إذا احتد هلك رعيته ولا

حسودا لانه لا يشرف أحد فيه حسدا ولا يصلح الناس الأباثر افهم ولا جبالا لانه يجترى عليه عدوه ووضيع نفوره

وقد جاء في كتاب كتاب المنهج المساو في سياسة الملوك ان الملك المستصحب لتدبير الرعية يجب أن يتصف بالأوصاف الكريمة ويجعلها خاتما مطبوعا له ولا يحمل منها وصفا واحدا منها قوام دولته ودوام مملكته وهي خمسة عشر وصفا - العدل - العقل - الشجاعة - المضاء - الرفق - الوفاء - الصدق - الرأفة - الصبر - العفو - الشكر - الامانة - الحلم - العفاف - الوفاق

✽ العدل ✽

عليك بالعدل ان وليت مرتبة واحذر من الجور فيها غاية الحذر
فالملك يبقى على الكفر اليهم ولا يبقى على الجور في يد وفي حضر
العدل - هو أفضل أوصاف الملوك وأقوم لدولته يدعو إلى الطاعة وبه استقام الدين وتأكفت النفوس وعمرت البلاد وأصل التواصل وأمنت السبل وقد قال في ذلك أفلاطون بالعدل يا - المملكة بالجور زوالها وحكى ان الاسكندر قال لحكام الهند وقد رأى قلة الشرائع في بلادهم لم صارتن سنن بلادكم قليلة قالوا اعطائنا الحق من أنفسنا ولعدل ما وكافينا

فالسلطان اذا عدل انتشر العدل في رعيته فاقموا الوزن بالقسط وتعاطوا الحق فيما بينهم وزموا قوانين العدل فأتى الباطل وذهبت رسوم الجور وانتعشت قوانين الحق فأرسلت المبعوثين وأخرجت لأرض يركها وتمت تجارهم ورخصت أسعارهم وامتلائت أوعيتهم فوسى البخل وأفضل الكرم وقضيت الحقوق وأعين المواعين وتهادوا التحف وهان الحطام لكثرة ونشر بعديته

وقد ذكر أبو الحسن الآتيني - ان العدل نوعان طاهر وباطن وكل نوع منها يقسم وبفصل إلى أحكام - أما الظاهر فهو في الحكم بين الناس أقوله سبحانه وتعالى وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط وفي عدالة لشهود لقوله عز من قائل واشهدوا ذوى عدل منكم وفي صدق القول لقوله تعالى وادافعتم فاعدوا ولو كان ذا قربى وفي صلاح ذات البين لقوله جل ذكره وان طائفتان من المؤمنين قتلتوا قتلى قولة وأصلحو بينهما بالعدل وأقسطوا ان الله يحب المقسطين - وفي لوزن لقوله تعالى عز وجل وزوا بالقسط المستقيم وكذلك

في جميع الاشياء فانها متفكرة الى العدل فيها والاعتدال في جميع معانيها
 أما الباطن فهو في جميع ما يلزم الانسان من محاسبة نفسه فيما بينه وبين الخالق وفيما بينه
 وبين المخلوق فاما الذي بينه وبين الخالق فامثال أحكامه والزام حدوده عند أمره ونواهيه
 وأما الذي بينه وبين المخلوق فالانصاف من نفسه فيما كان له وعليه وأخذ الحق واعطائه وقوله
 الصدق وأنصاره وحسن المعاشرة وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وكتمان السر وغير ذلك مما
 يتعلق بحكم الشريعة ويتقضى الحق وتوجيهه مكارم الاخلاق ومن يجرد عن آيات هذه
 الخصال فقد تدل عن طريق العدل وحاد عن سنن الحق قال صلى الله عليه وسلم تخلقوا باخلاق
 الله تعالى وسأل كسرى بعض حكام الفرس أى الرجال خير فقال أرجهم ذرعا عند الضيق
 وأعد لهم حكا عند الغضب وأبعدهم ظمأ عند المقدرة وأرجهم قلبا اذا سلط وأبسطهم وجهها
 اذا سئل انتهى

غير المألوف من عدل في رعيته وحملهم على طاعته فلا يبلغ فيهم من العنف عليهم منزلة
 تحملهم على اذم في أمره والبرم ولا يتسه ولا يبلغ بهم من التراخي والاهمال منزلة تقودهم الى
 الاستخفاف بأمره والاخلال بحقه وان يمد له الكبير والصغير والقريب والبعيد
 وليس العدل شيء اختص به الامراء والرؤساء والولاة ممن له في غيره حكم دون غيرهم بل هو
 لازم لكل انسان في جميع أحواله فانه يتعين عليه العدل في أهله وماله وورثته وعياله وخوله
 وقربائه وجيرانه ومعامله وخطبائه في أخذ وعطاءه وفي انخاص والعام من جميع اموره
 واحواله فالناس على دين ملوكهم وقد أخبر الخافض بن يار جند عن العباس بن محمد لهاشمي قال
 أتى لواقف بين يدي المأمون يوما وقد جلس للمظالم اددخلت امرأة متضمة في اخر ياب
 الناس وعليها هيئة واطار بالية وقد دن المؤذن لاوى وهم بالقيام فقالت

يا حير مستعصم يهدي الى الرشيد ويا منما به قد أشرق البلد
 تشكوا اليك سليل ذلك ريلة عند سليلها فلن تقوى به أحد
 فابتنى ضياعا بعد منعتها وقد تفرق عني الأهل وولده

فأجابه المأمون ارتحالا من

من دون ما قلت عيل الصبر واخذ متى ود م به في قلبي لك كبد
 هذا أو ن صلاة الظهر دصرتي وحصرى خصم في ليوم دى أعد
 والمجلس السبت أن يقضى الجفوس لنا صعب فيه ولا مجلس لأحد

قال فجلس يوم لاحد ودخلت امرأة قد لها من الخصم فتك هو بين يديها وأمرت

الى ولده العباس فقال لأحد أبى خالد خديده واجلسه معها موضع الخصوم فأدعت عليه بالضيعة وجعلت ترفع صوتها عليه فقال أخفضي من صوتك فأنك بين يدي أمير المؤمنين قال المؤمنون دعها فإن الحق انطقه والباطل أسكته ثم ظهر الحق معها فتخفى لها وأمر برضيعتها لها وغرم ولده ما أخذته من ريعها وأمر عامله ببلدها أن يحسن معاملتها

وحكى العتيبي أنه بعث هشام ابن عبد الملك يوما الى قاضيه فلما دخل خرج اليه وزيره وأقبل إبراهيم ابن محمد بن طلحة فقعد واجمعا بين يدي القاضي وقال له الوزير أن أمير المؤمنين قد سئى للكلام معه مع هذا الرجل يعني إبراهيم قال القاضي تأتيني بالينة على تقديمك قال أتراني قلت عن أمير المؤمنين ما لم يقل وليس بيني وبينه الا هذا السر قال لا ولكن لا يثبت الحق لك ولا عليك الا بذلك فقال ولم يثبت ان وقعت الابواب وخرج الحرس فقالوا هذا أمير المؤمنين فقام اليه القاضي فأشار اليه فقصده وبسط له فقعد هو وإبراهيم على البسط اتباعا للحق فتمكروا وحضرت الينة فوجب الحكم على أمير المؤمنين ففخى عليه

ويحكى أيضا عن الحكم بن هشام أحد خلفاء بني أمية بالاندلس وكان قد قدم للقضاء بقرطبة بمحمد بن بشر وكان فتى وكان اذا خرج وجلس في مجلس الحكم لبس رداء معصفرة ورجل شعره وكان الى مصمة أذنه هذا التمس ما عنده وجده قائما بالحق نافذا الحكم مؤثرا العدل قوي يافي ذاب الله تعالى بعباده عن الهوى جانحا الى التقوى فرفع اليه رجل من كورة عيان انزعاه لئلا يحكم اغتصب جرية وصيرها الى الحكم فثبت الرجل عند محمد بن بشر ما جرى عليه في جاريته وأناه ببينة يشهدون على عينا الجارية وعلى معرفة نظامه فوجب الحق حضور الجارية والوقوف على عينا فقام لقاضي وأستاذ على الحكم فلهما دخل عليه قال له انه لا يتم العدل في العامة دون الخاصة في الخاصة واعلمه بحج الجارية وكانت وقعت من نفسه موقع لطف وقال لا بد من ابرأها وتزلى عن القضاء قال الحكم أولا أدعوك الى خير من ذلك قل وما هو قل بتناع الجارية من صاحبها باوفر لائمان وأجل القيم وأبلغ ما يرضيه فيها فقال له ان الشهود قد شخصوا من هالك يطلبون الحق في نظامه فلهما وصلاوا باى شئ نصرهم دون انفاذ الحق لاهله فلعل فائلا يقول انما نافع ما لم يملك بيع مقتصر على نفسه فلما سمع مقاله أمر باخراج الجارية من قصره وشهد الشهود على عينا وقضى لصاحبها فأفضل الأمراء والمؤثر من عظم العلم والعلماء وقبل النصيحة وأظهر العدل وانقاد للحكم ورفض السكرم ولزم التواضع ولم يجعل المال الله على من استوجبه وصل الرأفة ولم يول

الاشرار على العباد شعر

الملك جسم كانسان تدبره طبائع اربع محمودة الاثر
العدل في الحكم ثم الحكم في غضب والبذل للعروف ثم الصدق في الخير
فن تعدى من الأملاك موضعها فقد خلا من جميع الفضل والنظر
ومنتهى ما وصلت اليه ممالك العرب من العدل أن يعي ابن أكرم مشى مع المأمون في
بستان والشمس عن يساره والمأمون في الظل فلما رجعا وقعت الشمس أيضا على يعي
فقال المأمون تحول مكانى وتحول مكانك حتى تكون في الظل كما كنت واقفك الشمس
كما رقيتني فان أول العدل أن به بدل الرجل على بطائه ثم الذين يلوئهم حتى يبلغ العدل
الطبقة السفلى فمزم عليه فصول

وأيضا كتب عامل حصن الى عمر بن عبد العزيز ان مدينة حصن تهدمت واحتاجت الى
اصلاح فكتب اليه عمر حجتا بالعدل ونق طرقها من الجور ومن الحكم المنشورة زين
الأماره العدل وزين الثروة البذل وقال عبد الملك بن مروان يوما لنيه كلكم يترشح لهذا
الأمر ولا يصلح له الا امن كان له سيف مسلول ومال مبدول وعدل نظم من معه القلوب وفي
كلام الحكماء خير الملوئ من عدل وشهرهم من جهل وبخل

❦ واجبات الملك ❦

ومن الواجبات على الملك نحو الرعية أن يول عليها خيارها ولا يول عليها شرارها لان
خيار العمال تسير بالامة الى الصلاح وشرارها تنول بها الى الخراب شعر

وما سقطت يوما من نذر رمة الى النمل الا ان يسود ذمها
اذا ساد فيها بعد ذل لثينا قصد لنا ذل وقد أديها
وما قادها للغير الا مجرب علم باقبال الامور كرمها
وكل ذى لب يعاش بفضلها ولكن لتدبير الامور حكيمها

وعلى الملك أن يراقب حركات عماله ورؤساء مملكته ويبعث عليهم العيون والارصاد
ليأثونه باخبار عماله كبارا كانوا أو صغارا ليقف على حقيق الامور ودقائقها ولا يركن
على قول وزير أو صدوق أمير أو متبع حديث بل يحقق لاهل بنفسه وأن يطالع على كل ما
يعرض عليه من أصغر نفق رعيته وأحقرها الى أكبر وحسنه وأن لا يتدنى في الحجاب
لان العرب كانت تقول ما نئى أصبح للملكة وأهبل للرعية من شدة خجابه لئولى ولائى

أهيب الرعية والعمال من سهولة الحجاب لأن الرعية إذا وثقت من الولاية بسهولة الحجاب
احجمت عن الظلم وإذا وثقت بشدة الحجاب تهجمت على الظلم وركب القوى الضعيف
تغير خلال الولاية سهولة الحجاب

وعليه أن يلطّف في التجسس على كل عامل من عماله بالتفتيش على أعماله بواسطة
أعوان يتخذهم لهذا الغرض يكونون أمناء على أسرارهم حتى لا يقع في مملكتهم من الجور
ما يكون سبباً لأضرارهم ونفور رعيته وابتعادها عنه لأن جور العمال منسوب
إليه فقد قال المؤمن ما وجدت فتقا في الرعية إلا وكان سببه العمال

يمكن أن يملك بلغه أن أحد عماله قد تمادى في غيه فأرسل رجلاً من بطانته إليه ليعرف
خبر عامله ويخبره بأخبار الرعية معه فلما وصل الرجل أخبر به العامل فأرسل إليه بمال
وتحف ثم قال له عرفت ما جئت له واني أريد أن أطلب إليك في كتاب تكتبه إلى الملك تذكر له فيه
أني حسن السيرة صالح الطريق العدل فإن أنت فعلت ذلك فلن أكون عندي فوق ماتعجب وترى به
وان أبيت أمرت بقتلك أما حدا وأما سياسة فاقطعك بمحض من قضى البدو وجوه الناس
فلم يجد بدا من موافقته ولم يمكنه أن يخون الملك في قلبه ووجهه بصدده فكتب بحضرة
ذلك العامل

أما بعد أعز الله الملك فأني قدمت بلد كذا وكذا فوجدت أن العامل فلان أخذ بالجرأتم
عاملاً بالعزم قد ساوى بين رعيته وعدل بينهم في أقضية وأرضى بعضهم بعضاً وجعل طاعته
عليهم فرضاً وأنزّلهم من منزلة الأولاد وأذهب من بينهم الخاصة والأحقاد وأراحهم من السعي
للدينا وعرفهم العمل للأخرى أغنى القاصد وأرضى الوارد وألزمهم العبادة في المساجد
بجميع أهل عمله داعون للملك بودون النظر إلى كريم وجهه والسلام

فلما قرأه الوزير على الملك فكر فيه وقال لوزيره ان فلان لم يكن يحتمهم وان كتابه لي داني
على ظلم العامل فالتمس لي رجلاً يصلح لعمله فقد عزّلتني فأن معني قوله أخذ بالجرأتم انه خالف
من لم اعتمد من الولاية وأما قوله فانه ساوى بين رعيته لم يخص واحدا منهم بالظلم بل ظلم
الجميع وقوله أرضى بعضهم عن بعض يعني أصابهم بشدة عقمهم فرضى بعضهم عن بعض
وقوله أذهب أحقادهم لانه عند الشدة ذهب الأحقاد وقوله اني لم بمنزلة الأولاد أخذ
أموالهم من قوله صلى الله عليه وسلم أنت ومالك لأبيك وقوله أراحهم السعي للدينا أي أخذ
أموالهم ولم يترك عندهم ما يبيعون فيه ويتجرون فيه والزمهم المساجد والعبادة وقوله أغنى
القاصد وأرضى الوارد فانه عني عن نفسه بأنه اعطاه ما لا يكتب اليه بذلك وقوله داعون

الملك أي يدعون بلن نصرنا الله بأمره ويطعننا على ما هم فيه وقوله واشتباهم إلى النظر
الينا أي يودون الحضور ويستغيثون بناتم أمر باحضار ذلك العامل والقاصد فوجد الأمر
كافهم وأحضر الناس اليه وأنصفهم منه والله أعلم
ومما يجب على الملك أن يكشف المناهضة لعلمه عند توليتهم الأعمال ويفهمهم أنه رقيب
على أعمالهم وإن له عينا يبصر بهامن وراء ستار عالميا بكل ما يجري في ولايته حتى لا يتأدوا
في غيهم أو يهملوا في أداء واجبه وأنه مجازيهم بالخير خيرا وبالشر شرا

الرافقة

الرافقة - ومما يلحق العدل وعامله في الوصف استعمال الرافقة مع الرعايا فيما يخصه بدل
الشدة وأن لا يعاقب لأقل سبب لأن ذلك مما ينفّر طباعهم ويبعد قلوبهم والحلم عند الغضب
والعفو عند المقدرة من ذلك ما يروى أن من وان بن الحكم وهو وال على المدينة في خلافة
معاوية حبس غلاما من بني ليث في جناية جناها بالمدينة فأنته جثة الغلام وهي أم سنان بنت
جشمية بن حرشة المدحجية فكسّمته في الغلام فأغلظ لها من وان فخرجت إلى معاوية
فدخلت عليه فانتسبت له ففرها فقال مرحبا بابنة جشمية ما أقدمك أرضنا وقد عهدتلك
تسقيننا وتعضين علينا عدونا قالت يا أمير المؤمنين إن لبي عبد مناف أخلاقا ظاهرة وأعلاما
ظاهرة لا يجهلون بعد علم ولا يسهون بعد حلم ولا يشقون بعد عفو وإن أولى الناس باتباع
ما سن أبواؤه لأنك قال صدقت نحن كذلك فكيف قولك

عزب الرقاد فقلتي ما ترقد	والليل يصدر بالهموم ويورد
يا آل من حج لأمقام فتمروا	إن العدو لآل من حج يقصد
هذا علي كالمسلال تحفه	وسط السماء من الكواكب أعد
خير الخلائق وابن عم محمد	أن يهدكم بالنور منه تهتدوا
ما زال قد شهد الحروب مظفرا	والنصر فوق لوائه ما يفقد

قالت قد كان ذلك يا أمير المؤمنين وأرجو أن تكون لنا خلفا بعده فقال رجل من
جلسائه كيف يا أمير المؤمنين وهي المناائلة

أما هلكت أبا الحسين فلم تزل	بالحق تعرف هاديا مهديا
فأذهب عليك صلاة ربك ما دعت	فوق العصور حمامة غريا
قد كنت بعد محمد خلفا لنا	أوصي اليك بنا وكنت وريا

واليوم لا تخفى يؤمل بعده هيات نأمل بعده أنسيا

قالت يا أمير المؤمنين لسان نطق وقول صدق ولئن تحقق فيك ما ظنناه فخطاك الأوفر والله ما أورتك الشنائن في قلوب المسلمين إلا هؤلاء فادحض مقالهم وأبعد نزلتهم فانك ان فعلت ذلك ترد من الله قريبا ومن المسلمين حبا قال وانك لتقولين ذلك قالت سبحان الله والله ما مثلك من مدح يبطل ولا عتد اليه يكذب وانك لتعلم ذلك من رأينا وخمير قلبنا كان على والله أحب الينامك وأنت أحب الينامن غيرك قال بمن قالت من مروان وسعيد بن العاص قال وبم استحققت ذلك عندك قالت بسمة حاكم وكرهم عفوك قال وانهم ما يطمعون في ذلك قالت ها والله من الرأي على ما كنت عليه لعنان بن عفان قال لقد قاربت من حاجتك قالت يا أمير المؤمنين ان مروان تنبك في المدينة تنبك من لا يريد منها البراح ليحكم بعدل ولا يقضى بسنة يتبع عورات المؤمنين حبس ابن ابني فأتيته فقال كيت وكيت فأسعته أخشن من الحجر وألقمته أمر من الصبر ثم رجعت الى نفسي باللائمة وقلت لم لأصرف ذلك الى من هو أوى بالعقوبة مني فأيتيتك يا أمير المؤمنين لتسكون في أمرى ناظرا وعليه هديا قال صدقت لأستلك عن ذنبه والقيام بحجته اكتبوا لها باطلا فقلت يا أمير المؤمنين واني بالرجة وقد تغدز ادى وكلت راحتي فأمر لها برحلة موطأة وخسة آلاف درهم

الحلم

الحلم أكرم الخصال وأتم الخصال وافضل شأئل الرجال وأعلى مراتب الكمال فقال الماوردي ان الحلم امساك النفس عند الاستشاطعة في الغضب وربط الجأش عند الهيجان وملك الجوارح عند انقاد جرة الشر والتأبد والتثبت في تعجيل انفاذ الحكم لمن في عواقب ذلك من وقوع الندم واطهار خفة السفاهة عند حلول البرم لاسيما مع تمكن القدرة وتحكم القوة

فن تمام أحكام الحلم وكال أسبابه واجتماع معانيه قبول العذر من المعتذر صادقا كان أو كاذبا فان الاعتذار دليل الندم والندم توبة وقد يكون الندم حياء من المعتذر والحياء من الايمان وقد اعتذر رجل لى جعفر بن يحيى بن برمك فقال جعفر أغناك الله بقبول العذر مناعن الاعتذار وأغنايا بالوعدة منك عن سوء الظن بك

وحكى أبو العباس أحمد بن أبي دؤاد قال ما رأيت رجلا عاب الموت ملاء عنه فأذهله ولا شغله عما كان يجب أن يفعله إلا يمى بن جميل الأوس رأيت به وقد وافى به الرسول باب أمير

المؤمنين المعتصم بالله في يوم الموكب وقد جلس العامة فدعاه ودعا بالسيف والنطع فلما مثل بين يديه وقد بسط له النطع وشهر السيف جعل المعتصم ينظر اليه ويحيل فكره فيه وهو ساكت وكان رجلا وسبعا علا العين فأحب المعتصم أن يعلم أين لسانه وجنانه من منظره فقال له باتمهم تكلم وإن كان لك عذرفأت به وإن كانت لك حجة فأدل بها فقال أما وقد أذن لي أمير المؤمنين في الكلام فاني أقول الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي جبر بك صدع الدين وألم بك شعث الأمة وأوضح لك سبل الحق وأخذبك شهاب الباطل إن الذنب يا أمير المؤمنين يخرس الألسنة ويصدع الأفئدة وأيم الله لقد عظمت الجريمة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق إلا العقوبة والانتقام وأرجو أن يكون العفو أفرهم مامنك وأسرعهما اليك وألاهما بك وأشبههما بجلائقك ثم أنشأ يقول

أرى الموت بين السيف والنطع كأننا
وأكبر ظننى انك اليوم قاتلى
وأى امرئ يلدى بعذر وحجة
يعز على الاوس بن ثعاب موقف
وما جزى من أن أمسون وأنى
ولكن خلفى صيبة قد تركهم
كانى أراهم حين أنبى اليهم
فان عشت عاشوا حافظين بعظمة
وكم قاتل لا يبعد الله داره
فضحك المعتصم وقال باتمهم كاد والله أن يسبق السيف المنفل فتدوهبتك للصدية وعفوت
عن المفوة وخلع عليه وعقد له عنى ناطى الفراد فأحسن وأجمل السيرة

﴿ الجور ﴾

أما الجور فهو أذى الخصال لأنه جالب الفتنة وسبب الاحن ومحيل الاحوال ومحقق الاموال ويخلى الديار ويحجى البور وقد كانت لامم الماضية في القرون الخالية على اختلاف عقائدهم يحققون على أنكاره واصراره فالعقل ينكره والشرعية تبعده وتعاماه والسياسة تتأفد وتتعاهاه
فادبا جارس السلطان وأوالى تشدر الجور فى البلاد وعلم العباد فرقت أديانهم واضمحلت

من وأثمهم ففشت فيهم المعاصي وذهبت أمانتهم فضعفت النفوس وقنطت القلوب فنغصوا الحقائق ونعاطوا الباطل وبخسوا المكيال والميزان وجوزوا البهجة فرفعت منهم البركة وأسكت السماء غيها ولم تخرج الأرض ريعا ونباتها فقل في أيديهم الخطام فقسطوا فامسكوا الفضل الموجود وتأخروا عن المفقود فنعوا لركة المفر وضو بخلوا بالواحدة السنونة وقبضوا أيديهم عن المكرم وتنازعوا المقدار اللطيف وتجادوا القدر الخسيس ففشت فيهم الايمان السكاذبة والتخل في البيع والتداع في المعاملة والمكر والخذلة في القضاء والاختفاء ولا يجمعن من السرقة الا العار ومن الرنا الى الحياء فيظل أحدهم عاريا عن محاسن دينه متجرا دعن جلباب مروتها وكثرهم قوت دنياه وأعظم سراته من هذا الخطام ومن عاش كذلك فيطن الأرض له خير من ظاهرها قال ابن منبه اذاهم الى الوالي بالجوهر أو عمل به أدخل الله القص في أهل مملكته في الاسواق والزرع والضرع وكل شيء واذا هم بالعدل أو الخير أو عمل به أدخل الله البركة في أهل مملكته وقال عمر بن عبد العزيز تهلك العامة بعمل الخاصة ولا تهلك الخاصة بعمل العامة وفي هذا المعنى قال الله تعالى واتقوا فتنة لا تصيب الا الذين ظلموا منكم خاصة

حكى ابن العباس ان ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته متخفيا فزل على رجل له بقرة فراحق البقرة فحلبت له قدر حلب ثلاثين بقرة فمجب الملك لذلك وحدث نفسه بأخذها فلما راحق عليه من الغد حلبت على النصف مما حلبت بالامس فقال له الملك ملال حلبها تقص أرعبت في غير مما عاها بالامس قال لا ولكن أطن ملكهاهم بأخذها فتقص لبنها فان الملك اذا ظلم أو هم بالظلم ذهبت البركة فعاهد الله سبحانه ونماى في نفسه أن لا يأخذها فراحق من الغد حلبت كماداتها فقتاب الملك وعاد خبره به ليعدل ما بقى حيا

وحدث بعض الشيوخ كان يروى الاخبار بمصر قال كان بمصر مصر نخلة تحمل عشرة أرا داب تمرا ولم يكن في الزمان نخلة تحمل نصف ذلك فعصها الملك فلم تحمل في ذلك العام شأ ولا ثمرة واحدة

فكذلك اتهمى سرر الملوك وعزائمهم ويكون ضارهم الى الرعية ان خيرا نغيرا وان شرا فشرارا وعلى السلطان أن لا يتخذ رعية مالا وقية فيكونون عليه بلاء وقتنة ولكن يتخذهم أهلا وخوايا فيكونون له جندا واعوانا ماصلاح الرعية خير من كثرة الجنود فلكم مورا وعجن رعية وكل يلاى ربه فيها سه

الفصل الثالث

في

(الوزارة)

رأى العربان أهم ركن مسؤ ولا بعد الملك في المملكة هم الوزراء ثم يليهم في المسؤولية بقية أركان المملكة فوضعوا الحاقوانين وشروطها من الأهمية بمكان تأتي على ملخصها هنا

❦ الاشتقاق ❦

الوزارة اسمها مشتق من معناها واختلف فيه فهو على ثلاثة أوجه أحدها انه مشتق من الوزر وهو الثقل لانه يحمل عن الملك أقاله والثاني انه مشتق من الازر وهو الظهير لان الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بظهره والثالث انه مشتق من الوزر وهو الملجأ ومنه قوله تعالى كلا لا وزرأى لا ملجأ لأن الملك يلجأ إلى رأيه ومعونته اذ هو عليه مدار السياسة واليه تفضى الأمور

فلو كان الملك أسير الشهوات أو ضعيف الرأي وكان له وزراء عماء منزهون عن حب الأغراض والشهوات فانه يستقيم مهم حال المملكة وتنمو أصولها فبهتضى الطبيعة البشرية نحل الملوك ووزراء لا تخرج عن ثلاث صور لان واحد منهم ما أن يكون كامل المعرفة بحاجات الوطن قادر على اجراء المصالح بتراعاة المصالح أو يكون كامل المعرفة ولكن له أغراض وشهوات خصوصية تصده عن مراعاة المصالح العمومية أو يكون ناقص المعرفة ضعيف المباشرة لاية قوى على القيام بأعباء المملكة وتعمل مسؤوليتها

❦ أول وزير في الاسلام ❦

أول من مسمى وزير في الاسلام أحمد بن سليمان الخلال وزير لسفاح أول خلفاء بني العباس ثم تبعه وزراء الخلفاء والملوك على ذلك وكان قبل ذلك يقوون كتاباً وأول من لقب بالصاحب من الوزراء كافي الكفاة مها عبد بن عباد وكان اسبب في ذلك انه كان يصحب

الاستاذ بن العبيد فكانوا يقولون صاحب ابن العبيد ثم غلب عليه القلب حتى قيل له
الصاحب بجر داو تبعه الوزراء على ذلك وقد ذكر أبو الفضل الصوري في تذكرته - ان
الوزير يجب أن يكون صبيح الوجه فصيح البيان طلق اللسان أصيلاً في قومه رفيعاً في حربه
ونسبه وقوراً حليماً مؤثراً للجد على الهزل كثيراً لانة والرفق قليل العجلة والخرق تزر
الضحك مهيب المجلس ساكن الظل وقور النادى شديد الفكاء بطيئ الغضب ويستغنى
عن التصريح بالإشارة والاباء لينبه الملك على الأمور من أوائلها ويحب عليه أن يهتدى
النصيحة للملك على هواه ورضاه على رضاه مالم ير في ذلك خلائاً على المملكة فانه يجب أن
تهتدى النصيحة فيها الملك من غير أن يظهر له فيما تقدم من رأيه فساد أو نقصا لكن يتعيل لنقض
ذلك وتهيجته في نفسه وايضاح الواجب فيه بأحسن بأن فقد قال المأمون تحقل الملوكة كل
شيئ الا ثلاثة أشياء القدح في الملك وإفشاء السم والتعرض للحرم وقد قال أفلاطون أول
رياضة الوزير أن يتأمل أخلاق الملك ومعاملته فان كانت شديدة فظة عامل الناس يدونها
وان كانت لينية مطلقه عاملهم بأقوى منها ليقرّب من العدل في سعيه وكان ممن اشتهر من
وزرائهم بالبلاغة والفصاحة وحسن الخلق حتى صار يضرب به المثل يحيى بن خالد وزير
الرشيد والحسن بن سهل وعمر بن مسعدة كاتب المأمون وابن المقفع وسهل بن هارون
والاستاذ أبو الفضل بن العبيد المار ذكره واسماعيل بن عباد وأبو اسحق الصائغ وغيرهم
من الوزراء واليكم بيان تقسيم الوزارة وعدد الوزراء الواجب اتخاذهم على حسب
ما وضعوه في كتبهم

﴿ تقسيم الوزارة ﴾

تقسم الوزارة عند العرب الى قسمين وزارة تفويض ووزارة تفيد - فوزارة
التفويض هي أن يستور الملك من يفوض اليه الأمور برأيه وامضاتها على اجتاده لان
ما وكل الي الملك من تدبير الأمة لا يقدر على مباشرة جميعه الا بالاستنابة عنه ونباه الوزير
المشارك له في التدبير أصبح في تنفيذ الأمور من تفرد به اليه لا يستظهر بها على نفسه وما يكون
أبعد عن الزلل وأمنع من الخلل وتعتبر في تقليد هذه الوزارة شرط الامامة الا بالنسب
وحده لانه مضى الآراء ومنفذ الاجتهاد

وبشرط في وزارة التفويض شرطان أحدهما يختص بالوزير وهو مكاشفة الملك
بما أمضاه من تدبير وأنقذه من ولاية لئلا يصير بالاستبداد كالمالك الثاني يختص بالملك وهو أن

يتصفح أفعال الوزير وتديره الامور ليقرر منها ما يوافق الصواب ويستدرك ما خالفه لان
تدبير الامة اليه موكول وعلى اجتهاده وقوف ويجوز لهذا الوزير أن يحكم بنفسه وبقلده
الحكام كما يجوز ذلك للملك وينظر في المظالم ويتولى الجهاد بنفسه ويقلمن يتولاه
وبياشر تنقيذ الامور التي دبرها وأن يستتيب في تنفيذها وكل ماصح للامام للوزير
الاتلاثة أشياء أحدها ولاية العهد فان للملك أن يعهد الى من يرى وليس ذلك للوزير الثاني الملك
أن يستعفى الامة من الملك وليس ذلك للوزير الثالث أن يعزل من قلده الوزير وليس
للوزير أن يعزل من قلده الملك وما سوى ذلك فحكم التفويض اليه يقتضي جواز فعله
أما وزارة التنفيذ فحكمها أضيق وشروطها أقل لان النظر فيها مقصور على رأى
الامام وتديره هذه الوزارة وسط بينه وبين الرعية والولاية تؤدي عنه ما أمره وينفذ عنه
ما ذكره ويضئ ما حكم ويجبر بتقليد الولاية ونجها من الجيوش ويعرض عليه ما ورد من مهم
وتجدد من حدث لم يعمل فيه ما دؤم به فهو معين في تنفيذه لا مورو ليس يوال عليها ولا
مقلدها فان شورك في الرأى كان باسم الوزارة اخص وان لم يشارك فيه كان باسم الواسطة
والسفارة أشبه وهذه الوزارة مقصورة على أمرين أحدهما أن يؤدي الى الملك والثاني
أن يؤدي عنه فبراعى فيه سبعة أوصاف أحدها ان يؤدي الامانة حتى لا يخون فياقد وتمن
عليه ولا يغش في قد استصح فيه الثاني صدق اللبحة حتى يوثق بخبره فياؤديه ويعمل على
قوله فياينبه الثالث قلة الطمع حتى لا يرشئ فيايل ولا ينخدع فيايساهل والرابع أن يسلم فيما
بينه وبين الناس من عداوة وخصاء فان العداوة تصدع التناصف وتمنع من التعاطف فقد
قال أحد حكماء الهند الاحقاد مؤثرة حيث كانت وأخوفها ما كفى نفس الملوك والوزراء
الخامس أن يكون دكورا ما يؤديه الى الملك وعنه لانه شاهده وعليه السادس اللدكاء
والفطنة حتى لا تدس عليه الامور فتنتبه ولا تموه عليه فتلبس فلا يصح مع تشابهها عزم
ولا يصح مع التباسها حزم وقد أفصح هذا الوصف وزير الماءون محمد بن بزد حيث يقول
اصابة معنى المرء روح كلامه فان أخطأ المعنى فقد أخطأ موافق
اذ اغاب قلب المرء عن حفظ لفظه فيقتطه العالمين سببات
السابع أن لا يكون من أهل الاهواء فيخرج لهوى من الحق في الباطل ويتدلس
عليه الحق من الباطل فان الهوى خدع الالباب وصارف عن الصواب فان كان هذا الوزير
مشار كافي الرأى احاج الى الحسنة والتجربة التي تؤدي الى صحة لرأى وصوب التدبير

﴿ عدد الوزراء ﴾

واختلف أهل السياسة في عدد الوزراء فذهب الهند إلى اتخاذ سبعة وبعضهم ذهب إلى خمسة وهو رأي الروم والفرس اختاروا ثلاثة وقد اشترطت العرب أن يكون الوزير جامعاً لخصال الخير متصفاً بعشر صفات لا بد منها حسن الخلق والخلق يجمع بين النشأة والوقار والحلم والهيبة والعفة والزاهدة وعزة النفس سيده الآراء حسن العبارة سريع الفهم عالماً بالأمور السياسية والضوابط السلطانية والأحوال الديوانية والأمور الحربية يجمع ويفرق ويقرب ويشتت ويؤلف ويضاق إلى ذلك أن يكون قد بلغ أشده وكثرت تجاربه وأمنت خيانه وتحققت أمانته كئوداً لا سرار يسكنه الحلم وينطقه العلم له حفظ وبلاغة وإيجاز في العبارة حسن التأني في مخاطبة الملك لطيف التوصل إلى نقل طبعه من الميل إلى الاعتدال وليسكن مشقة لبرء الصدق والوفاء وفي الذمام شفقة بالانعام ذكوى الفكرة ذكوى الفطرة سريعاً جوابه كثيراً صوابه حسناً خطابه متيقظاً في تدبير الدولة مشراً للأموال هادماً للأوزار مقصداً في وجوه صرف الأموال

حكى أن المأمون كتب في اختيار وزير أني اختب لنفسي وتدير أمورى رجلاً جامعاً خصال الخير ذاعفة في خلائفه واستقامة في طريقه قد هذبته الآداب وحسنه التجارب أن يؤتمن على الأسرار قائم بها وأن قلسمهات الأمور نهض بها يسكنه الحلم وينطقه العلم وتكفيه الملاحظة وتغنيه الحاجة صولة الأمر، وأناة الحكماء وتواضع العلماء وفهم الفقهاء أن أحسن إليه شكر وإن ابتلى بالأساءة صبراً لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده يسترق قلوب الرجال بحلاوة لسانه وحسن بيانه

كانت ملوك العرب لا ترضى السن في تولية لولاءة والقواد مجرد كبير في السن مالم يكن مع كبره عاقلًا عالماً بالصالح عجزاً بالأمور والافتقار للكبار المجرد كبير في السن غير مقبول وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد بمكة وكان سنه نيفاً وعشرين سنة وأمر سعيد بن وقاص وسنه دون العشرين

وولى المأمون يحيى بن أكرم قضاء البصرة واستصغره الناس فسألوه تعبير ذلك فقالوا كم سن القاضي قل سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فجعل جوابه احتجاجه

وولى الحجاج محمد بن القاسم قتال الأكراد بفارس فأبادهم ثم ولاه السند والهند وسنه

سبع وعشرين سنة وقال الشاعر

لا تعجبوا من علو همته وحته في أوامر منشاها
ان الجحوم التي قضى لنا أصغرها في الميول أعلاها

ولهذا قيل ليس من المروءة سؤال الرجل عن سنه لانه ان كان شابا استغفروه وان كان كبيرا استبرموه - قال زياد لما قدم العراق واليا عليها - أيها الناس انه قد كانت بيني وبينكم احن فجات ذلك دبر أدنى وتحت قدسي فئن كان محسنا فليزد من احسانه ومن كان مسيئا فليزعه عن اسائه اني لو علمت أن أحدكم قد سقاه السمل من بغض لم أكتشف له قناعا ولم أهلك له ستر حتى يبدي صفحته لي

هذه هي آداب الوزراء الذين هم أحد أركان المملكة لخصمها للقراء - وهناك أيضا وظيفة لا تقل عن وظائف الوزير أهمية وهي الحسبة والولاية

الفصل الرابع

في

الحسبة والولاية

ان الحسبة هي النظر في أمور أهل المدينة باجراء مراسم في الرئاسة الاصطلاحية ونهي ما يخالفها وتنفيذ ما تقر في الشرع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولها قوانين مخصوصة عندهم وقد كتب عنها الحسن بن عبد الله في الباب الخامس من كتاب آثار الاول في ترتيب الدول مالم يخصصه أن ولاية المدينة هي الرتبة من السياسة العظمى فيجب على والي المدينة وأصحابها أن يكون فيهم من السياسة والحفظ والنبط وحسن لتدبير ما هو مذكور في الآداب الملوكية ولا ينبغي له أن يترك في المدينة أهل التعصب والأهواء فنه منشأ الفتن وكانت ملوك الفرس تمنع من انتساب إلى القبائل لهذا السبب وكان أكثر غرضهم تأليف أهل المدينة على نظام مستقيم وهو الأسوس والأصلح مما يحتاج إلى تجميع وأما انتساب أهل البراري والقلوات فلجهة بعضهم من بعض وتعطف بعضهم على بعض ولعصبية في المدينة تؤدي إلى خرابها والاستيلاء على ملوكها وكثير ما خربت بلاد بالسرقة مثل

أصفهان والري وغيرهما بالعصب في المذاهب والآراء وقال بزجرهم كل جمع غير جمع
السلطان وكل سيف غير سيفه فهو عليه لاله وعليه قهره وازالته وكذلك يمنع أهل البلد من
البطالة فأنها تدعو الى الضرر والافساد بل يجب أن كل طائفة تنعكف على شغل من
الأشغال أو فن من المصالح العائد نفعها عليهم وعلى المدينة

ويجب على وإلى البلد من المصالح أن ينظر في تحسينها وتزوينها فيعمر الخراب فيها فإن
الخراب موت والمهارة حياة وينبغي لواضعها ومربّيها أن يفرّد كل سوق على حدّته حتى
لا تتجاوز الصنائع الحسنة مع الصنائع النقيصة وإن كانت المدينة كبيرة فلا بد من تفرقة
بائع الطعام على مواضع كثيرة لأن الحاجة اليه متكررة

ويتعين بأن تكون أرباب الصناعات القدرة في أطراف البلد بمعزل عن المواقع
المتوسطة فيها وذلك مثل المسالخ والمدابغ وما أشبه ذلك وينتظر في توسعة رحابها ولا يمكن
أحد من تضيق الطريق واحداث ما يضر بالمهارة ويؤلى الحسنة لمن يثق بدينه وأمانته
وهيته فينتظر في أمر الموازين والمكاييل ويضبط أمور الرعية من الباعة وأصناف
السوق ولا يتكهن من ظلم أحد وينظر في تنظيف الطريق والرحاب من الأوساخ والأقذار
ويتفقد حال المياه وصيانتها ولا يمكن من افسادها بالاراث ولا بالمصبات والقنوات لأن الماء
مادة الحياة فاذا افسدت الأجسام لما يكسبها من الأمراض وتغير الأنفس والاخلاق
على ما يذكره أرباب الطب والطبائع ويتبع فساد المياه فساد الأبخرة والأهوية المحيطة
بالأجسام ويتقدم باصلاح ما يلزم اصلاحه وعليه مدار نظام المدينة ورقيها المادي والادبي
وقد يتوقف اصلاح أمور الرعية على تنفيذ أمورهم على حسب ما ألفوه من عادات
ومعاملات واختلفوا فيها حتى اختلفوا بها لأن الناس مجبولون على الحاجة إلى أنواع لا يقدر
الواحد أن يقوم بجميعها فغولف بين مهمهم لنفرد كل قوم بنوع منها فيأتلفوا بها فيقوم
الزراع عزارهم ويتشغل الصناع بصنائعهم ويتوفر التجار على متاجرهم وقال حير المثلث
لوزيره الناس أربع طبقات طبق للفرسية وطبقه لاقامة الديانة الحقهم بالمسكاف وطبقه
للزراعة والمهارة أجرهم على الانصاف وطبقه للممن لا تحايهم من الاحسان عليهم وعليهم في
تفنيدها وجهان أحدهما أن لا يعارض صفاتهم في مطلبه والثاني أن لا يشاركه في مكسبه
وربما كان للملك رأى في الاستكثار من أحد الاصناف فينقل اليهم لا يألف فيختل النظام

بهم فيأتلفوا بها فقلوا اليه لأن عييزهم بالهام الطباع أعدل في اتلافهم من الصنع لها
فصلاح الأمانة وقاؤها متوقف على تمسكها بدينها وعدل أمرائها وزرائها فيالان

العقل يوجب الاجتماع والجور يوجب الافتراق فتزله السلطان من الرعية بمنزلة الروح من الجسد فادأصفت الروح من الكدر سرت الى الجوارح سليمة وسرت في جميع أجزء الجسم فأمن الجسم من التغير فاستقامت الجوارح والحواس وانتظم أمر الجسد وان تكدرت الروح أفسد مزاجها فياومج الجسد فتسرى الى الحواس والجوارح كسره وهي منصرفة من الاعتدال فيأخذ كل عضو وحاة بقطعه من الفساد فخرض الجوارح ويتعطل نظام الجسد ويجرى اليه الفساد والهلاك
وراعى الشافعي الذئب عنها فكيف اذا الرعاة لها ذئاب

الفصل الخامس

في

ان الحكومة الاسلامية أشرف الحكومات وأماها مبدأ

وبيان الشورى ودار الندوة عند العرب قديما

ان الحكومة الاسلامية أشرف الحكومات وأماها مبدأ لانها مدينة بدين الاسلام فقط بل هي حكومة الأمة لا حكومة الفرد فهي مقيدة بكتاب سماوى كريم وأعلى به القرآن الذى هو معتد للقول مربي للنفوس مهذب للاخلاق مرقى لبني الانسان الى أقصى مدارج العمران والحياة المادية والادبية وفيه مجال واسع للبحث فى القانون المدنى والقانون الدولى والقانون الشخصى

جاء الاسلام بالقوانين لشرعية المتعلقة بالامور الدينية والدنيوية التى من أصولها المحفوظة انحرأع البدع داعية هواه وحماية حقوق العباد سواء كانوا من أهل الاسلام أو غيره واعتبار المصالح المناسبة للوقت والحال وتقديم درى المفاسد على جلب المصالح وارست كتاب أخف الضررين

بنى الاسلام نظام ممالككم على أساس هذه لشرعية وتقييدها لامراء والوزراء وجعلوا أمرهم شورى فيبينهم امسالا لقوله تعالى وتوهم في الأمر حتى لايجرجو عن جادة حق فى الاعمال والافعال لان الاطلاق المطلق فى المالك يؤدى بها الى الظلم المؤذن بخرب

العمران كيفما كان كاذكراه بن خلدون في الفصل الثالث من مقدمته
منعت الشريعة الاسلامية الانسان حرية الاتحاد والمساواة بين الناس جميعا والحرية
السياسة العامة والحرية السياسية الخاصة فقد كان صلى الله عليه وسلم ليس له ارادة مطلقة في
الامة بل كان تحت الأمر السماوى مقيدا بأوامر من له الأمر العالى سبحانه وتعالى مشاركا
للارادة في الرأى والتدبير لا ينفرد بالأمر فقد استشار قومه من اراعيه فبن ذلك انه استشار
أصحابه لما خرج القوم من مكة على كل صعب وذلول فقال صلى الله عليه وسلم فأتقولون - أليس
أحب اليكم من النفي قالوا بلى

سرت الخلفاء من بعده صلى الله عليه وسلم على سنته واتبعوا شريعته وأشر كوا الرعية
معه في الأمر فقد قام أبو بكر رضى الله عنه خطيبا يوم ولّى الخلافة على المسلمين فقال أيها
الناس قد ولّيت عليكم ولست بخيركم فإن رأيتموني على حق فأعينوني وإن رأيتموني على
باطل فردوني أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإدا عصيته فلا طاعة لي عليكم الآن أقول لكم
عندي الضعيف حتى أخذ الحق له وأضعفكم عندا أقوى حتى أخذ الحق منه أقول قولي هذا
واستغفر الله لي ولكم

ولذلك كان الفرد من عامة الناس رجالا ونساء يعارض أشد الخلفاء بأساقى قوله وعمله
كما حصل لعمر رضى الله تعالى عنه عند ما قام خطيبا لتهبى الناس على أن لا يزبدوا في مهور
النساء عن أربعائة درهم فقامت له امرأة كانت حاضرة في المجلس وتوجهت نحوه
وقالت له كيف تقول هذا يا أمير المؤمنين والله تعالى يقول في كتابة العزيز وإن أردتم
استبدال زوج مكان زوج وآتينم احداهن قطارا فلا تأخذوا منه شيئا أناخذونه بهنا
وإثمنا - فقال عمر عند ذلك لهم غفرا كل الناس أفقه من عمر ثم عسلا المنبر وخطب
للحاضر ين مصوبا كلام المرأة

كانت دولة الاسلام في عهده (ص) وفي عصر الخلفاء الراشدين عصر العدل الصريح
والحرية الكاملة والشورى الشرعية المنصوص عنها في ثلاث سور - النورى وآل
عمران والنور ثم آل الأمر الى الحكومة المطلقة وأصبح الملك ملكا عضو الان الحكومة
لم تتقيد بأقيد عابا الاسلام من القانون السماوى والشورى فأصبح الذنب على الحكومة
لاعلى الاسلام

فالمشورة هي عين الهداية وسبيل الرضاء الى الأمر المهم من الرأى قال الضحاك أمر الله
تعالى نبيه بالمشاورة لما علم ما فيها من الفضل وما يعود منها من النفع ولان ارسال الخواطر

الثائفة وأصالة الافكار المصافية لا يكاد يعزب عنها يمكن ولا يخفى عليها أثر والمستبد برأيه بعيد من الصواب قريب من الزلل وقال عبد الملك بن مهران لأن أخطئ وقد استشرت أحب إلى من أن أصيب وقد كنتيت برأى وأمضيت بغير مشورة لأن المقتصر برأيه يرى به أمراً تصديقه رأياً الواجب عليه تكذيبه وتركه المشورة التي يزداد بها مبررة

قد أجمع أهل السياسة من العرب على أنه ينبغي أن يجتمع في أهل الشورى سبع شروط عليها مدار المشورة وهما يشغل صواب الرأي أحداها الفطنة والذكاء لئلا تشبه عليهم الأمور فتلتبس فلا يصح مع اشتباهها عزم ولا يتم مع التباسها حزم الثاني الأمانة لئلا يخونوا في الثمن أو عليه أو ينشوا فينا استنصوا فيه الثالث الصدق اللهجة بخبرهم لئلا يثق الملك فيما يسمعون اليوم ويعمل برأيهم فيما أشار وأبه عليه الرابع أن يسلموا فيما بينهم من الحساد والتنافس فإن ذلك يمنعهم من الكشف عن صواب الرأي الخامس أن يسلموا فيما بينهم وبين الناس من العداوة والشحناء فإن العداوة تستدعي التناصف وتوجب عن صواب الرأي السادس أن لا يكونوا من أهل الأهواء فخرجهم الهوى من الحق إلى الباطل فإن الهوى قد عدع الأبواب وصارفت عن صواب السابع أن يكونوا من كبراء الدولة ومشايخ الاعوان لأن المناخنة قد حذفتهم التجارب وعركتهم التواثب وشاهدوا من اختلاف الدول ما أوضح لعقولهم صواب الرأي

وينبغي للملك أن لا يدخل في مشورة بخيل ولا لاجبان ولا لآخر يصا ولا معجبا ولا كذابا لأن البخل يقصر بعقله والجبان يخوفه مما لا يخاف منه والآخر يصا لا يرجى فالجبين والبخل والآخر صلبة واحدة يجتمعها سوء الظن قال عبد الملك بن مهران لبعض عماله لا نستعين في أمر دهمك كذابا ولا معجبا فإن الكذاب يقرب لك البعيد ويبعد عنك القريب وأما المعجب فليس له رأي صحيح ولا روية تسلم وقال عبيد الله بن وهب لربي بن ثلاث فإن عيوبه تكشف لك عند محضه

هذه مظاهر به لا ندرك أماما كان عليه العرب في الجاهلية فنحن عرب بنين كانوا يعقدون مؤتمراتهم للمشاورة في أمرهم ووقفه نسكت سبع ملين عليه السلام مذكوراً بالقرآن خير شاهد على ذلك ذكر رجل التاريخ أن مجلس لشورى بني كنانة في عهدها كان مراكبا من ثلاثمائة وثلاثة عشر عضو كل عضو يمثل في عاصمة بني كنانة نزعاً للأنما فريش فانها كانت تعقد مجلسها بدار لندوة في مكة المكرمة وقد ذكرها في تاريخه فقال ما ملخصه

﴿ دار الندوة ﴾

قال الماوردي لم تكن مكة ذات منازل وكانت قريش بعد جرحهم والعالمقة يتجمعون جبالها وأوديتها ولا يخرجون من حرمها انتسابا إلى الكعبة لاستيلائهم عليها وتخصيصها بالحرم خلوهم فيها ورون ان ذلك لهم بشبه شأن وكان كلما كثرتهم العدد ونشأت فيهم الرياسة قوى أملهم وعلموا أنهم سيقدمون على العرب وكان فضلهم يتضايون ان ذلك لرياسة في الدين وتأسيس النبوة ستكون فأول من ألهم ذلك منهم كعب بن لؤي بن غالب وكانت قريش تجتمع اليه في كل جمعة وكان يخطب فيهم ويذكر لهم أمر نبينا صلى الله عليه وسلم ثم انتقلت الرياسة إلى قصي بن كلاب فبنى بمكة دار الندوة لتحكم فيها بني قريش ثم صارت لبشاورهم وعقد الألوية في حروبهم وكانت هند الدار لا ينكح رجلا من قريش الا فيها ولا يعقلوا الحرب لهم ولا لغيرهم الا فيها ولا يصد غلام الا فيها ولا تدرع جارية من قريش الا فيها يشق عليها درعها ثم تدرع وتنطلق بها إلى أهلها ولا تخرج عير من قريش الا منها ولا يقدمون الا تزولوا فيها

قال السكيت وكانت أول دار بنيت بمكة ثم تتابع الناس فبنوا الدور كلها فربما من الاسلام ازدادوا قوة وكثرة عدد حتى دانت لهم العرب قل الماوردي صارت بعد قصي لابنه عبد الدار فابتاعها معاوية في الاسلام من عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار ابن قصي وجعلها دار الأمانة وفي رواية أخرى ان معاوية اشتراها للمحج وهو خليفة بمائة ألف درهم وهي في الجانب الشمالي للمسجد الحرام مجعولة على الخنق اليوم وللعرب حكمة كثيرة وأقوال في الشورى نقصر عن ذكرها بما قاله بشار بن برد المتوفى سنة ١٦٧ هجرية

ادابك رأى المشورة طامتن بعزم نصيح أو مشورة طازم
ولا تحسب الشورى عليك غضا ضصة فان الخوا في قوة للقوام
وما خيركف أمسك لقل أختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخل الهوى بالضعيف ولا تسكن تو وما هل الحرم ليس بنائم
وادن إلى القربى المقرب نفسه ولا تشهد الشورى أمر أغبر كاتم
فانك لا تستطردا لهم بالمسى ولا تبلغ العليا بغير المسكارم
فالشورى في الاسلام هي أرفى بكثير من الدستور القائم عليه أمر الممالك الاوربية

وغيره من الدول لان الدستور مفيد بقيد الصوت فيه للنواب المنخبين عن الأمة
أما الشورى في الاسلام فطلقه غيره قبيحة لأن الأبحاث لكل فرد من أفراد الأمة
كان ذكر أو أنثى شريفاً أو وضعياً أبدأ رأيه على سلا من الناس في وسط اجتماع علما
يحصره الأمير والحقير ويخطب فيه الخلقاء والأمراء طالسين من كل فرد ابتداء رأيه فيقوم
الفرد الذي لا يعرف له اسم ولا صفة قبل الاجتماع ولربما كان أشعث أغبر فيرد على الأمير بما
يراه سواء كان صائباً أو غططاً كما حصل في أيام عمر رضي الله عنه وغيره من الأمراء
السالفين فكان لا يحقرن في أمره ولا يسهفن في رأيه كما هو واقع الآن في الأمم الإسلامية
التي أصبحت أفرادها مدينين بدين البغضاء والشحناء والحسد والاستئثار بحب النفس
والرياسة للشهرة

الفصل السادس

في

الكتابة

الكتابة عند العرب قديمة جداً لا يعلم تاريخها بالضبط وقد دلت الروايات على أن أول
من كتب بالعربية هم أهل اليمن من قوم هود عليه السلام وهم العرب البائدة وكانت تسمى
كتابهم بالخط المسند وفي معروف بالخط الجبري وكانوا يكتبون كل حرفه منفصلة
ويعنون العامة من تعليمه فلا يتعلمه أحداً إلا باذنهم حتى تعلمه امرأ بن مرة وأسلم بن
سدرة وعامر بن جدر وهما من عرب طي قصر فوا فيه وسعوه بخط الجزم لانه جزم من
الخط الجبري ثم عاموه أهل الانبار ومنهم اشتهرت الكتابة في البلاد العربية ثم اجتهد في
تحسينه أهل الكوفة في عصر الاسلام حتى عرف بالخط الكوفي وكان الخط خالياً من
النقط والحركات والساكنات وأن وضع أبو الأسود الدؤلي الشكل في أيام معاوية و وضع
ابن عاصم النقط في أيام عبد الملك بن مروان ومن وقتها أخذ الخط في التحسين شيئاً فشيئاً
أن وصل الى الدرجة التي عليها الآن
وذكر علماء التاريخ أن ندين وضعوا الكتابة وابتدعوا رسومهاهم لأبناء عليهم

السلام فكان يوسف يكتب العزیز وهارون ويوشع بن نون كان يكتبان لموسى عليه السلام وسليمان بن داود كان يكتب لأبيه ويحيى بن زكريا كان يكتب ليعسى عليه السلام وقد كتبها الخلفاء في زمنه صلى الله عليه وسلم وكان من الموابطين على كتاب الرسائل عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن الأرقم الزهرى وكان السكاكبة لهم ما إذا عهد وصلحه إذا صالح على بن أبي طالب رضى الله عنه ومن كتب له صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق وغيره من الصحابة كثير ون (راجع كتاب الكتاب) لابن شبة

سبق العرب علماء أوروبا في حل رموز الخطوط القديمة وترجمة كتبها إلى اللغة العربية ولا خال أن أوروبا ما وصلت إلى حل رموز الآثار والوقوف على علوم من سبق من الأمم إلا بواسطة كتب العرب وترجمتها إلى لغتهم فن ذلك ما رأيت به بعضي وطالع فيه بنفسي وهو كتاب شوق المستهام إلى معرفة رموز الأقلام لأجد بن وحشية النبطي المتوفى سنة ٣٢٢ هجرية فإن مؤلفه جمع فيه صور الخطوط القديمة التي تداولتها الأمم الماضية وترجمها جميعا إلى اللغة العربية ووضعها بطريقة يسهل للطلع عليها أن يترجم ما على الآثار من الكتابة على اختلاف أنواعها إلى اللغة العربية فرحم الله هذا العربي الذي سهل لمن يأتي بعده من الأمم طريق الوقوف على أسرار من مضى وهيننا للعلماء أوروبا بالذي نرجوا هذا الكتاب إلى لغتهم فقد ترجمه لأنكبا من مائة وعشرين سنة ووقفوا بواسطته على آثار الأمم الماضية وعلى تاريخ حياتهم وكذلك باقي طوائف أوروبا

فأعمال المستشرقين ووقوفهم على حل رموز الآثار ما هي إلا نتيجة بحثهم في هذا الكتاب ووقوفهم عليه واخفائه عنا حتى لا سبقهم فيه

فنسنة الكتابة أثرت في صنعة وأعظم دليل على رفعة شأنها وجليل قدرها أن الله تعالى نسب تعليمها إلى نفسه فقال عز اسمه (اقرأ ربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) والآيات في ذلك كثيرة وقد قال صلى الله عليه وسلم (فيدوا العلم بالكتابة) مشيرا إلى الغرض المطلوب منها وغايتها المجتناة من غرها قال القلقشندي في كتاب صبح الأعشى إن كل ذي صنعة لا بد له في معاناتها من مادة جسمية تظهر فيها الصورة وآلة تؤدي إلى تصويرها وغرض ينقطع الفعل عنه وغاية تسهر من صنعة والكتابة أحد الصنائع فلا بد من الأمور الأربع فإذها الفالط التي يحيلها السكاكبة في أوهاهم وتصور من ضم بعضها إلى بعض صورة باطنة تامة في نفسه بالقوة والخط الذي يخطه القلم وقيد به ثلاث الصور وتصير بعد أن كانت صورة معقولة صورة محسوسة طاهرة وآلة القلم وغرصها الذي ينقطع الفعل

عنده الالفاظ بالسوم الخطية فتكمل قوة النطق وتحصل فائدة للاب بعد كما يحصل للارقب
وتحفظ صورته يؤمن عليهم من التغير والتبديل وغايتها الشيء المستقر منها وهي انتظام
جمهور المعاونة والمرافق العظيمة العامة في أحوال الخاصة والعامة بالفائدة الجسمية في
أمور الدين والدنيا اهـ

وفسأل كتاب العرب في فائدة الكتابة وشرفها وسعوم مكاتبتها لدى الأمراء والملوك ومن
أشدهم الغتهم فيها ومدحهم لها ما قاله مكحول - لادب ليد لا تكتب وقد قال المؤيد الكتابة
مناصب الدنيا بعد اخلافة اليانتهى الفضل وعند هاتفت الرغبة ومن كلام أبي جعفر
الفضل بن أحمد في جملة رسائله الكتابة أس انك وعماد المملكة وأعصان متفرقة من
شجرة واحدة والكتابة قطب الادب وملك الحكمة ولسان الفضل وميزان يدل على
رجاحة العقل فهي حلية وزينة ولوس وجمال وهيبة وروح جارية في أقسام متفرقة
والكتاب أرفع درجة وأفضل منزلة ومن جهل حق الكتابة فقد وسع بوسم القواة الجبهة
وبالكتابة والكتاب قامت السياسة والرياسة

فبالكتابة قد تنبه قوم بعد الخول وصاروا الى الترتب العالية والمنازل السامية وارتفعوا
شأناً وقدرًا فثم سرجون بن منصور الرومي فانه كان روميا خاملا فرقتة الكتابة وكتب
لما عاين يزد وصروان وعبد الحميد الأكبر وعبد الصمد وغيرهم وقد خدمته جد الحجاج بن
هشام الفجدي وهو الذي قلب نندوا بن من الفارسية الى العربية وكذلك الوزير المهلب
الذي ترقى بالكتابة حتى وزير لمز الدولة ابن بويه الديلمي فانه كان أول أمره في شدة عظيمة
من الفقر والفاقة فاتفق انه سافر مرة فلقى في سفره ضيقا شديدا حتى انه اشتبهت اللحم ولم
يقدر عليه فقال ارتجالا

ألا موب يباع فاشتره فهذا العيش مالاخير فيه
ألا موت لذيق الطعم يأتي يخلصني من الموت الكره
ألا راحم المهين نفس حر تصدق بانواء على أخيه
وكان معه رفيق فاشترى له لحما وأطعمه

وقد كتب أهل البلاغة كثير في سرف لكتابة وفضل الكتاب حتى أن بعضهم رجح
القلم عن السيف كما قال ابن الرومي

أن يخدم القلم السيف الذي خضع له الرقاب وقصد دنت لاهم
فالقوب والموت شيء لا يعال به مارل تسع ما يجمرى ه القسم

كذا قضى الله للأقدم منبرت ان السيوف لها منة أرهفت خدم
وكتب صاحب البيان ما ملخصه انه لا عبرة بمن قعد به الجند وتختلف عنه الحظ من أهل
هذه الصناعة ان قعدت به الأيام فلا بد أن يرفع قدره في أخرى لان دولة الفاضل من
الواجبان ودولة الجاهل من الممكنات خصوصا اذا صادف الكتاب الفاضل ملكا فاضلا أو
رئيسا كاملا فانه يوفيه حقه ويرقيه الى حيث استحقاقه فالسلوك أخرج الى الكتاب من
الكتاب الى الملوك

❦ الديوان ❦

الديوان هو اسم للوضع الذي يجتمع فيه أرباب الافلام من الكتاب وقد اختلفوا في
أصله فقال قوم ان أصله عربى وقال آخرون ان أصله فارسى كما اختلفوا في أصل اشتقاقه
قال النحاس ان أصله دووان فأبدلت احدى الواوین ياء ف قيل ديوان والمدون عنسه في لغة
العرب ان الديوان الاصل الذى يرجع اليه ويعمل بما فيه ومنه قول العباس اذا سلمتوني عن
شيء من غريب القرآن فالتمسوه من الشعر فان الشعر ديوان العرب ويقال دونه أى أثبتته
فهذا رأى من قال بأن الديوان أصله عربى أما الفريق القائل بأن الاصل فيه أعجمى
فهم على رأى الأصمى وعلى ما قاله الجوهرى في صحاحه فانه قال ان الديوان فارسى معرب
وقد كتب أبو الحسن الماوردى في كتاب الاحكام السلطانية ان الديوان محفوظ بحفظ
ما تعلق بحقوق السلطنة من الاعمال والاموال ومن يقوم بهامن الجيوش والعمال
وفي تسميته ديوانا وجهان - أحدهما ان كسرى دخل ذات يوم على كتاب ديوانه
فراهم يحسبون مع أنفسهم فقال ديوانه (أى مجانين وهى كلمة فارسية) فسمى موضعهم بهذا
الاسم ثم حذفت الهاء مع تداول الزمن عند كثرة الاستعمال تخفيفا للاسم ف قيل ديوان
الثانى ان الديوان اسم بالفارسية للسياطين فسمى الكتاب باسمهم لخدمهم بالأمور ووقفهم
على الجلى والخفى وجعلهم لما شئ وتفرقوا واطلاعه على ما قرب وبعد ثم سعى مكان جلوسهم
باسمهم ف قيل ديوان اه

وكان أول ديوان وضع في الاسلام هو ديوان الرسائل الذى سعى أخيرا بديوان الانشاء
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب أمراءه وأصحاب سراياه من الصحابة
ويكتبونه

وتسميته بديوان الانشاء أخيرا يحتمل أمرين - أحدهما ان الأمور السلطانية من

المكتبات والولايات تنشأ عنه وتبدأ منه - والثاني ان الكاتب ينشئ لكل واقعة مقالا كانت كتابة الدواوين في المصدر الأول من الاسلام أن يجعل ما يكتب صحفا متدرجة ولما انقضت دولة بني أمية وقام عبد الله بن محمد أبو العباس السفاح استوزر خالد بن برمك بعد أبي سلمة حفص بن سليمان الخلال فجعل الدفاتر في الدواوين من الجلود وكتب فيها وترك الدروج إلى أن تصرف جعفر بن يحيى خالد بن برمك في الأمور أيام الرشيد فالتفت الكاغد وتداوله الناس من بعده إلى اليوم وفي عهده زفت الدواوين وتبعها في الترفيع الكتابة وانتشار العلم

وقد ذكر بعض المؤرخين في تاريخنا التعليم في زمن الرشيد كان إجباريا وعلى كل فرد من الأفراد التعلم وبسبب ذلك انتشرت دور التعليم في بغداد وما جاورها بكثرة لترغب المتعلمين وتنشيطهم بالمكافآت والعطايا التي كانت توزع على الناجحين منهم في ختام كل سنة

﴿ الكاتب ﴾

الكاتب هو الذي يتولى تحرير المراسلات والخطابات والأوامر التي تصدر من الملوك والوزراء وهو من الملك بمنزلة الاعضاء من الجسم ومن لامة بمرتبة لمنصب للخلاف والمروءة للنفوس لان تأثير الافلام أشد وقوة من ضربات الحسام فقد قال الاسكندر لولا القلم لما قامت الدنيا ولا استقامت المملكة وقد قال بعض الحكماء أيضا ان عقول الرجال تحت أسنة أقلامها فبنوا الافلام يصوب غيب الحكمة ولا يهزل العسكرة قصيدة فيها

قسم العطايا والمنايا في لوري فاذا نظرت إليه فاحذر وأمل

طمان شوب حلاوة عذرة كادهر بخلط شهده بخلط

فاذا تصرف في يدك عنائه ألحقت فيه مؤملا بمؤمل

ومدلا بمعزز ولرعا ألحقت فيه معزز بذلك

والقلم يحجز لجيوش الكلام تحذره الاردة وذلك قد استرطت العرب أن يكون الكاتب متصفا بصفات الكمال منزه عن اردن متحليا الفضائل علما بالعلوم الشرعية والادبية والامور السياسية متفككا من لغة عربية مصمعا في توريخ لسف وقد قل ابن الاثير في المل السائر ان صاحب الصناعة (أي الكتابة) يحتاج لثلاثين صفة بكل من الفن لا يستغنى عن علم ولا يسعه الوقت عن حد وقد قسمه صفة الكاتب إلى صفتين

﴿ الصفات الواجبة ﴾

ان الصفات الواجبة التي يجب على الكاتب أن يتصف بها واشترطت العرب وجودها

فيه هي عشر صفات

الاولى أن يكون مؤمناً يؤمن بما يكتبه وعليه قال أبو الفضل الصوري في تذكرته ان من الفطرة التي جبل كل واحد عليها حنين كل شخص من الناس الى من يرى رأيه ويدن يدنه وهذا أمر يجده كل واحد من نفسه ولذلك اشترط بعضهم في الكاتب أن يكون على مذهب المالك الذي يتذهب به ليكون موافقاً له من كل وجه - الثانية أن يكون ذكوراً - الثالثة الحرية - فقد اشترط أمراء العرب أن يكون الكاتب حراً ما في العبد من النقص فلا يعقد في كل القضايا ولا يوثق به في كل الاحوال - الرابعة التكليف لان الصبي لا يعمل عليه ولا يوثق به ولا اعتماد عليه - الخامسة - العدالة فلا يجوز أن يكون الكاتب غاصاً قاطفه بمنزلة كبيرة ورتبة خطيرة يحكم في أرواح الناس وأمورهم لانه لو زاد أدنى كلمة أو حذف حرفاً أو كنتم شيئاً قد علمه أو تأول لفظاً بغير معناه أو موه على المالك حتى يمدح المذموم ويذم المدحوح فيخفى لم يكن له دين يحجزه عن ارتكاب الما ستم وزعمه عن اجتناب المحارم كان الضرر به أكثر من الانتفاع وأرفع له من الاضرار ما لم تؤثره السيوف وقد قال أبو الطيب والماوردي باسئراط العدالة في الكاتب لانه يحتاج له الفسق وعدم الاكتراث بأموار يدين على وهن يدخله عليه بقلعه أو ضرر يجلبه بلسانه لان الكتابة ولاية شرعية والفاسق لا نصح توليته شيئاً من أمور المملكة - السادسة - البلاغة لان الكاتب البليغ يصيب الغرض في كتابته فأغنى عن الكتابات وأعمال القلم تكفيه أعمال اليض القواضب - السابعة - وفور العقل وجزالة الرأي فان العقل أس الفضائل ومن لا عقل له لا انتفاع به وكلام المرء ورأيه على قدر عقله - الثامنة - أن يكون عالماً بماواد الاحكام الشرعية والفنون الادبية لان الخاط لتمييزه بين الحق والباطن ولا معرفة ترشده - التاسعة - قوة العزة وعولواهمة وشرف النفس لانه يكتب الملوك وكل كاتب يجذب طبعه في الكتابة الى ما يميل اليه فكما كان الكاتب أقوى نفساً وأشد عزماً ما على همه كان ذلك أمضى وهو عليه أقدر - العاشرة - الكفاءة لما يتولاه لأن العاجز يدخل الضرر على المملكة ويوجب الوهن وربما أدى عجزه الى الويل وأدى ضعفه الى الاضطراب والاخلال

هذه الصفات الواجبة للكتاب أما الصفة الثانية فهي

﴿ الصفات العرفية ﴾

أما الصفات العرفية فهي ما ذكره المذهب بن ماتي في كتابه قوانين الدواوين انه ينبغي أن يكون الكتاب أدباً حاداً للذهن قوى النفس حاضر الحس جيد الحس حلو اللسان له جراً وثبتها الامور على حكم البدية وفيه تؤدّد يقف بها فيما لا يظهر على حد الروية شريف الانفة عظيم النزاهة كرم الاخلاق مأمون الغائلة مؤدّب الخدام فيه اعتدال القامة وصغر الهامة وخفة اللهازم وصدق القول ولطف المذهب ملج الزى بهى اللبس نظيف المجلس عطر الرائحة حلو الاشارة ملج العبارة

هذه هي الصفات التي ينبغي أن يكون الكتاب بمصفاها لحسنها للقراء من كتب العرب المطولة ككتاب الصنائع وأدب الكتاب وصناعة الكتاب وكتاب قوانين الدواوين وصح الاعشى وكتاب الكتاب لعمر ابن شبة ومن اشتهر من كتابهم بالبلاغة وقوة المصنعة في الكتابة حتى انتشرت كره في الآفاق وصار يضرب به المثل عن عمر الزمان عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان الذي وضع لهم رسالته المشهورة وأودع فيها من المواعظ والحكم والخلق والسياسة التي يجب على أهل هذه الصناعة معرفتها ثم نراهم يطالع عليه كتابنا لكي يعلموا أن العرب سبقوا ورواها في وضع علم أدب الكتاب

﴿ رسالة عبد الحميد الى الكتاب ﴾

أما بعد حفظكم الله يا أهل صناعة الكتابة وحاطكم وفقكم وأرشدكم فمن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن بعد الملائكة المكرمين أصنافاً وإن كانوا في الحقيقة سواء وصر فهدى في صنوف الصنائع وضروب المحاولات في أسباب معاشهم وأجواب أرزاقهم فجعلكم معشر الكتاب في أشرف الجهات أهل الأدب والبروات ولعلم ووزنة بكم تنظم للاخلاق محاسنها وتستقيم أمورها وينصائحكم يصلح الله للخلق سلطانهم ويعمر بلادهم لا يستغنى لمبتغى عنكم ولا يوجد كاف إلا منكم فوقكم من الملوكة موقع أسبغهم التي بها يسمعون وأبصارهم التي بها يرون وألسنتهم التي بها ينطقون وأيديهم التي بها يطشون فأمتعكم الله بما خضعكم من فضل

صناعتكم ولا نزاع عنكم ما أضفاه من النعمة عليكم وائس أحد من أهل الصناعات كلها
أحوج إلى اجتماع خلال الخير المحودة وخصال الفضل المذكورة المدودة منكم أيها
الكتاب إذا كنتم على ما يأتي في هذا الكتاب من صفاتكم فإن الكتاب يحتاج من نفسه
ويحتاج منه صاحبه الذي يشق به في مهمات أمور أن يكون حلياً في موضع الحلم فيها في
موضع الحكمة مقدماً في موضع الأقدام محيماً في موضع الاحجام مؤثراً للعفاف والعدل
والانصاف كتوملاً للسرار وفي اعتد الشدايد عالماً بما يأتي من الوازل يضع الأمور مواضعها
والطوارق في أما كهذا فنظر في كل فن من فنون العلم فاحكمه وإن لم يحكمه أخذ منه
بمقدار من الحسن واحتمل على صرفه عما هو واه من القبح بألف حيلة وأجل وسيلة وقد
علمت أن سائس الهبة إذا كان بصيراً بسياستها اتخس معرفة أخلاقها فإن كانت جوارحها
بهيجها أداركها وإن كانت شسبوا اتقاهما من بين أيديها وإن خاف منها شرودا توقاها من
ناحية رأسها وإن كانت حرة وناقع برقي هواها في طرفها فإن استقر عطفها بسيرا فيلس
له قيادها وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس وعاملهم وجرهم وداخلم
والكتاب بغضل أديبه وشر يف صنعة ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحارمه من الناس
ويناظره ويفهم عنه أو يخاف سطوته أولى بالرفق لصاحبه ومداراته وتقويم أوده من
سائس الهبة التي لا تخير جواباً ولا تعرف صواباً ولا تفهم خطاباً لا يقدر ما يصيرها إليه
صاحبها الركب عليها

ألا هارفقوا ربحكم الله في النظر واعملوا فيه ما أمكنكم من الروية والفكر تأمنوا بادن
الله من محقق النبوة والاستقلال والجفوة ويمسير منكم إلى الموافقة وتصبرون منه إلى
المواخاة والشفقة إن شاء الله تعالى

ولا يجاوزن الرجل منكم في هنة مجلسه وملبسه ومهر كبه ومطعمه ومشر به وبنائه
وخدمه وغير ذلك من فنون أمره قدر حقه فكم مع ما فضلكم الله به من شرف صنعكم
خدمة لا تحملون في خدمتكم على لتقصير وحطة لا تحتمل منكم أفعال التضييع والتبذير
واستعجوا على عفافكم فاسدق كل من ذكرته لكم وقصته عليكم واحذر وامتالف
المصرف وسوء عافية الترف فاهم بعقار الفقر وذلان الرقاب وفضحان أهلها ولا سيما
الكتاب وأرباب الأدب ولا تملأوا من أخباره وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على مؤلف
أعمالكم بما سبق إليه تجر بكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير أو ضحها عجيبة وأصدقها
حجة وأجدها عافية

واعلموا أن للتدبير آفة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ علمه ورويته
فليصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطق ولبوحز في ابتدائه وجوابه وليأخذ
بمجامع حججه فان ذلك مصلحة لفعله ومدفعة للشاغل عن اكثاره وليضرع الى الله في
صلة توفيقه وأمداه بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضرب بدنه وعقله وأدبه فانه ان ظن
منكم ظان أو قال قائل ان الذي رزمن جيل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل جيلته وحسن
تدبيره فقد نعرض بظنه أو مقالته الى أن يكذب الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كافي
وذلك على من تأمله غير خافي ولا يقول أحد منكم انه أنصر بالأمور وأجل لعب ما يكتفي
به يعرف بغرزة عقله وحسن أدبه وفضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصد عنه
قبل صدوره فيعدل لكل أمر عدته وعناده وهيئ لكل وجهه هيئته وعادته

فتنافسوا يا مشركي الكتاب في صنوف الآداب وتفقهوا في الدين وابدؤ بعلم كتاب الله
عز وجل والفرائض ثم العربية فاهلثاف ألسنتكم ثم أجدوا الخط فانه حلية كتبكم
وارووا الأشعار واعرفوا غريب المعاني وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها فان ذلك
معين لكم على ما نسئله اليه همكم ولا تضعوا النصارى في الحساب فانه قوام كتاب الخساراح
وارغبوا بأنفسكم عن المطامع سذبا وديها وسفساف الأمور وخافها فانها مدله للرقاب
مفسدة للكتاب وزهوا بصاغتكم عن الدماء وربأوا بأنفسكم عن السعاية والتمعية وما
فيه أصل الجهالات وياكم والكبر والسخف والعظمة فانها عذوبة محتبة من غير أحنة
وتجأوا في الله عز وجل في صناعتكم وتواصوا عليها ان الذي هو أليق لأهل الفضل والعدل
والنبل من سلفكم وان نبأ الزمان برجل منكم فاعطفوا عليه واسوه حتى يرجع اليه حاله
ويثوب اليه أمره وان أقعد أحد منكم الكبر عن مكسبه وانما خونه فروره وعظموه
وشاوروه واستطهروا بفضل تجربته وقديم معرفته وليكن رجل منكم على من اصطنعه
واستظهر به ليوم حاجته اليه أحوط منه على ولده وأخيه فأن عرصت في الشغل محسنة فلا
يصرها الا الى صاحبه وان عرضت مذمة فليصم لها هو من دونه وليعدر السقطلة ولتأتمر للملل
عند تغير الحال فان العيب اليكم عشر الكتاب أسرع عنه الى القراء وهو لكم أفسد منها
فقد علمتم ان الرجل منكم اذا صحبه من ينذل له من نفسه ما يجيب له عليه من حقه فوجب
عليه أن يعتد به من وفائه وشكره واحتمله وخبره ونصيحته وتكن سره وتدين أمره من هو
جزاء حقهم ويصدق ذلك تبعاً له عند الحاجة اليه ولا يضطر الى مدبه - فاستشعروا ذلك
وفقهكم الله من أنفسكم في حالة الرخاء والشدة والحريمان والمؤاساة والاحسان والعسر

والضرة فأنعمت التسمية هذه من وسم بهامن أهل هذه الصناعة الشريفة - وأذاولى
الرجل منكم أو صير اليه من أمر خلق الله وعياله أمر فليراقب الله عز وجل وليؤثر طاعته
وليكن على الضعيف رفيقا وللظالم منصفاً فان اخلق عيال الله وأحبهم اليه أرفقهم بعياله
ثم ليكن بالعدل حاكماً ولا يشرف مكر ما ولى في موافق اولاد عامر اول الرعية متألفا
وعن أذاهم متخلفا وليكن في مجلسه متواضعا حلياً وفي سجلات خراجهم واستقصاء حقوقه
رفيقا واذا احبب أحدكم رجلا فليضرب خلاثقه فاذا عرف حسنها وقيسها أعانه على ما يوافقه
التدبير من مرافقه في صناعته ومما حبه في خدمته فان أعقل الرجلين عند ذوى الالباب من
رعى بالمعجب وراء نظيره ورأى ان صاحبه أعقل منه في طريقته وعلى كل واحد من
الفر يقين أن يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برأيه ولا تزكية لنفسه ولا يكثر
على أخيه أو نظيره وصاحبه وعشيرته

وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع له عظمته والتسديد لعزته والتصدق بتعنته
وانا أقول في كتابي هذا ما سبق به المثل من تازمه النصبية ليزمه العمل وهو جوهر هذا
الكتاب وغرة كلامه بعد الذى فيم من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته آخره وتمت به
تو لا نا الله واياكم يا معشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه بالسعادة وارشاده فان
ذلك اليه ويده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة ختامية

في

أسباب انحطاط الأمم

من هدم دينه كان لجمده أهدهم

(ومن ظلم نفسه كان لغيره أظلم)

انحطاط أى أمت من الأمم وارتفاعها متوقف على ارادتها وعملها فاما ان تفعل لتترفع
ويعلو شأنها وتقوى شوكتها وأما ان تعمل لتندثر ويذهب ربحها كما ذهب غيرها من قبل
فالتحفاض الأمة وارتقاؤها متوقفان على قدر تمسكك بالدين الذى تدن به واتباع أوامره

والأنهاء بنواهيه والعمل بشريعته التي سنت لها لتسير عليها لان الشرائع ما وضعت الا لخلق النظام والتوازن بين الأمم القائم عليها هذا السكون فأساس العمران لكل مملكة هو الدين المهذب للنفس قال الماوردي الدين المتبع يصرف النفوس عن شهواتها ويصطف القلوب على ارادتها حتى يصير قاهر للسر اثر زاجر للصائر رقيب في خلواتها منصو حلفا في ملتها وهدمه الأمور لا يوصل بغير الدين إليها ولا يصلح الناس الا بها فكان الدين أقوى قاعدة في صلاح الدنيا واستقامتها وأجدي الأمور رفعا في انتظامها وسلامتها ولذلك لم يحل الله تعالى خلقه منذ فطرهم عقلا من تكليف شرعي واعتقاد ديني يتقادون لحكمه فلا تختص بهم الاراء ويستسلمون لامره فلا تصرف بهم الأهواء وانما اختلف العلماء رضى الله تعالى عنهم في العقل والشرع هل جاء مجتبا واحد أم سبق العقل ثم تبعه الشرع فقالت طائفة جاء العقل والشرع معا مجتبا واحد لم يسبق أحدهما صاحبه وقالت طائفة أخرى سبق العقل ثم تبعه الشرع لان بكال العقل يستدل على صحة الشرع وقد قال تعالى أيجسب الانسان أن يترك سدى وذلك لا يوجد منه الا عند كمال العقل

فتب أن الدين من أقوى قواعد صلاح الدنيا وهو الفرد الاوحد في صلاح الآخرة وما كان به صلاح الدنيا والآخرة تحقيقا للعقل أن يكون به مفسكا وعليه محافظا وقال بعض الحكماء الادب أدبان أدب شريعة وأدب سياسة فأدب الشريعة ما أدى الى الفرض وأدب السياسة ما أدى الى عمارة الارض

فالامة الاسلامية ما بلغت في ابتداء نشأتها الدرجة العليا من الثروة والشوكه وعلاشأتها وارتفع قدرها ومكنت معزة الجانب نافذة الكلمة لدى من جاورها من الممالك مدة من الزمان الا لانها كانت محترمة للاصول الشرعية والنواميس الالهية محافظة على دينها مفسكة باآدابها عاملة بوصاياها ومنتهية بنواهيها مجدية في نشر العلم آخذة بأسباب العمل الذي هو أساس العمران متحدة في القول والعمل

فصفت الامة الاسلامية في طرف ثمانين سنة من أقاليم أكثر مما يفهمه اير ومان في ثمانية قرون في ذلك دليل على ما كان لها من معة العمران والقوة الناشئة عن العدل واجتماع الكلمة واتحاد الممالك في الرأي وحسن السياسة وعنتائها بالعلوم والعسائنع ونحوها من الماتر العرفانية التي ظهر فيها ونسج لاوروبا وبين على منو لها حتى تهده المصنفون منهم بالتقدم فيها للامة الاسلامية كعاد كرنافى وما لا يكتب

فلاسلام دين لفطرة وهو جنمى دوقوا بين نظامية وومبس حيوية وأخروية

يخضع على مكارم الأخلاق ومحامد الصفات وينهى عن الفحشاء والمنكر وهجر الأثم مظهر منه ومباطن. ويبحث على الاتحاد والتآلف بدليل قوله تعالى اغماضوا ألبصائر ويا أيها العدل والاحسان في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهد الله ولوعلى أنفسكم والأقربين وباحترام الغير في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن

تمسكت الأمة الإسلامية بدينها سنين معدودة فأمد الله سلطان شوكتها على المشرق والمغرب وأيدها روح من عنده فدانتم لهم الأرض مدة من الزمان وعم العدل ملكهم أما الآن فأصبحت في ذل بعد عز وضعف بعد قوة وفقر بعد غناء وصرنا مسودين بعد ان كنا سادة في الأمم محكومين بعد ان كنا حاكما كين بسبب تركنا لديننا وشريعتنا واتباع طريق الضلالة والعوابة والانتهاش في الملذات والشهوات الحيوانية وترك المحاسن من الأمور وصفات الكمال

فما من أمة سرت فيها الشهوات إلا وكان نصيبها من الانحطاط بقدر انغماسها فيها فمن هدم دينه كان يحمده أهدهم ومن ظلم نفسه كان لغيره أن ظلم
فعوامل انحطاط الأمم وأسباب ابادتها أي أمة كثيرة منها استعمال غير أبناء البلاد في تدبير شؤنها والوثوق بهم في كل الأمور والاستسلام لهم فقد كان سبب الخراب مبدا في الدول الإسلامية السابقة هو ان المستعصم أحد الخلفاء العباسيين جلب له من غير جنس بلاده حرسا بحرسونه وتعالى في ذلك وولى بعضهم الأحكام فأخذوا يفتلون ويولون ويعزلون كما يشاؤون ومنها أختلت الدولة في الانحطاط والتهقر وضعفت شوكة الخليفة وقويت سلطتهم حتى لم يبق له إلا الاسم فقط ثم لما تولى المستعصم الخلافة بعده ركن إلى وزيره ابن العلقمي الرافضي فأهلك الحارث والنسل ولعب بالخليفة وأراد قطع الدولة العباسية ليقيم خليفة من آل علي وأخذ يرسل التتار سرا والمستعصم غريق في محمراته وجمع الأموال لا يطلع على الأمور وقد أشار عليه الوزير بصرى أكثر الخندوان مصادقة التتار واكرامهم بحصل به المقصود ففعل ذلك ثم ان الوزير كاتب التتار وأطعمهم في البلاد وسهل عليهم ذلك وطلب أن يكون نائبهم فوعده بذلك وتأهبوا لاحتلال بغداد فوصلوها سنة ٦٥٦ وكان عددهم مائتا ألف مقاتل ورئيسهم هلاكو فخرج اليهم عسكر الخليفة فانهزموا امام عسكر التتار فأشار الوزير على المستعصم بمصانعتهم وقال أخرج اليهم أنا في تقرير الصلح فخرج ووثق لنفسه منهم وعاد إلى الخليفة وقال ان الملك قد رغب أن يزوجه ابنته بانك وبقيك في منصب الخلافة

كما أتى صاحب الروم في سلطنته وأن تكون تحت طاعته كما كان أجدادك مع الملوك
السلجوقية وينصرف عنك بحيشه فقيح بياض ولا يأتى هذا فان فيه حقن الدماء والرأى أن
تخرج اليه في جميع أعيان المملكة فخرج اليه فأزله في خيمة ثم دخل الوزير فاستدعى
الفقهاء والامثال لخصروا العقد فخرجوا من بغداد فضربت أعناقهم وعمل القتل في
جميع العلماء والامراء والحجاب وأكابر القوم وقتل الخليفة فقامت أسفرا القتل والنهب
في بغداد أربعين يوما

ولقي هذا الوزير من التنازع بعد ذلك ما لم ينس منه سوء العذاب ولم يتم له ما أراد فذاق النذل
والهوان ولم تطل أيامه ومات كد الأرحام والله ولا عفى عنه

ومن أسباب الإبادة الجهل الذي هو أساس كل خطيئة وعليه خراب العمران لانه يتولد
منه كل قبيح ومن عواملها أيضا عدم التعاون والاتحاد وانقسام أهل المملكة الواحدة
الى فرق متعددة أو قيامهم ضد ملكهم أو حاكمهم والتجأهم الى غير ملوكهم المحدثين معهم في
الجنس والذين كما فعل أهل الاندلس فان انقسامهم وانشقاقهم وقوقع الفتن بينهم ساعد
على دخول الأفرنج في بلادهم والاستيلاء عليها ومقاتلتهم حتى أهلكوهم وتسلطوا عليهم في
الدين وأجلاوهم عن البلاد

فالانقسام وتعدد الأحزاب اننى أساسها الحسد وحب الرياسة يوجب ضعف الأمة
وتحلال العصية وتفريق الكلمة

فاتحاد الأمة يجعلها كشخص واحد لا يقوى على تمزيقها أحد قال ابن مسكويه ان
ان الضرورة داعية الى استعانة الناس اى بعض لان الناس مطيعون على النقائص
ومضطرون الى اتمامها ولا سبيل لأفرادهم والواحد فلو احدهم انى تحصيل تمامه بنفسه
فالخاجة صادقة والضرورة داعية الى حار تجمع وتولف بين اشتات الانخاص
ليصير وبال اتفاق والائتلاف كالشخص الواحد الذى تجتمع اعضاءه كلها على الفعل
الواحد النافع له

فالام الاسلامية الآن منسقة على أنفسها لجهلها بحقائق دينها وأصوله وتفشى
الشهوات فيهم وانغماسهم في بحر الجهل فإدين مافسد وهو باق مابق الزمان ولكن الذين
فسدوا هم أهل لتركهم اياه واتباع أهوائهم فتغيرت بذلك عواظهم فسلط الله عليهم من يأخذ
له بحقيقة منهم فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغير ما بأنفسهم

بحمد الله العلي مكانه المنير برهانه العزيز سلطانه الثابتة كلماته قد تم طبع هذا
الكتاب ووضعه على هذا النسق والترتيب في يوم السبت المبارك ٣٠ ربيع الثاني
سنة ١٣٢٩ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأرعى الصلة الموافق ٢٩ ابريل سنة ١٩١١
ميلاديه وهو يوم افتتاح المؤتمر الاسلامي المصري وكان طبعه بمطبعة السعادة العاصرة
التي أظهر صاحبها براءة فائقة وهمة شائقة في اجتازه في مسافة لا تتجاوز الثمانية
عشر يوما من تقديمه اليه فحصل بشهده بالسبق على من يماثله من أرباب هذا
الفن وبهمة من خدم الادب وأهله والعلم بفضلهم حتى زينبت صحائف التاريخ
بذكره الساعد على بشره في كافة الاقطار الخالح محمدا فندى الساسي
المعري التاجر الشهير بمصر من أحيا سيرة العرب ومدى ما
الادب واستخرج من كنوزهم المدفونة كتاب المسوط
والمدونة وغير ذلك مما هو موجود لديه من
نفائسهم وآثارهم الثمينة وأسأله
تعالى في البادية والهاية أن
يوفقنا لما فيه صلاح
ديننا وديننا
ويرحمنا
برحمته



اعلان

حجـر من عل محمد افندي الساسى التاجر

بالعنة الخضر

يتشرف صاحب هذا المحل باعلان أهل الأدب والفضل وذوى الحسب والنبل بانه
يوجد بمحله الكتب الآتية مطبوعة على أحسن ورق وأحسن حرف وهي

المسومة في مذهب الامام مالك	١٦ جزء
المبسوط لشمس الأئمة السرخسى في مذهب أبي حنيفة	٣٠ جزء
مقدمة ابن رشد	٢ جزء
الأغاني وفهرسته	٢٥ جزء
كتاب الحيوان للجاحظ	٧ أجزاء
احدى عشر رسالة للجاحظ	١ جزء
كتاب البلاء للجاحظ	١ جزء

و يوجد بها غير ذلك خرائط مدرسية من جميع الأشكال على أحسن شكل وآخر
طرز كبير ووسط وأطالس جغرافية لروم تلامذة المدارس لجميع القارات
و هاتين ذلك كتب عربية أدبية وتاريخية وخرافها والمكتبة مستعدة لتقديم جميع
ما يلزم للدارس من الطلبة جميعها وللأهالى
ويطلب منها كتاب مدينة العرب

فهرس

﴿ كتاب مدينة العرب ﴾

صفحة

٢	خطبة الكتاب
٣	المقدمة - الفصل الأول
٤	الفصل الثاني
٥	العلوم العلمية
٨	العلوم العملية
٨	العلوم الشرعية
٨	العلوم المتعلقة بالتصفية وهي ثمرة العلم بالعمل

﴿ المقالة الاولى ﴾

(وفيها ثلاثة فصول)

١١	الفصل الأول في جغرافية بلاد العرب
١٣	الفصل الثاني في فضل العرب على الغرب في المدنية والحضارة
١٥	الفصل الثالث في علم الكهانة والنفس
١٦	رؤيا ربيع وتأويل شق وسطع لها
١٧	أصل الكهانة
١٨	الانسان الحساس
١٩	علم العرافة
٢٠	علم العزائم والاستحضار وانها أصلا علم التنويم المغناطيسى

﴿ المقالة الثانية ﴾

(في العلوم والفنون والصنائع - وفيها أربعة فصول)

٢١	الفصل الأول في علم الطب
----	-------------------------

صفحة

٢٢	أول من تكلم بالطب
٢٢	أساس علم الطب عند العرب
٢٣	اكتشافاتهم
٢٣	أطبائهم
٢٧	ماء النيل والآبار
٣١	المدواة بالوهم
٣٢	ما يحتاج اليه الطبيب من العلوم
٣٢	وصايا الأطباء
٣٣	الطب بالكهرباء
٣٥	علم الصيدلة
٣٥	علم تدبير الصحة
٣٧	الفصل الثاني في علم الجغرافيا وتعريفه
٣٩	الفصل الثالث في علم الموسيقى
٤٠	الطرب والأسباب الباعثة اليه
٤١	أول من غنى في الجاهلية من الرجال
٤١	أول من غنى في الجاهلية من النساء
٤٢	أول من غنى في الاسلام من الرجال
٤٤	أول من غنى في الاسلام من النساء
٤٥	أول من دون الغنى
٤٦	الفصل الرابع في اختراعات العرب واكتشافاتهم

﴿ المقالة الثالثة ﴾

(في اهتمام العرب بنشر العلوم والمعارف والتجارة والسياحة برّاً وبحراً وفنائهم)

﴿ وفيها سبعة فصول ﴾

٥١	الفصل الأول في الاهتمام بنشر العلوم وطرق التعليم
٥٢	الفصل الثاني في خزائن الكتب وأسباب ضياع أغلبها

صفحة

- ٥٤ الفصل الثالث في السياحة برًا
٥٥ الفصل الرابع في السياحة بحرا
٥٦ الفصل الخامس في فضائل السياحة
٥٧ الفصل السادس في التجارة عند العرب
٥٩ الفصل السابع في أسواق العرب وحرب الفجار

﴿ المقالة الرابعة ﴾

(في ان العرب أفضل الأمم وحكمتها أشرف الحكم)

﴿ وفيها ثمانية فصول ﴾

- ٦١ الفصل الاول في عادات العرب قبل الاسلام والتي أقرها وحلف الفضول
٦٤ الفصل الثاني في صفات العرب
٦٦ الفصل الثالث في ان السخاء والكرم في شيم العرب
٧١ الفصل الرابع في الشجاعة وانها هي والاقدام من صفات العرب
٧٦ الفصل الخامس في اخلاق العرب وأدبهم
٨٦ الفصل السادس في خطباء العرب وطرفا من خطبهم
٩٢ الفصل السابع في أخلاق نساء العرب وأدبهن ومصاحبتهم ودكر بعضهن مع
حكمن وأشعارهن ونوادرنهن في الجاهلية والاسلام
١١٠ الفصل الثامن في الغيرة وانها آتت موجودا في العرب

﴿ المقالة الخامسة ﴾

(في الحكمة والعملية - وفيها ثلاثة فصول)

- ١١١ الفصل الاول في الحكمة الالهية
١١٢ الفصل الثاني في موضع علم الاخلاق
١١٣ الفصل الثالث في موضع علم تدبير المنزل وفيه رسالة ان سياقي السياسة ورسالة
الفرغ الى في تربية الطفل من بدأ نشأته

﴿ رسالة ابن سينا ﴾

- ١١٣ التفاوت بين الناس في الصفات والرتب
١١٤ في لزوم التدبير والسياسة لجميع الناس
١١٥ في أهل الانسان
١١٦ في سياسة الرجل نفسه
١١٩ في سياسة الرجل دخله وخروجه
١٢٠ في سياسة الرجل أهله
١٢١ في سياسة الرجل ولده
١٢٣ في سياسة الرجل خصمه

﴿ رسالة الغزالي ﴾

- ١٢٥ في كيفية تربية الطفل وتعويد به على الاخلاق الحسنة والمعاملة والادب من بدء نشأته

﴿ المقالة السادسة ﴾

(في السياسة والرياسة - وفيها ستة فصول)

- ١٢٩ الفصل الاول في تعريف السياسة وفيه ثلاث رسائل
١٣٠ كتاب الامام على الاشراف النضي لما ولده مصر
١٣٩ كتاب طاهر بن الحسين قائد المأمون لابنه عبد الله لما ولّى الرقة ومصر وما بينهما ما فقد وصاه فيها والده بجميع ما يحتاج اليه في دولته وسلطنته من الآداب الدينية والخرافية والسياسة الشرعية والملوكية وحثه على مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم بما لا يستغنى عنه ملك ولا سوقي

- ١٤٥ رسالة عبد الحميد الكاتب في سياسة الحروب وتدبير المملكة
١٦٧ الفصل الثاني في آداب الملوك وأخلاقهم وسياساتهم وصفات الملك
١٦٨ العدل
١٧١ ورجبات الملك

صفحة

الرافة	١٧٣
الحلم	١٧٤
الجور	١٧٥
الفصل الثالث في الوزارة	١٧٧
اشتقاق الوزارة	١٧٧
أول وزير في الاسلام	١٧٧
تقسيم الوزارة الى قسمين وزارة تفويض ووزارة تنفيذ	١٧٨
عدد الوزراء الواجب اتخاذهم	١٨٠
الفصل الرابع في الحسبة والولاية	١٨١
الفصل الخامس في ان الحكومة الاسلامية أشرف الحكومات ودار الندوة	١٨٣
والشورى	
دار الندوة	١٨٦
الفصل السادس في الكتابة والكتاب	١٨٧
الدبوان	١٩٠
الكتاب	١٩١
الصفات الواجبة للكتاب	١٩٢
الصفات العرفية للكتاب	١٩٣
رسالة عبد الحميد الى الكتاب	١٩٣
كلمة ختامية في أسباب انحطاط الامم	١٩٦

﴿ تمت ﴾



